15-16
شتاء و ربيع
2024

دراسات استراتيجية

- تركيا تفقد موقعها الجيواستراتيجي
- أبرز مصادر التهديد على الأمن الإنسـاني في شمال وشرق سوريا
- ازمات الشرق الاوسط
- الطاقة كعامل مؤثر في الأزمة السـورية

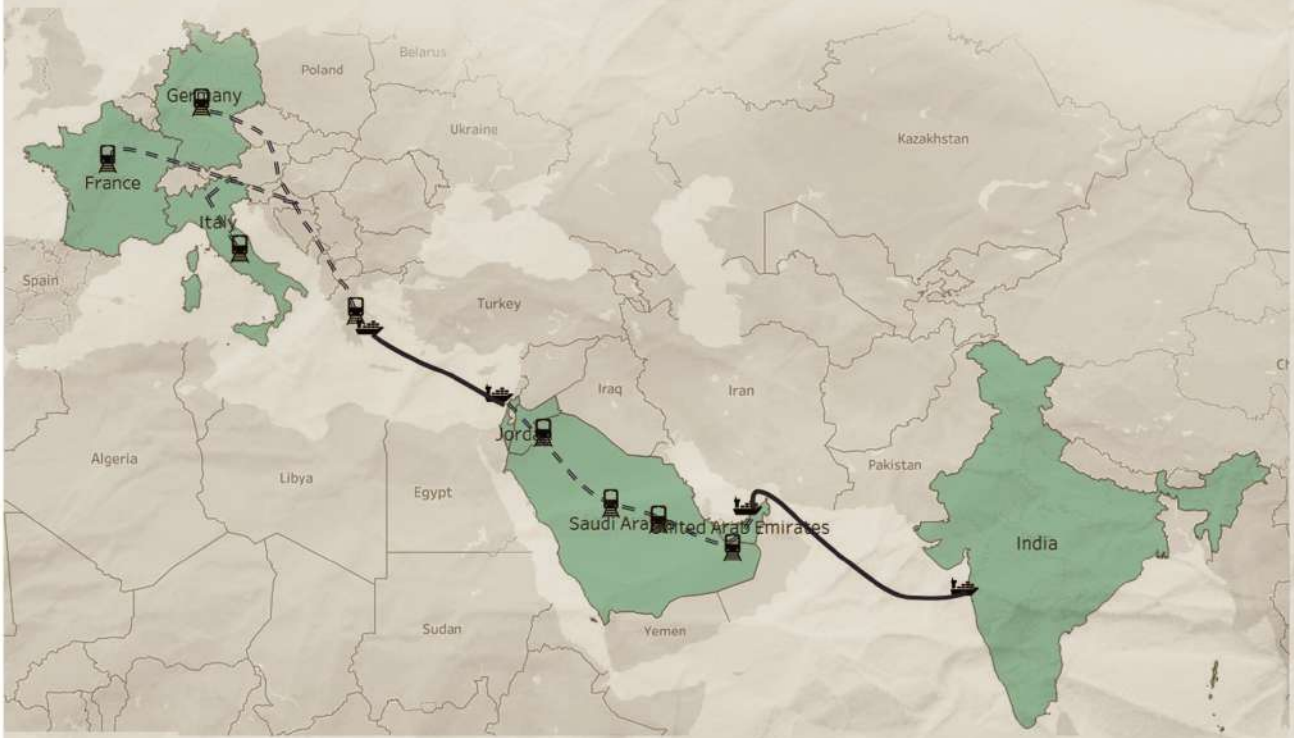

رئيس التحرير : طه خليل

المحررون:

د.أحمد سينو - نذير صالح - محمد حسن

التصميم: أحمد ملا

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي:

nrls@nrlsrojava.com

لزيارة الموقع الالكتروني:

www.nrls.net

منشورات مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية NRLS

حقوق الطبع والنشر محفوظة

العددان 15-16 شتاء وربيع 2024

كلمة العدد

تتسارع وتيرة الأحداث في المشهد السياسي والأمني للشرق الأوسط ولا تزال أزماتها تتفاقم بسبب محاولة أنظمة الحكم تصدير مشاكلها إلى جوارها، وبنفس الوقت فرض سلطتها الأيديولوجية وهدم السلطة الأيديولوجية للآخرين، بشكل أصبحت المجتمعات المحلية وكأنها تحاول التشبث في خضم الاضطرابات الناجمة بفعل تصادم الأيديولوجيات من ناحية، والصدمات التي تعرضت لها البيئات المحلية بفعل التغير المناخي من ناحية أخرى. وتواجه المجتمعات المحلية صعوبات كثيرة في سعيها لتأمين حياتها بما ينسجم مع ثقافتها، وتبذل جهوداً كبيرة لمواجهة خليط من تحديات وتهديدات، ذات أبعاد سياسية واقتصادية وصحية وأمنية؛ وتستند ديناميات هذه المجتمعات إلى شكل الاستجابة لكل من تداعيات التغير المناخي، ومختلف الأنشطة الأيديولوجية المؤثرة في المشهد السياسي والاقتصادي والأمني في الشرق الأوسط. لذلك يمكن الجزم بأن العديد من هذه المجتمعات فقدت زمام المبادرة في إدارة شؤونها الاقتصادية ومواجهة التحديات وتأمين حياتها بشكل طبيعي، كما وفشلت الدول في تحقيق الأمن والأمان للبلدان التي تتربع عليها، حتى أنها تحولت إلى مصدر رئيسي لأزماتها. لذا سنحاول في هذا العدد الجديد من مجلة دراسات استراتيجية تسليط الضوء على عدد من القضايا التي تعيشها مجتمعات الشرق الأوسط، وتقديم تحليلات نسبية عن العوامل الذاتية والموضوعية الكامنة وراء أزمات المنطقة، بشكل يساهم في إيجاد حلول ممكنة لها.

وفي هذا السياق، تبذل الدولة التركية جهوداً كبيرة للحفاظ على أهيمتها الاستراتيجية بالنسبة للدول الغربية، وتحاول استثمارها لزيادة هيمنتها الإقليمية، إلا أن فشلها في حل أزماتها وإقحام الجيش في سياستها الخارجية والدخول في الصراعات إقليمية مؤدلجة أثر بشكل كبير على الوضع الجيوسياسي لتركيا، وانعكس سلباً على وضعها الجيواستراتيجي، ويمكن ملاحظة ذلك في خمول العلاقات الودية بين النظام التركي وأقوى حلفاءه (الولايات المتحدة) حيث يتحدث المحللون الأتراك عن وجود مشاكل كبيرة خاصة بعد إلغاء زيارة أردوغان إلى واشنطن، فلا الحلفاء يهتمون بترميم الصدع الحاصل ولا النظام يسعى وراء ذلك، الأمر الذي يثير تساؤلات كثيرة حول هذه الإشكالية. وتعد المسائل الاقتصادية واحدة من العوامل المؤثرة في هذه الإشكالية وخاصة بعد الاتفاق المبدئي على طريق الهندي- العربي- الأوروبي وما تلاه من تطورات من حرب غزة وما تمخض عنها من إعاقة الملاحة في البحر الأحمر وبناء رصيف بحري على شاطئ غزة، وكذلك التوتر الذي تشهده أوراسيا بفعل الحرب الروسية- الأوكرانية، جميعها تبدو كظروف فرضت على الشركات التجارية الكبرى الاهتمام أكثر بممرات التجارية بالتوازي مع بقاء النظام التركي في وضعية "المفعول به" ضمن معادلاتها، وهذا ما يفرض إعادة النظر في الوضع الجيوستراتيجي للدولة التركية في تفاعلات التنافس والتحالف، الإقليمية والدولية المستجدة.

بلا شك تنعكس الأوضاع المتأزمة التي تعيشها الدول الإقليمية بما فيها تركيا، سلباً على الكرد وبلادهم، ومنذ توقيع معاهدة لوزان عام / 1923/ والتي وجد على إثرها الشعب الكردي نفسه منقسماً بين أربع دول حديثة النشأة (تركيا - إيران – سوريا- العراق)، وقام بثورات كثيرة إلا أنه لم يحقق إنجازات سياسية تحقق حل قضيته، قد يكون السبب وراء ذلك عدم امتلاكهم أسباب القوة، ويكاد معظم المفكرين الكرد يتفقون على أن قوتهم

تكمن في وحدتهم، فعصرنا هذا الذي نعيش فيه لا يقيم أيّ وزن للضعفاء والمهزومين، بل يعترف بالأقوياء فقط.

ولدى التمعن في معظم الأزمات التي تشهدها المنطقة يمكن ملاحظة تقاطع مساراتها في قطاع الطاقة، وتبرز هذه القضية بشكل واسع في سياق الأزمة السورية، حيث تعد الجغرافيا المحصورة بالحدود السياسية للدولة السورية ذات أهمية كبيرة نسبياً في قضايا أمن الطاقة العالمية بالاستناد إلى الموقع الجغرافي والثروة الباطنية، فجغرافياً تعد منطقة عبور مهمة للعديد من المشاريع نقل الطاقة من الشرق إلى الغرب كما أنها متاخمة لأهم مصادر الطاقة العالمية في الخليج والعراق وإيران وكردستان وبلدان شرق المتوسط. بالإضافة إلى امتلاكها مخزونات من الوقود الاحفوري من الغاز والنفط وفلزات اليورانيوم المصاحب للفوسفات، لذلك تم اختيار دراسة تأثير الطاقة في الأزمة السورية.

وعلى صعيد متصل، يعد تنظيم داعش أكثر من استغل حقول الطاقة وحولها إلى مال سياسي لتعزيز سلطته في المناطق التي احتلها في سوريا والعراق وسخّرها مع العداء المشترك للنظام التركي تجاه كل من القضية الكردية والديمقراطية، لإقامة علاقات تجارية واستخباراتية، ولا تزال التقارير الإخبارية تتحدث عن نشاطات للتنظيم في المناطق التي يحتلها النظام التركي في شمال سوريا أو داخل تركيا نفسها، ويبدو أن هذا الأمر منح التنظيم فسحة أمل لإعادة حشد صفوفه وشن هجماته على المواقع المدنية والعسكرية في إقليم شمال وشرق سوريا والبادية السورية والعراق مؤخراً، وعلى الرغم من تسبب هزيمته الكبيرة في الباغوز وخروجه من المسرح الرئيسي للعمليات العسكرية والسياسية بضعف كبير في هيكليته، إلا أن خلاياه لا تزال مستمرة في نشاطاتها التخريبية وهو ما يفرض إعادة التذكير بهذا التنظيم وايديولوجيته.

إن الصراعات الدائرة على النفوذ وعلى مصادر الطاقة وانخراط مرتزقة داعش كوكيل لبعض الأنظمة الإقليمية في الصراع الدائر بالمنطقة يعد جزء من المشهد السياسي والعسكري والاقتصادي المعقد في الشرق الأوسط، وتحولت إلى مصدر لأزماته المتجلية بفشل التحول الديمقراطي، وفشل الاستجابة للكوارث البيئية والطبيعية، وفشل كبح تنامي التطرف العقائدي، وفشل إيقاف النزعة غير المسبوقة للهجرة من الأوطان، وتحولت إلى أبرز التحديات ومصدراً لتحديات أخرى في الوقت نفسه لأبرز أزمات الشرق الأوسط.

هذه الأزمات وما يتمحور حولها من صراعات أثرت بشكل كبير على الأمن الإنساني للمجتمعات المحلية في الشرق الأوسط، وتشكل الحالة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في إقليم شمال وشرق سوريا جزء من هذا المشهد، حيث يواجه سكان الإقليم تحديات وتهديدات كثيرة متعلقة بتلك الأزمات، لذلك تبرز الحاجة إلى إعادة تسليط الضوء على الوضع المعاش من مفهوم الأمن الإنساني لتحليل بعض من تلك التحديات والتهديدات بشكل يساهم في الجهود المكرسة لإيجاد الحلول الممكنة للاستجابة لأكبر قدر ممكن من التحديات وإدارة الأزمات باتجاه الحل.

رئيس التحرير

تركيا تفقد موقعها الجيوستراتيجي يوما بعد يوم

منذر شيار

تركيا تفقد موقعها الجيوستراتيجي يوماً بعد يوم في العقدين الأخيرين من القرن الحادي والعشرين. تُرى؛ ما هي الأسباب الكامنة وراء ذلك؟ لماذا لم تعد أمريكا والدول الغربية وكذلك إسرائيل تولي تلك الأهمية لتركيا اليوم مثلما كانت تفعل في القرن العشرين، بالرغم من أنّ تركيا كانت تُعتبر الطفلة المدلّلة لديهم؟ هل يمكن اعتبار مواقف وسياسات حزب العدالة والتنمية التوسّعية ورئيسه أردوغان من أسباب فقدان هذا الموقع الجيوستراتيجي أم أنّ هناك أسبابًا أخرى تقف خلف ذلك؟ تُرى؛ ما هي التغيّرات التي حدثت ما بين القرنين العشرين والحادي والعشرين؟ هذا ما سنحلّله ونقيّمه في دراستنا التحليلية هذه.

بما أنّ تركيا تربط أوروبا مع آسيا، وتشكّل معبراً لنقل مصادر الطاقة إلى أوروبا، كما تُعتبر دولة نموذجية يُحتذى بها بحسب مزاعم الدول الغربية، برزت الأهمية الجيواقتصادية لتركيا خلال القرن الماضي، وسداً أمام التوسع السوفيتي – الروسي في المنطقة، وهذا ما جعلها وعلى مدار القرن الماضي تحافظ على موقعها الجيوسياسي والجيواستراتيجي، وكذلك برز دورها كلاعب أساسي يمكن الاعتماد عليه في نشر الثقافة الغربية في المنطقة.

في ظلّ النقاشات الدائرة حول افتتاح ممرّ اقتصادي ما بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، قد تتضاءل فرص تركيا للحفاظ على موقعها الجيواستراتيجي في القرن الحادي والعشرين، حيث أعلن الأمير السعودي محمد بن سلمان في أيلول \ 2023\ وخلال اجتماع قمة الـ 20 في الهند عن هذا المشروع بشكل رسمي ((India-Middle East-Europe Economic corridor (IMEC)). هذا الممر يبدأ من الهند ويمرّ عبر الإمارات والسعودية والأردن وإسرائيل، ومن إسرائيل عبر البحر يصل إلى أوروبا. لقد تم إقصاء تركيا وإيران عن هذا المشروع، والحرب التي تدور رحاها في غزّة تندرج في إطار هذا المشروع، وعلى صلة بهذا الموضوع فقد صرّح الرئيس التركي أردوغان أثناء إعلان هذا المشروع أنّه من غير الممكن نجاحها بدوننا، كما أنّ صَلاة خالد مشعل في المساجد التركية يوم / 7 / تشرين الأول أثناء هجوم حماس على إسرائيل تحمل في طياتها معانٍ كثيرة.

إذا ما تمّ افتتاح هذا الممرّ بين إسرائيل والدول العربية، فهذا يعني وصول إسرائيل والدول العربية في موضوع المصالحة إلى مستوىً متقدّم، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه المصالحة لا تخدم المصالح الإيرانية أيضًا، لأنّ مصالحة إسرائيل مع الدول العربية تعني فقدان إيران للورقة الفلسطينية، وهو ما يُزعج إيران تركيا معاً ويسبّب لهما القلق.

عندما يتمعّن المرء في مواقف وتعامل القوى الغربية وأمريكا مع تركيا، وخصوصًا في الأزمة السورية بعد \2011 \ سوف يلاحظ دون عناء أنّ تلك الأهمية التي كانت تمنحها الدول الآنفة الذكر

لتركيا، قد تراجعت إلى أدنى حد في العقد الثاني من القرن الـ 21. دعك عن العلاقات القوية والدعم الذي كانت تحظى به تركيا من تلك الدول، ففي السنوات الأخيرة فُتِحت فجوة وشرخ كبير بين تركيا والدول التي ذكرناها، ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل وصلت إلى مستوى البدء بفرض العقوبات على تركيا أحياناً وإعلان المقاطعة أحياناً أخرى.

ولمعرفة التغيّرات التي حدثت وتحصل اليوم لا بدّ من العودة قليلا إلى بدايات القرن الـ 20 وتأسيس الجمهورية التركية، ومعرفة ظروف تلك المرحلة، والدور الذي أُنيط به لتركيا.

ما سبب إيلاء الأهمية لتركيا خلال القرن الـ 20؟

كان للاتّحاد والترقّي التي كان الكثير من أعضائها ذوي أصول يهودية دور بارز في تأسيس الجمهورية التركية، حيث لعب اللوبي اليهودي دورًا كبيرًا في تأسيس الجمهورية، كما قد تمّ تكليف الجمهورية التركية حديثة العهد ببعض المهام والواجبات، ومن تلك المهام تحمّل مسؤولية حماية أمن إسرائيل التي سيتمّ تأسيسها لاحقًا، وليس خافيا على أحد أنّ تركيا حينئذٍ كانت في مقدّمة الدول التي اعترفت بإسرائيل وأول دول إسلامية، وبعدها لم تبخل إسرائيل بتقديم الدعم المادّي والمعنوي لتركيا، بدءاً من تقديم الأسلحة المتطوّرة، مروراً بالمشورة العسكرية والاستخباراتية وغيرها. وجديرٌ بالذكر أنّ إسرائيل قد قدّمت دعماً كبيراً لتركيا في حربها ضد حزب العمال الكردستاني طيلة أربعة عقود، كما لم يخفِ المسؤولون الإسرائيليون تورّطهم في اعتقال القائد عبدالله أوجلان من خلال عملية كونية اشتركت فيها عدّة دول وعلى رأسها أمريكا.

كانت إسرائيل تخوض حرباً مع العرب، لذا كان لا بدّ من وجود بعض القوى والدول التي تحمي إسرائيل، وتُعتبَر كلّ من تركيا وإيران الشاه مثالا على حماية إسرائيل وأمنها. لكن في السنوات الأخيرة تطوّرت العلاقات الإسرائيلية مع العرب بشكل إيجابي، حيث افتُتحَت السفارات والقنصليات الإسرائيلية في الكثير من الدول العربية، ومع إعلان مشروع الممرّ الاقتصادي 2023 الذي يبدأ من الهند ويضمّ كلًّا من السعودية والإمارات والأردن وإسرائيل ويصل إلى أوروبا، بلغت العلاقات مستوىً متطوّراً لتطبيع العرب مع إسرائيل، إلّا أنّ حرب غزّة التي كان لكلّ من إيران وتركيا يدٌ فيها، قد ساهمت في خفض وتيرة هذه المصالحة قليلًا.

نعلم أنّ الجمهورية التركية قد تأسّست من قبل قوات الحلفاء التي انتصرت في الحرب العالمية الأولى في ذلك الحين (بريطانيا وحلفائها) على مبدأ إبادة وإنكار الكرد والقوميات الأخرى كالأرمن والسريان واليونان وغيرهم. استلهمت الجمهورية التركية مبادئها من الثورة الفرنسية، واتّخذت الثقافة والقيم الغربية أساسًا لها، وكانت العَلمانية من المبادئ الأساسية للدولة، حيث تمّ تجاهل الأسس والثقافة الإسلامية التي اعتمدت عليها الإمبراطورية العثمانية.

هذه الدولة حديثة العهد كانت تعمل لخدمة سياسات وأجندات القوى الغربية سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية، وكانت بمثابة بوّابة لفتح الشرق الأوسط آنذاك، هذه الدولة المبنية على ثقافة وقيم الدول الغربية، كانت تُعتبَر من الدول الحديثة ونموذجًا يُفترَض أن يعممّ في المنطقة. وكان من أبرز واجبات ومسؤوليات الجمهورية التركية المبنية حديثًا -كما ذكرناه آنفاً- في المرتبة الأولى حماية

أمن إسرائيل، ومنع تمدّد الفكر الإشتراكي الذي تقوده روسيا السوفيتية في الشرق الأوسط في المرتبة الثانية، وفي المرتبة الثالثة تمرير أجندات وسياسات القوى الغربية التي تُحاك ضدّ المنطقة.

فخلال القرن الـ 20 وخاصة بعد ثورة أكتوبر والحرب العالمية الأولى والثانية، كان من أبرز ما يقلق قوى الهيمنة العالمية هي روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقا)، وانتشار الأفكار الاشتراكية والشيوعية في بلدان الشرق الأوسط، لكن وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتحوّله إلى دولة رأسمالية، وإدارة العالم كقطب واحد من قبل أمريكا، اختلف الوضع؛ حيث تحوّلت الخلافات الفكرية والأيديولوجية إلى خلافات حول الثروات وتقاسم الهيمنة على العالم.

لم تبخل إسرائيل وأمريكا والقوى الغربية بتقديم الدعم المادي والمعنوي المتواصل لتركيا منذ تأسيسها وحتى قُبيل الأزمة السورية، كما غضّت الأطراف -آنفة الذكر- الطَّرْفَ عن السياسات والانتهاكات والمجازر التي ارتكبتها تركيا بحق مواطنيها الكرد والشعوب الأخرى، بالمختصر المفيد: كانت المصالح المبتادَلة بين تركيا والأطراف الأخرى سبباً لإيلاء هذا القدر من الاهتمام لتركيا.

إنّ تسمية القوى الغربية للجمهورية باسم الأتراك لم يأتِ من فراغ، فقد نبشت تلك القوى في التاريخ كثيرًا، وكانت تدرك أنّ الأتراك سيقدّمون لها خدمات جليّة، كما أنّ تلك القوى قد بحثت كثيرًا في الشخصية التركية الخشنة والقاسية والمبيدة التي تقوم بالمجازر منذ دخولها في خدمة الإسلام أيام الخلافة الإسلامية. في الحقيقة؛ لم تبخل تركيا في هذا المجال، فقد قامت بارتكاب المجازر والإبادات بحقّ الشعوب الأصيلة كالكرد والأرمن واليونان والآشوريين، كما قامت بالقضاء على الأحزاب والتنظيمات الاشتراكية واليسارية بعد ستينات القرن الماضي.

بعد الأزمة السورية 2011 تحوّلت تركيا إلى ساحة لتدريب تنظيم داعش والجماعات الإسلامية:

في بداية القرن الحادي والعشرين وخاصة بعد الأزمة السورية ازداد خطر الحركات الإسلامية المتشدّدة مثل داعش وغيرها، فشعرت أمريكا والقوى الغربية بخطر تمدّد الإسلاميين، بالرغم من أنّ الإسلام السياسي في إطار الشرق الأوسط الكبير كان مشروعًا أمريكيًا ويتم التحضير له منذ زمن بعيد؛ فبعد أعوام الثمانينات تمّ فتح المجال أمام العناصر ذات الأصول الإسلامية في تركيا، ففي أعوام التسعينات قام حزب الرفاه الذي يقوده نجم الدين أربكان بتولّي السلطة وفق نموذج إسلام الأمة، ثمّ في العام 2002 تمّ فسح المجال لحزب العدالة والتنمية ليتولّى السلطة في تركيا، وممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ هذه التغيّرات كانت تتمّ تحت أعين بريطانيا وأمريكا.

برز "فتح الله كولن" كشخصية مؤثّرة داخل حزب العدالة والتنمية، حيث نظّم صفوفه داخل تركيا وخارجها بشكل جيّد، ففتح مئات المدارس الدينية خارج تركيا في أكثر من 100 دولة عدا التي فتحها داخل تركيا، حيث كان يقدّم نفسه كإسلام اجتماعي، لم يكن يظهر العداء لإسرائيل وأمريكا والقوى الغربية، مثلما فعل "نجم الدين أربكان" حتى ولو كان شكلياً، بل على النقيض من ذلك، فقد تمّ تكليفه للعب دور الإسلام المعتدل غير المتشدّد.

لكن بعد ذلك قام رجب طيب أردوغان (تلميذ فتح الله كولن) - وهو من نفس الحزب- بالانتفاض في وجه شيخه، فاستلم أردوغان (تلميذ فتح الله غولن) ذو توجّه الإسلام السياسي الذي يتبنّى مفهوم

الأمة – وهو من نفس الحزب (الأمة) مقاليد السلطة، من خلال الانتفاض في وجه شيخه حيث قام بالسيطرة على مقاليد السلطة عن طريق إنقلاب، كما قام بوضع يده على جميع المدارس والجامعات الدينية والشرعية ووسائل الإعلام التابعة لـ"فتح الله كولن". وبعد أن استلم الحكم نظّم نفسه داخل المؤسسات الرسمية للدولة خطوة بخطوة، وادّعى أنّه سينقذ تركيا من الأزمة الاقتصادية التي كانت حينها تمرّ فيها، وأنّه سيقوم بحلّ جميع الأزمات مع الخارج، حيث أعطى لنفسه كامل الصلاحيات في سَنَّ القوانين التي تمسّ العَلمانية في البلاد، مثلما فعلها في قسم التربية والتعليم وتغيير المناهج التعليمية وفتح مدارس "إمام خطيب" وما إلى ذلك.

لم يكن يخفي أردوغان أهدافه وطموحاته الإسلاموية هذه، حيث كان قد صرّح في كثيرٍ من المناسبات قائلاً: "العَلمانيون حكموا تركيا مئة عام -مشيراً إلى حزب الشعب الجمهوري- والآن جاء دورنا سنعلن دولتنا الإسلامية". جديرٌ بالذكر أنّ تصريحاته هذه تزامنت مع مئوية لوزان.

كانت القوى الغربية وأمريكا حتى عام 2010 لا تزال تتأمّل أن يلبّي أردوغان مطالبها، لا سيّما أنّ أردوغان كان قد أعطى وعداً في أن يخطو خطوات جدّية نحو التغيير وبناء الديمقراطية في البلاد؛ ذلك بحلّ المسألة الكردية، والكفّ عن انتهاكات حقوق الإنسان، وكذلك الدخول إلى الاتحاد الأوروبي. لكن بعد أن أبرم أردوغان اتفاقاً مع حزب الحركة القومية(MHP) ذو التوجّه القوموي العنصري ورئيسه "دولت بهشلي" ازداد الشرخ بينه وبين القوى الغربية وأمريكا. وبعد ذلك برز في تركيا اتجاهان: الأوّل يرغب في استرجاع وإحياء الأحلام العثمانية، والتوسّع ولعب دور كدولة قومية مثل إيران. أمّا الثاني فيسعى من خلال الفصائل الإسلامية إلى بناء هيمنة إسلامية على المستوى الإقليمي والعالمي. إذ لم يتحقّق أيٌّ مما كانت ترغبه الدول الغربية وأمريكا. وبعد عام 2011 وبدء الأزمة السورية، تحوّلت تركيا إلى بؤرة لاستقطاب المتشددين الإسلامين من جميع أنحاء العالم وأصبح ساحة لتدريب داعش وجبهة النصرة والقاعدة وإخوان المسلمين وكلّ الجماعات الإسلامية الأخرى وأدخلتهم إلى سورية.

فمثلما لم تقدّم تركيا الدعم للتدخّل الأمريكي في العراق ولم تسمح لها باستخدام قاعدة إنجرلك، كذلك في الحرب السورية ورغم وجود تركيا شكليا ضمن قوات التحالف الدولي ضد داعش، إلّا أنّها لم تقم بشكل فعلي بمحاربة داعش. ولم تقف عند حدّ عدم محاربة داعش، بل هي التي قامت بحماية داعش أيضًا.

ولا يخفى على أحد أنّ تركيا قد سخّرت الفصائل الإسلامية لخدمة أجندتها في سوريا والدول الأخرى، حيث قدّمت كلّ التسهيلات لعبورالداعشيّين والفصائل الأخرى إلى سوريا، من جوازات سفر وفتح مراكز التدريب لهم في غازي عينتاب والمناطق المتاخمة للحدود السورية، كما ساندتهم في الدعم اللوجستي والأسلحة وما إلى ذلك؛ فروسيا وعن طريق الأقمار الصناعية نشرت مشاهد لسلسلة الصهاريج المحمّلة بالنفط وهي تدخل إلى تركيا. فبسوقه الفصائل المسلّحة الإسلامية ضدّ الكرد ليرتكبوا مجازر بحقهم، أراد أردوغان ضرب الكرد والعرب ببعضهم بعضًا وإشعال فتيل حرب قوموية دينية (مذهبية)لا نهاية لها بين المكوّنات السورية؛ وبالتالي يبقى هو في وضع المتفرّج. كل هذا كان يتم تحت إشراف جهاز الاستخبارات التركية وأردوغان شخصياً. وفي الجانب الآخر شاهدنا كيف

أنّ قوّات التحالف مع قوات سوريا الديمقراطية قد تمكّنت من قتل أبو بكر البغدادي وأبو إبراهيم هاشمي القرشي عام 2022م، وكذلك أبو حسن المهاجر وكثير من قادة داعش في المناطق الواقعة تحت سيطرة تركيا وبعضهم قد اعْتُقِل.

بشكل عام استفاد أردوغان على الصعيد الشخصي وكذلك حزبه من تسخير قدرات الكوادر البشرية للجماعات الإسلامية والنازحيين السوريين في العمالة الرخيصة وفي الدوائر الرسمية للدولة التركية، كالاستخبارات والإعلام ومركز الدراسات الاسترتيجية والمدارس الدينية وغيرها، وعلى لسان مسؤولي الأتراك فقد بلغ عدد الذين حصلوا على الجنسية التركية 200 ألف سوري. ربّما انتفع أردوغان وحزبه على الصعيد الشخصي من وراء ضخّ دماء جديدة إلى حزبه، إلّا أنّه قد أضرّ تركيا بشكل عام، لا سيّما في موضوع تقسيم المجتمع التركي والصداقة وعلاقاتها الخارجية.

بعدما عقد كلا الحزبين (حزب الحركة القومية (MHP) وحزب العدالة والتمنية (AKP)) تحالفاً استراتيجياً، واحتلّت مناطق من سوريا والعراق، وتدخّلت في ليبيا ونيجيريا والصومال وقرباخ والدول الأخرى في المنطقة، انتابت أردوغان ودولت بخجلي نشوة النصر وسال لعابهما، وباتا يحلمان بإحياء العثمانية الجديدة، والتفكير في التوسّع واحتلال مزيد من أراضي دول الجوار؛ فقامت تركيا باحتلال مناطق من روج آفا (شمال سوريا) بقصد إفشال الإدارة الذاتية الديمقراطية وباشوري كردستان (شمال العراق) بحجة محاربة حزب العمال الكردستاني.

أراد أردوغان التغريد خارج السرب والمخطّط المرسوم له من قبل أمريكا والدول الغربية، حيث أظهر نفسه كقوة هيمنة على المستوى الإقليمي. ومن ناحية أخرى فإنّ التحرّكات التركية وتقاربها مع روسيا وخاصة التفاف تركيا على العقوبات الأمريكية على روسيا هو ما زاد من حدّة الخلافات الأمريكية مع تركيا، مشاركة قسد في التحالف الدولي ودعمها من قبل أمريكا، كما أنّ الانتهاكات التركية في مجال حقوق الإنسان وحرية الفكر والتعبير قد جوبهت بانتقادات لاذعة من قبل القوى الغربية، والأسباب التي ذكرناها قد لعبت دورًا في تأجيج الخلافات الغربية -الأمريكية مع تركيا.

بدلا من "صفر مشاكل" فقد وضع أردوغان تركيا أمام " ألف مشكلة" ولم يبقِ لها أيّ وزن ولا مكانة:

مرّت تركيا خلال سنوات 2000-2002 بأزمة اقتصادية خانقة، وكذلك من الناحية السياسية لم تكن تتمتّع بعلاقات جيّدة مع الخارج، برز الجانب السياسي لأردوغان خلال هذه الفترة، عمل أردوغان مع طاقمه أحمد داود أوغلو (وزير خارجية) وآخرين بزعم تحسين الواقع الاقتصادي والمعيشي لتركيا. ففي بداية تسلّمه مقاليد الحكم توعّد أردوغان أن يتّخذ معايير الاتحاد الأوروبي والديمقراطية أساساً، وكذلك حلّ القضية الكردية. أمّا بخصوص العلاقة مع الخارج فقد عَمِلَ أردوغان بحسب نظرية أحمد داود أوغلو "صفر مشاكل"، إلى بعض الحلول المؤقّتة، مثل الإصلاحات في المجال الاقتصادي، فأزال 6 أصفار من العملة التركية من خلال سَنّ قانون خاص لها. وبهذا الشكل فقد راوغ أردوغان الشعب لبضعة سنين أخرى إلى أنّ رسّخ قدميه في السلطة إلى حين 2008م.

إذا ما ألقينا نظرة إلى العقدين الأخيرين وأجرينا مراجعة عامة في الإحصائيات الموجودة منذ تسلّمه السلطة إلى يومنا هذا، فسيتبيّن لنا إذا ما كان أردوغان فعلاً قد طوّر تركيا أم أنّه قد أعاد بها إلى

الوراء. فمع البدء بالإصلاحات الاقتصادية وإزالة الأصفار من العملة التركية أصبحت قيمة الدولار مقابل الليرة التركية (1 دولار = 0,7 ليرة تركية) ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا، ففي 2006 أصبح الدولار مقابل الليرة التركية (1دولار = 1,42 ليرة تركية)، أمّا بعد الأزمة السورية 2014 فقد أصبح الدولار مقابل الليرة التركية (1 دولار = 2,27 ليرة تركية) لكن بعد سنوات 2016- 2018 فقدت الليرة التركية قيمتها أمام الدولار بشكل مريع، ومع مرور الوقت شيئًا فشيئًا، واليوم نحن في بدايات 2024 فإنّ قيمة الليرة التركية مقابل الدولار (1 دولار = 32 ليرة تركية). كذلك في موضوع التضخّم المالي في تركيا، حيث بلغت نسبة التضخّم في شهر كانون الأول 2001-2002 في تركيا 5,32% وفي نيسان من عام 2012 ارتفعت النسبة لتصل إلى 11,14% وفي كانون الثاني 2024 ارتفعت النسبة إلى 64,86% هذه الأرقام الرسمية التي صرّحت بها الدولة التركية نفسها، علماً أنّ نسبة التضخّم الحقيقية قد تجاوزت حدّ 100% فعلياً.

في عهد أردوغان من الناحية السياسية كان من المفروض جعل المشاكل في الداخل ومع الخارج "صفر مشاكل" لكن حصل العكس، فقد بلغت " ألف مشكلة"، وعلى الصعيد الداخلي في بداية تسلّمه مقاليد الحكم تعهّد أردوغان للدولة العميقة تصفية القضية الكردية المتمثلة بحركة حرية كردستان، ووضع كافة جهوده في علاقاته الإقليمية والدولية خدمة لذلك، وبالتوازي مع الجيش الموجود قام أردوغان ببناء جيش آخر من تشكيلات الشرطة و كونتر كريلا "ضد الكريلا" والذين ما يسموا بحماة القرى والمرتزقة السوريين المرتبط به حيث يأتمر بتعليماته المباشرة، وتعامل مع الكرد بكل وحشيته ليبيدهم ويقضي عليهم، لكنّه لم يفلح في هذا المجال أيضا، ولم يتمكّن من إبادة الكرد وحركتهم. وإن عمليات الكريلا في بداية الشتاء 2024 ضد الجيش التركي والخسائر الفادحة التي ألحقت بجيشها أقلق أردوغان وجيشه.

كما ذكرنا وعلى الصعيد الخارجي فقد انتقل من "صفر مشاكل" إلى " ألف مشكلة"، وفي موضوع قضية مقتل جمال الخاشقجي (2 أكتوبر 2018)في القنصلية السعودية في استنبول لم يوفّر أردوغان وصفاً نابياً إلّا ونعت به السعودية، وقد وصلت العلاقات بين البلدين إلى شبه القطيعة، حيث قامت السعودية بحملة مقاطعة البضائع التركية. وفي الجانب الآخر فإنّ كبير رجال المافية التركية "سادات بكر" قد كشف من الإمارات العربية المتحدة حقيقة سلطة أردوغان ومسؤوليه المرتبطين مباشرة مع عصابات المافيا وتجّار المخدّرات، وهذه المسألة قد تسبّبت بقطع العلاقات بين تركيا والإمارات بشكل كامل، وحينها وجّه أردوغان كثيرًا من الألفاظ البذيئة للقيادة الإماراتية.

ومن جانب آخر ساءت علاقات تركيا مع مصر بسبب اهتمام أردوغان بحركة الإخوان المسلمين ودعمه لرئيسها محمد مورسي وأحتضانهم في تركيا، خصوصًا أنّ فوز عبدالفتاح السيسي بالرئاسة المصرية قد أزعج أردوغان كثيراً، مما دفعه إلى وصف السيسي بالانقلابي والدكتاتور، كما أنّه قد تسبّب في فوضى عارمة في ليبيا نتيجة تدخّله في الشؤون الليبية الداخلية، حيث قدّم بشكل مباشر الدعم اللوجستي والسلاح وكل أشكال الدعم لمعارضي خليفة حفتر (فايز السراج)، وفي الدول العربية مثل تونس وغيرها حاول أردوغان جاهدًا أن يجد موطئ قدم له في تلك الدول من خلال دعمه لجبهة النهظة ورئيسها راشد الغنوشي، كما ساءت علاقات تركيا مع اليونان بسبب المطالبة ببعض الجزر

وعمليات البحث والتنقيب عن الغاز في البحر المتوسط. باختصار نتيجة سياسات أردوغان التخبّطية وتدخله في الشؤون الداخلية للدول، أصبحت تركيا دولة منبوذة ومثيرة للقلاقل في المنطقة.

الغريب وكأنّه لم يحدث شيء وبعد كلّ هذه الشتائم والكلمات البذيئة والغليظة التي وجّهها أردوغان إلى قادة مصر والإمارات والسعودية وغيرها، وذلك بعد فشله في مشاريعه في سورية، حيث ارتمى على أقدام قادة ورؤساء هذه الدول طالباً العفو والغفران لما اقترفه، وطلب فتح صفحة جديدة في تحسين العلاقات معها. فهذه الاستدارة التي بلغت مائة وثمانين درجة قد أفقدت أردوغان وحكومته الثقل تماماً، كذلك فقدت تركية معها دورها ومكانتها على المستوى الإقليمي والعالمي. ولربّما يبرّر البعض موقف أردوغان هذا ويصفه بالحنكة السياسية والبراغماتية، لكن في الحقيقة جاءت هذه الاستدارة على حساب تركيا وليس الدول الأخرى ، وأردوغان هو الذي تنازل عن أهدافه وطموحاته، تنازل في كثير من الملفات مثل الكفّ عن العبث بليبيا وطرد قيادات جماعة الإخوان المسلمين من تركيا وإغلاق قنواتها الإعلامية مثل (أورينت) وغيرها من الإجراءات الأخرى.

متى برزت خلافات أردوغان مع أمريكا والقوى الغربية؟

إذا تتبّعنا مسار علاقات الدولة التركية مع الدول الغربية وأمريكا منذ 2000-2002م وحتى الأزمة السورية 2011 سوف نجد أنّها علاقة قوية ونشطة، وكل شيء يمضي حسب ما تمّ التخطيط له مع تركيا، بتعبير آخر؛ فقد تمّ فتح الطريق وتسهيله أمام الإسلام السياسي(المعتدل) في تركيا بقيادة أردوغان وعلى المستوى الإقليمي في إطار الشرق الأوسط الكبير (الجديد)، وكانت تركيا تستمدّ دعمها وقوّتها من قوى الهيمنة العالمية وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل وبريطانيا، وكان أردوغان يتحرّك وفق ما خُطّط له.

لقد حصل الغزو أو التدخّل التركي الحقيقي (مقصدنا غزو العقول) للدول العربية ثقافياً بعد عام 2000 من خلال المسلسلات التركية التي تمّت ترجمتها من اللغة التركية إلى اللغة العربية من قبل شركات الدبلجة الإماراتية والسورية وغيرها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على شكل من أشكال الغزو الثقافي، من خلال هذه المسلسلات كان يتم تمجيد التركياتية والعثمانين وتمزيق وتفتيت الأخلاق المجتمعية وفرض ثقافة الإسلام المعتدل على المنطقة شيئا فشيئا، بحيث تجعل (أي المسلسلات) من تركيا دولة قوية في أعين الناس البسطاء، وباشور كردستان أيضاً (إقليم كردستان) قد نال حصّته من هذا الغزو الثقافي عن طريق الإعلام وقنوات التلفزيون.

وليس من الخطأ تسمية ذلك بالخطوة الأولى للاحتلال والغزو، أي التدخّل التركي في شؤون دول المنطقة. أردوغان وبعدما شكل أرضية خصبة لمشروعه بين المجتمع العربي، زار سوريا عام 2009 و التقى مع بشار الأسد حيث عُقد اتفاق تعاون استراتيجي بين البلدين ولكن تغير الوضع فجأة وبعد مرورعدةّ سنوات وجدنا الغزو والاحتلال بشكله العسكري في سوريا والعراق، كما رأينا تدخّلاتها في ليبيا وقرباخ وإقريقيا وغيرها الكثير من المناطق الأخرى. لذا بإمكاننا القول أنّ تركيا قد لعبت الدور السلبي والمزعزع والمحرّض في المنطقة، من خلال استخدام طائراتها وبيع المسيّرة خلال السنوات العشرة الماضية في سبيل تحقيق طموحاتها في "الميثاق الملّي" وإحياء العثمانية الجديدة.

لقد كان الانتشار الواسع والطاغي لثقافة الإسلام السياسي بقيادة أردوغان في المنطقة يتم بموافقة كلّ من بريطانيا وأمريكا. إذاً متى برزت الخلافات بين تركيا وأمريكا والغرب؟ لقد برزت تلك الخلافات عندما بدأ أردوغان يتحرّك وفق مصالحه وأجنداته الخاصة، وبغاية التوسّع في إحياء العثمانية الجديدة والقضاء على أي تطلعات للشعب الكردي لنيل حقوقه في سورية وليس حسب الخطط المرسوم له من قبل أسياده، كذلك شراء تركيا منظومة (اس 400) من روسيا والعلاقات الحميمية معها أغضبت أمريكا والناتو والدول الغربية بشكل عام.

وقد صرّح الرئيس الأمريكي (جو بايدن) أثناء حملته الانتخابية(2021) في هذا السياق: "إذا ما فزتُ في الانتخابات فسوف أزيحه عن السلطة، إنّه دكتاتور". ويقصد هنا أردوغان. الحقيقة لقد بدأت العلاقات التركية الأمريكية تسوء بعد أعوام ٢٠١٤- 2016 خاصة مع الانقلاب الذي حصل في تركيا، حيث اتُّهمت أمريكا في أن تكون هي الضالعة في ذلك الانقلاب. في الجانب الآخر يتزامن ذلك التاريخ مع إيقاف عملية السلام والمفاوضات التي كانت جارية مع القائد عبدالله أوجلان في إمرالي، وفي الوقت نفسه يتلاقى ذلك التاريخ مع تشكيل تحالف الدولي لمحاربة داعش في سوريا والعراق، تركيا كانت توّاقة للانضمام إلى الحرب ضد داعش أثناء تحرير الموصل، الرقة، والحقيقة أنّ تركيا لم تكن تريد الانضمام إلى الحملة في الموصل والرقة لأنّها فعلا لم تكن تريد محاربة داعش، بل لأنّها كانت تريد وبذريعة داعش أن تصل إلى تلك المناطق، فهي تحسب تلك الأراضي ملكًا لها بحسب الميثاق الملّي، وكانت أمريكا على دراية بالمآرب التركية لذلك فقد حالت دون مشاركتها، لأنّ أمريكا كانت على يقين بأنّ الدولة التركية لا لن تحارب داعش إذا ما دخلت منطقة ما فلن تخرج منها بسهولة.

لا تسمح أمريكا ولا القوى الغربية في تشكيل دولة إسلامية ذات أفكار متطرّفة ومتشدّدة سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي، وترى أنّها تشكّل خطرًا عليها، فحركة الإخوان المسلمين التي هي بالأساس مشروع بريطاني، وتدّعي أنّها حركة معتدلة، لكن عندما سنحت الفرصة لها تبيّنت على حقيقتها بأنّها لا تختلف بشيء عن الحركات المتشدّدة الأخرى من ناحية العنف وخطاب الكراهية والتحريض.

وخلال فترة الحرب في السورية بدا بشكل واضح أنّ حركة الإخوان المسلمين وضعت نفسها في خدمة أجندات الدولة التركية، وأظهرت عداءها للكرد بشكل علني من خلال منابرها الإعلامية، وفي مقدّمتها قناة الجزيرة التي قامت بنشر برنامجَين، وهما (المسافة صفر- والكرد يبنون دولة في شمال وشرق سوريا) ومن خلال هذين البرنامجين كانت الجزيرة تحرّض تركيا وتدفعها لمهاجمة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، وكذلك قناة أورينت، لسان حال الإخوان المسلمين، أرادت خلال أحداث ديرالزور أن تفتعل فتنة بين الكرد والعرب، حيث بدأت بحملة إعلامية تضليلية شرسة ضدّ الكرد، كما أنّ علماء الدين والملالي من خلال الجوامع وعبر قنوات التلفزيون وفي شوارع عفرين كانوا يفتون بقتل الكرد.

خلال الأزمة السورية وخاصة السنوات العشرالأخيرة شعرت الدول الغربية وأمريكا بخطورة الإخوان المسلمين. حركة الإخوان التي كانت تتظاهر بأنّها تمثل الإسلام السياسي المعتدل، لمّا سنحت

لها الفرصة سرعان ما اتّحدت مع الفصائل المتطرّفة وباتت تمارس العنف. لذا استُبعدَت حركة الإخوان من الحكم في عدة دول، ابتداءً من مصر ومن ثم الدول الأخرى واحدة تلو الأخرى.

لقد رأينا كيف أنّ محمد مرسي قد فاز في الجولة الأولى من الانتخابات المصرية عام 2012 وأصبح رئيسا لمصر، لكن بعد ذلك أُقِيل من منصبه وتمّ اعتقاله بين ليلة وضحاها ليفارق الحياة داخل سجنه، وفي تونس قدمت المحكمة دعوى قضائية بحق راشد الغنوشي على اثره تم اعتقاله واستبعاده عن الحكم، كما استُبعِد رئيس حكومة الوفاق فايز السراج حليف أردوغان في ليبيا، وكذلك عمر البشير عن الحكم في السودان.

احتضن أردوغان الذي يحمل نفس الأفكار والمعتقدات حركة إخوان المسلمين في تركيا، وقدّم لهم مختلف أنواع الدعم والمساعدة بعد عام 2011، أردوغان هو الأخر يتعرّض للضغوطات من قبل إسرائيل وأمريكا وبريطانيا، وخاصة في موضوع دعمه لحركة حماس ووصفها "بحركة المقاومة". فتداعيات حرب غزة التي شنتها حماس ضد إسرائيل قد أفرزت إلى إعادة تعريف التطرّف، في النقاشات الدائرة بين الوزراء البريطانيين تم التأكيد على سَنّ قوانين جديدة لمن "يروّج للعنف أو الكراهية أو التعصّب" ففي منتصف شهر آذار قال وزير المجتمعات المحلية (مايكل غوف) إنّ تصاعد التطرّف منذ الحرب بين إسرائيل وغزة يشكّل "خطراً حقيقياً" على المملكة المتحدة. فالنقاشات التي دارت بين الوزراء البريطانيين حول "العنف والكراهية والتعصّب" ومن يحرّضها ينطبق على حركة إخوان المسلمين.

فسياسات حركة الإخوان المسلمين ومواقفها خلال السنوات الأخيرة لاسيما في الأزمة السورية كانت مشينة وتحريضية إلى درجة ما، خاصة حيال الكرد، فمنذ بداية الأزمة كان هدف الإخوان المسلمين الأساسي الاستيلاء على السلطة في سوريا بدعم ومساندة أردوغان والمال القطري. هل ستعمل حركة الإخوان المسلمين على دمقرطة سوريا؟ كلّا؛ فذهنيتها طائفية ومذهبية، فهي الأخرى تفكيرها لا يختلف عن تفكير أردوغان الذي يقول "العلمانيون حكموا تركيا مئة عام والآن جاء دورنا" فالإخوان المسلمين أيضاً يقولون أنّ "العلويين وهم أقلية قد حكموا سوريا خمسين عاماً، والآن جاء دورنا نحن السنة". إذًا لا اختلاف في الذهنية. التاريخ أثبت أنّ مَن يعادي الكرد ويحاربهم سيكون مصيره الفناء، وتجربة داعش لا تزال ماثلة أمام أعيننا؛ فداعش التي سيطرت على العراق وسوريا لم يستطع أحد إيقافها، وعندما أخطأت وهاجمت الكرد وحاربتهم فقدت جغرافيتها وكيانها وهيبتها واندحرت على يد قوات قسد، وكذلك حركة الإخوان المسلمين التي يستخدمها أردوغان خدمةً لمصالحه عندما تعادي الكرد فإنّها تضرّ نفسها، فالكرد لن ينسوا ما تقوم به حركة الإخوان المسلمين بحقهم. فها هم يتقهقرون من ذاتهم، حيث أحجمتهم قوى الهيمنة العالمية.

وهنا أمام أردوغان خياران، الأول: أن يتحرّك وفق برنامجه الشخصي الذي يهدف إلى تطبيقه في المنطقة دون أن يبالي بأمريكا والغرب، وفي هذه الحالة قد حكم على نفسه بالفناء. والخيار الثاني: هو أن يتحرّك في إطار الأهداف والخطوط المرسومة له كما كان من قبل، وذلك حسب النموذج الذي أعدّته أمريكا والقوى الغربية له (فيعمل كقوة سياسية إسلامية معتدلة)، ولا يطمح في التوسّع والتدخّل

في شؤون دول المنطقة، وتعمل تلك القوة تحت سيطرة أمريكا والغرب، فإذا ما التزم أردوغان بهذه الشروط فسوف يُسمَح له بالبقاء في الحكم، كما سيُكلّف بلعب دور إقليمي كمنافس لإيران.

في الحقيقة أردوغان لم ينجح بأصوات الناخبين في انتخابات 2023 الرسمية، بل نجح بالتزوير، ومن خلال توافقات بينه وبين القوى الغربية وأمريكا، وموافقة أردوغان على انضمام السويد إلى الناتو بعد الانتخابات ببضعة أيام تندرج في إطار هذه التوافقات. حسبما يتبيّن فإنّ هذه فرصة أردوغان الأخيرة، فإذا لم يستغلّ فرصته هذه، فسوف يستبعدونه من السلطة كما فعلوا لقادة الإخوان الآخرين في مصر وتونس وليبيا والسودان، وسيأتون بأُناس يتناغمون مع سياساتهم، (القوى الغربية وأمريكا). وتصريح أردوغان الأخير قبيل الانتخابات "هذه أخر انتخابات بالنسبة لي" يؤكد صحة ما نقوله، قد أدرك أردوغان هذا الأمر ويسعى جاهداً إلى إصلاح علاقاته مع كلٌ من أمريكا وأوروبا ليُمنح له الضوء الأخضر والبقاء في الحكم مدةً أطول. بتصوّرنا فإنّ هذه هي الفرصة الأخيرة الممنوحة لأردوغان.

للكرد مكانة في الحكم في "الشرق الأوسط الجديد" مستقبلاً:

سيُؤخذ الكرد بعين الاعتبار وسيكون لهم دورٌ ومكانة في الحكم في مشروع إعادة بناء الشرق الأوسط الجديد في القرن الحادي والعشرين، ولربّما لن يكون وفق ما يطمح الكرد إليه بالضبط، ولكن المهم أنّه ستكون لهم مكانة فيه.

فبعد 40 عاما من الحرب التي كانت تقدّم فيها أمريكا والناتو جميع أنواع الدعم لتركيا إلّا أنّ تركيا رغم ذلك لم تتمكّن من القضاء على حركة حرية كردستان في شمال كردستان، والآن بعدما تبيّن أنّه لم تتمكّن تركيا من دحرها عسكرياً فلابد من أن تُستأنف المفاوضات مع القائد أوجلان في جزيرة إمرلي، وأن تكفَّ عن سياسة الإنكار وتعترف بحقوق الكرد المشروعة.

إن المستجدّات والتغيّرات في السياسة الأمريكية خلال السنتين الماضيتين حيال سوريا، من حيث إيقاف سحب جنودها من سوريا، كذلك الزيارات المكوكية لقيادات العسكريين الأمريكيين رفيعي المستوى في الآونة الأخيرة إلى شمال وشرق سوريا، إن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على حدوث تغيير في الاستراتيجية الأمريكية حيال سياستها الخارجية ولا سيما بخصوص سوريا، يبدو أنّ أمريكا قد استفادت من وراء التحالف مع قسد في موجهة داعش ودحرها، لذا تريد الاستمرار في هذا التحالف إلى حين حدوث تغيرات في الوضع السوري واتخاذ خطوات عملية نحو الحل.

إنّ الكرد اليوم في موقع يُحسَدون عليه، فهم الأكثر تنظيماً وتدريباً في الأجزاء الأربعة من كردستان (تركيا والعراق وإيران وسوريا). فالمجتمع الكردي مجتمع متحضّر ومتطوّر ومنظّم سياسياً وعسكرياً، والثورة التي قامت في شمال وشرق سوريا بريادة المرأة برهنت ذلك على أرض الواقع، وانتفاضة جينا أميني "محسا أميني" التي قادتها المرأة الكردية ونساء إيران وشملت معظم مدن إيران تحت شعار: (المرأة، الحياة، الحرية (Jin, Jiyan, Azadî)) في وجه الملالي من أجل الحرية والديمقراطية ما هي إلّا انعكاس لثورة روج آفا؛ من هنا تبرز أهمية ودور الكرد في ترسيخ الديمقراطية في هذه الدول التي يعيش فيها. فالكرد ليسوا قوميين ولا عنصريين ولا متطرّفين دينيّين مقارنة مع الآخرين في المنطقة، وبإمكان الكرد خلق توازن استراتيجي بين هذه الشعوب في الدول

الأربعة سابقة الذكر. لذا؛ يجب على هذه الدول ألّا تتخوّف من الكرد؛ فالاستماع إلى الداخل وحلّ القضايا الداخلية والمصالحة مع الكرد بالطرق الديمقراطية لا تضعف هذه الدول بل تعزّز من مكانتها وتقوّيها. وإذا ما تم اتّخاذ بعض الخطوات الجريئة بهذا الصدد ونال الكرد حقوقهم فإنّ هذه الدول ستصبح أكثر قوةً.

لذلك فأمريكا ستجد نفسها بحاجة ماسّة إلى الكرد، لا سيما إلى منظومة الأحزاب المتبنية لفكر وفلسفة اوجلان وخاصة حزب العمال الكردستاني (PKK) لأنّ فلسفة أوجلان هي الأكثر تنظيماً وديمقراطيةً وعصرانيةً في الدول التي ذكرناها (تركيا، العراق، إيران وسورية)، ويتطلّب ذلك من أمريكا أن تخطو خطوات جدية نحو حلّ القضية الكردية، بدايةً من رفع اسم حزب العمال الكردستاني (PKK)من لائحة الإرهاب لأنها حركة تحرر وطنية، ومن مصلحة أمريكا أن يكون الكرد إلى جانبها، فبإمكانها أن تضغط على تركيا لتتصالح مع الكرد وتعترف بحقوقهم؛ وحل إشكالية لوزان التي أنكرت حقوق الكرد والتي مضى عليها مئة عام وإيقاف هدر الدماء.

بخصوص هذا الموضوع فإذا ما تم فتح المجال أمام القائد عبدالله أوجلان وإطلاق سراحه في لعب دوره الهام ، دعك عن حلّ المسألة الكردية، فبإمكانه حلّ جميع القضايا العالقة في الشرق الأوسط. لقد حصل تغيير كبير في وضع الكرد لاسيما وضع المرأة الكردية، فقد قطعت أشواطاً كبيرة في الريادة والطليعة، تلامسنا هذا في انتفاضة المرأة الإيرانية تحت شعارها "المرأة، الحياة، الحرية" التي أخذت إلهامها من نساء شمال وشرق سورية، فوضع الكرد ليس كما كان إبّان الحرب العالمية الأولى بل قد تغيّر كثيراً.

سوف نرى كيف أنّ الكرد هم الذين سيحدّدون مصير سوريا مستقبلاً، كذلك فهم المرشّحون أن يتولّوا الريادة في التغيير والديمقراطية في سورية وعلى مستوى الشرق الأوسط مستقبلاً. جدير بالذكر أنّ مبشّراً بريطانياً قبل مئة عام - ابان الحرب العالمية الأولى - يقول في تقرير له إلى حكومته: " إنّ الكرد ضيّقوا الأفق، متعصّبون عشائرياً ودينياً، فهم ليسوا أرباب الإدارة وتسيير أمور الدولة." لا ننسى أن بريطانيا عندما قسمت الشرق الأوسط اتخذت مصالحها في الدرجة الأولى ولم تسأل شعوب المنطقة فيما هم راضون عن هذا التقسيم أم لا. ولنفترض أن هذا الادعاء فيها نوع من الصحة، فنسأل هنا هل ما زال الكرد مثلما هم قبل مئة عام؟ بالطبع لا. الكرد قطعوا أشواطاً كبيرة في مسيرتهم في تنظيم أنفسهم نحو التقدم والتطور لنيل حقوقهم . هناك مقولة يرددها الكرد خلال العقود الثلاث الماضية بين بعضهم "كُرديُّ اليوم ليس ككُرديّ الماضي".

نرى أن القيادة الكردية الحالية ليست كالسابق، فهو ذو فكر عصري متنور، ولا ننسى أن الكرد استخلصوا الدروس والعبر بما فيه الكفاية من الانتفاضات والحروب التي خاضوها خلال القرن الماضي، كما تعرّفوا على نقاط ضعفهم وقوّتهم، فها هم اليوم قد بنوا جيشاً بكل مكوناتها يتجاوز مئة ألف مقاتل يقاتل تحت راية قسد، كذلك فإن الإدارة الذاتية الديمقراطية في شمال وشرق سورية التي تستند إلى فكر الأمة الديمقراطية وإخوة الشعوب تدير ثلث مساحة سورية بعربها وكردها وسريانها والتي يتجاوز عدد سكّانها خمسة ملايين.

حارب الكرد داعش والفصائل المتطرّفة الإسلامية نيابة عن الإنسانية جمعاء، وضحّوا بأغلى ما لديهم؛ حيث قدّموا إثنا عشر ألف شهيد وعشرين ألف جريح، وبالتالي أوقفوا تمدّد داعش في سوريا والعراق وأنهوا وجودهم الجغرافي. حان الوقت كي يعترف المجتمع الدولي بحقوق الكرد المشروعة في أجزاء كردستان الأربعة، فاليوم قد وصل الكرد إلى مرحلة بإمكانهم إدارة أنفسهم بأنفسهم. بالرغم من احتلال الدولة التركية لثلاث مناطق في شمال وشرق سوريا، والهجمات شبه اليومية عليها، والحصار الجائر من قبل الدول المعادية للكرد فقد استطاعت الإدارة الذاتية الديمقراطية في شمال وشرق سوريا وعلى مدار 12 عاماً إدارة هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً وحمايتها أمنياً وعسكرياً، وهذا بحدّ ذاته يُعتبَر من المعجزات (كما قالها نعوم تشومسكي)في ظل هذه المعمعة والأزمة المتفاقمة وحالة اللااستقرار السائدة في سوريا.

الشرق الأوسط الجديد واستراتيجية توازن القوى:

في إطار مشروع إعادة بناء الشرق الأوسط الجديد، وحسبما يتّضح، فإنّ قوى الهيمنة العالمية سوف تعتمد على استراتيجية التوازن بين القوى الإسلامية والعلمانية واليسارية والاشتراكية وغيرها في إدارة المنطقة، وستتّبع سياسة تكافؤ القوى بحيث لا تتخطّى قوة على أخرى، كي يكون الوضع تحت السيطرة وتكون القيادة سهلة.

بالرغم من أنّ مشروع الإسلام السياسي المعتدل مشروعٌ بريطاني وأمريكي وكانت تتمثّل في حركة الإخوان المسلمين نوعاً ما في بسط سيطرتها على عموم شرق الأوسط، إلّا أنّه حصل تغيير استراتيجي خلال العقد الأخير. تبلور الوضع أكثر بعد الربيع العربي، فمع اعتقال محمد مرسي (أحد قياديي الإخوان المسلمين) الذي نجح في الانتخابات كرئيس لمصر ووضعه في السجن، والمداخلة التي تمّت على الإخوان المسلمين في الدول الأخرى، حيث تم استبعادهم عن الساحة السياسية. إن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّه - ومن ضمنها حركة الإخوان المسلمين التي تدّعي أنّها معتدلة- فشلت وأنه لا مكانة للحركات الإسلامية المتشدّدة في مشروع إعادة بناء الشرق الأوسط الجديد، سيكون هناك مكانة للإسلام المعتدل التي لا تتعارض مع قيم الدول الغربية. كما وتجري محاولات تدجين وتهجين القوى اليسارية والاشتركية ودمجها في التركيبة الجديدة للشرق الأوسط من قبل قوى الهيمنة.

في الشرق الأوسط الجديد المزمع تشكيله مستقبلاً تسعى كلٌّ من أمريكا والقوى الغربية تحقيق توازن بين القوى الموجودة على الأرض. لا نتوقع أن يكون للإخوان المسلمين دوراً في الشرق الأوسط الجديد، رغم أنّها توحي بالاعتدال تارةً وتارةً أخرى تميل نحو التشدّد والتطرّف. وأردوغان ذو التوجّه الإخواني الذي يحرّض على العنف والكراهية مثلما فعل في أحداث دير الزور - وموضوع أحمد الخبيل(أبو خولة) حيث إحداث فتنة بين الكرد والعرب – كذلك دعمه العلني للعنف إبّان هجمات حماس على الإسرائيليين في 7 أكتوبر 2023، هو الآخر مستهدف؛ فإذا لم يقرّر أردوغان العدول عن مواقفه هذه فسيكون مصيره مثل قيادات الإخوان الآخرين الذين تم اقتلاعهم.

تركيا لا تستطيع القيام بحملة عسكرية في العمق العراقي دون موافقة أمريكا أو إيران:

سوف يتمّ تنفيذ مشروع الممرّ الاقتصادي بقيادة أمريكا بكلّ تأكيد، وفي النتيجة سوف تستفيد منه جميع الدول التي ذكرناها. فتح هكذا ممرّ لا يصبّ في مصلحة تركيا وإيران، وبالتالي ستحاول كلّ من

تركيا وإيران إعاقة ذلك، وكخطوة استباقية تحاول تركيا مع إيران فتح ممرّ اقتصادي من تركيا عبر البصرة إلى الخليج الفارسي؛ كمسعى منها لإفشال الممرّ الاقتصادي الأمريكي-السعودي-الإسرائيلي، وتخفيف العبء الاقتصادي والحصار الخانق على تركيا؛ فالزيارات والتحرّكات الدبلوماسية للمسؤولين الأتراك (الرئاسة التركية والخارجية والداخلية والاستخبارات) لكل من أمريكا والعراق وإقليم كردستان تندرج في هذا الإطار. وبحجة الأمن القومي لتركيا، ومحاربة حزب العمال الكردستاني يحاول أردوغان أخذ الموافقة من أمريكا لاحتلال مناطق أخرى في باشورى كردستان (شمال العراق) وتنفيذ حزام أمني حسب زعمه، في الجانب الآخر تسعى تركيا لإقناع العراق بالمشاركة في حملتها العسكرية المزمعة البدء بها.

بهذا الخصوص هناك إشارات لمشاركة البرزانيين في الحملة، باعتباره يقدّم كلّ الدعم والمساندة لتركيا في هجماتها على حزب العمال الكردستاني، لكن هذا وحده لا يكفي في ظلّ النقاش حول احتلال مناطق شاسعة من العراق تصل إلى عمق مئات الكيلو مترات، في هذا الحالة فإنّ تركيا بحاجة إلى موافقة أمريكية أو إيرانية للبدء بالحملة العسكرية، وإذا لم توافق إحدى الدولتين فإنّ تركيا لن تشنّ حملة عسكرية بمفردها.

فالوضع معقّد ومتشابك جدّاً، وليس من مصلحة أمريكا أن يتم إنهاء PKK لأن أمريكا بحاجة إلى PKK وأنصاره في سوريا وتركيا وإيران، ومن دون PKK يستحيل تحقيق التوازن في المنطقة، إن قبلت أمريكا أو لم تقبل فمعظم كرد روج أفا متعاطفين مع فكر وفلسفة القائد أوجلان، فلا بد أن تأخذ أمريكا هذا الأمر بعين الاعتبار. في الجانب الآخر إذا تُرِك ساحة سوريا للإخوان وداعش والفصائل المتشددة المحسوبة على تركيا (أي تركيا)ستستولي على سوريا، وهذا ما لا ترغبه أمريكا. لذا أمريكا بحاجة إلى PKK في كلٍ من سوريا وتركيا وإيران لأن لديها قوة جماهيرية كبيرة في كلٌ من هذه الدول. كذلك من غير الممكن أن تنتهي العداوة الإيدولوجية التاريخية بين إيران وتركيا بين ليلة وضحاها، فإيران أيضاً لا ترغب أن يتم القضاء على الإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا نهائياً، لماذا؟ لأنّها بكل بساطة هي الأخرى تستفيد من وجود PKK في التصدي للأطماع التركية وتوسعاته، فهي عامل أساس للتوازن في المنطقة. إذا لم تكن قسد موجوداً في شمال وشرق سوريا ستملئ كلا من الحركات الإسلامية المتطرفة كداعش والنصر والإخوان المسلمين والفصائل التابعة لتركية هذا الفراغ كما حصل في الشمال الغربي لسوريا والمناطق المحتلة من قبل تركيا. في الجانب الآخر فبقاء PKK مثل السيف المسلّط على رقبة تركيا وجعلها تستنزف طوال السنين بالتأكيد يصبّ في مصلحة إيران. تركيا تستغل ورقة المياه وتضغط على العراق لقبول أجنداتها، فالعراق ليست بحاجة إلى الممر الاقتصادي التي تطرحه تركيا لأن هذا الممر تخدم أجندات تركيا السياسية والعسكرية والاقتصادية في الدرجة الأولى، فأن نفط العراق يتم تصديره عبر دول الخليج، فكلمة الفصل في هذا الموضوع لإيران فالعراق يتفهّم من أنّ تركيا لديها طموحات، وتحاول من خلال البرزاني والسنّة امتلاك العراق، كما فعلت في سوريا من خلال الفصائل السنية المسلّحة المرتزقة، فانضمام العراق إلى هكذا عملية والإتيان بقوة تركية إضافية إلى أراضيها لا تصبّ في مصلحتها، من ناحية أخرى من خلال تهديداته المستمرة على الكرد في سوريا والعراق يحاول أردوغان تصدير أزماته الداخلية إلى الخارج.

لا نعتقد أن يُسمح لتركيا القيام بعملية على نطاق واسع على (گاري وقنديل) التي تقع في مناطق سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني القريبة من الحدود الإيرانية كما هو مخطّط، وسوف تكلفه خسائر كبيرة وخاصة أن أردوغان لم يحصل على النتائج المرجوة في الانتخابات البلديات في 31 أذار 2023حيث تراجع شعبيته وخسر الانتخابات أمام خصمه حزب الشعب الجمهوري (CHP) لكن بهدف إضعاف وكسر إرادة حزب العمال الكردستاني ستقوم تركيا بعمليات محدودة على بعض المناطق أو بعض النقاط التي يرونها مهمة، فهل ستحقق نتائج من وراء هذه العملية؟ العمليات السابقة أثبتت فشلها في القضاء على حزب العمال الكردستاني، ولن يختلف هذه العملية عن سابقاتها.

في الجانب الآخر، فقد زفّ قائد قوات الدفاع الشعبي مراد قارا يلان بُشرى للشعب الكردي في عيد النوروز 2024، وأعلن خلالها أنّهم باتوا يمتلكون الأسلحة المضادة للطائرات المسيّرة (درونات)، هذا من شأنه أن يغيّر المعادلة على الأرض، والنقطة الأخرى فإنّ الذهاب إلى قنديل وگارى ليس بنزهة، ربّما يكون الدخول إلى هذه المناطق سهلًا لكن يستحيل الخروج منها، بحكم الطبيعة الجبلية الوعرة، وكذلك المدن التي بناها حزب العمال الكردستاني تحت الأرض في تلك المناطق، فحرب الأنفاق ليست سهلة مثلما يظن البعض، لقد شاهدنا خلال العامَين الماضيَين كيف أنّ تركيا بقيت لأشهر تحوم حول هذه المغارات والأنفاق، ولم تستطع السيطرة عليها بسهولة إلّا بعدما استخدمت الغاز الكيميائي المحرّم دولياً.

الخلاصة:

بعد مصالحة إسرائيل مع العرب وإعلان الممرّ الاقتصادي الذي يربط بين الهند وأوروبا، لن تبقَ أية حاجة لإسرائيل لدى تركيا للعب دور مثلما كانت تلعبه في القرن الماضي، لأنّه ببساطة لن يبقى أيّ خطر من العرب يهدّد إسرائيل، وهذه المعادلة تنطبق على أمريكا والغرب أيضا، ولن يبقى أيّ داعٍ لتلك الأهمية التي كانا يعطيانها لتركيا. فأمريكا موجودة في العراق وسوريا أيضًا، واليوم لم يعد هناك من داعٍ للدور الذي كانت تلعبه تركيا سابقًا، لذا لم تعد لتركيا تلك الأهمية التي كانت تعطيها لها إسرائيل وحلفاؤها في السابق، خاصة أنّ نهج أردوغان وتشجيعه لحركة حماس والتفكير في التمدّد نحو دول الجوار، الأمر الذي أزعج كلًّا من أمريكا والدول الغربية وإسرائيل، وجعلت من تركيا وإسرائيل في حالة قطيعة في العلاقات أحياناً، بعد ما كانت قوية خلال خمسين عامًا الماضية.

خلافات إسرائيل ليست مع تركيا، وإنّما مع شخص أردوغان الذي يميل إلى الحركات الإسلامية المتطرّفة، فمواقف أردوغان هذه تتّجه نحو التشدّد مع مرور الزمن، مثلما سجّل نقطة لصالحه في مسرحيته في منتدى دافوس الاقتصادي (2009) عندما تدخّل أردوغان وقال لرئيس الوزراء الإسرائيلي: (one minute)، حيث دفاعه المستميت عن الفلسطينين (التجارة بالورقة الفلسطينية) وكذلك أرسال باخرة مافي مرمرة(Mavi Marmara) إلى غزة لكسر الحصار المفروض عليها، ومقتل بعض من عناصر طاقم الباخرة والمتطوعين على يد الجنود الإسرائيلين، وكذلك وصفه لحركة حماس في الفترة الأخيرة بـ (حركة مقاومة) وكلماته المبتزّة بحق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، فكلّ هذه المواقف تسجّل كنقاط ضد تركيا، وهذا ما تسبّب برودة في العلاقات، لا سيما تغريد

أردوغان خارج سرب الناتو والالتفاف على العقوبات الأمريكية التي فرضتها على روسيا، كل هذه الأسباب وغيرها تؤدّي إلى فقدان تركيا لموقعها الاستراتيجي في المنطقة مع مرور الزمن مستقبلاً.

وفي المجال السياسي إذا ما تتبّعنا المشهد سوف نجد أن تركيا كانت تعيش في السنوات الأخيرة حالة من العزلة، حيث كانت علاقاتها سيّئة جدا مع كلّ من سوريا والعراق والإمارات والسعودية ومصر وليبيا واليونان وأرمينيا وغيرها، وحتى مع إيران ورغم أنّهما تتّفقان حول بعض النقاط، إلّا أنّهما غير متّفقَتَين في كثير من النواحي وخاصة المذهبية.

وفي المجال الاقتصادي فإذا ما تمّ افتتاح الممرّ الاقتصادي (الهند-أوروبا) فإنّ اقتصاد تركيا ستتأثر سلباً وسوف تتضرر مصالحها بشكل عام. في الأونة الأخيرة أدرك أردوغان هذا الشيء، لذا فإنّه يحاول إعادة بناء وتصحيح علاقاته مع هذه الدول التي ذكرناها من جديد من أجل إنعاش وتنمية اقتصادها المتدهور والمنهار أصلاً. فبعد كلّ تلك الشتائم والألفاظ البذيئة التي وجّهها إلى قادة تلك الدول نجد أردوغان يرتمي أمام أقدامهم، ويضع الوساطات ويلحّ ويرجو لقاء الرئيس السوري.

المصادر:

1- inflation.eu

2- Aljazeera.net

3- bbc.com/arabi/articles/c28zddp8dko.amp

الأزمات المستجدّة في شرق المتوسط ومساراتها

- **مقدّمة:**

الكثير من الأزمات التي يعيشها الشرق الأوسط ليست حديثة العهد في هذا القرن أو القرن الذي سبقه، وإنّما وُجدت منذ أولى موجات الجفاف في نهاية العصر الحجري وبروز المجتمع (الطبقي-العبودي)، والبعض من الأزمات الراهنة تمتدّ بجذورها بشكل من الأشكال إلى تلك الفترة، وبعضها الآخر إلى فترات لاحقة من تلك الفترة؛ ولدى قراءة تاريخ المنطقة يبرز تصوّر حول مفهوم الأزمة كعامل ومؤثّر في تشكل التاريخ السياسي للشرق الأوسط، والذي يُعتقَد أنّه بدأ منذ أن قرّرت الإمبراطورية الأكادية- السومرية (2334-2218ق.م) ([1]) الاستفادة من الوضع الجيوسياسي المحيط بها عبر التوسّع العسكري في الجغرافيات المجاورة لها لإحتلالها وإخضاع شعوبها، حيث تحوّلت على ما يبدو إلى شريعة للممالك والدول التي أعقبتها إلى تاريخنا المعاصر.

تشهد منطقة الشرق الأوسط مجموعة من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتكفي مشاهدة القنوات الإخبارية التي تغطّي المنطقة لمعرفة كمّ المشكلات والمآسي الناجمة عنها، والتي تعدّ بالدرجة الأولى نتيجة لفشل السلطنة العثمانية ومن بعدها مشروع دولة القومية الواحدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، ولاحقاً الدولة القومية- الطائفية التي ظهرت في فترة الحرب الباردة؛ وذلك بسبب عجز الأنظمة الدولتية عن الاستجابة لمتطلّبات التطوّر الحضاري أو تحقيق الأمن الإنساني للمجتمعات التي حكمتها، ولا تزال الأوضاع متأزّمة بشكل أكثر حدّة؛ ويرى المفكر العربي، محمد حسنين هيكل، في تحليله للأزمات التي عاشها الشرق الأوسط في النصف الأول من القرن الماضي بأنّ([2]) "المشاكل التي وقعت، الأحلاف والمشروعات والمناورات والمؤامرات، تركت وراءها آثاراً ورواسب تراكمت بعضها فوق بعض، وتفاعلت العوامل البشرية في أعماق نفوس الرجال، الذين يصنعون الحوادث في الشرق الأوسط، أو يصنعونها للشرق الأوسط، وكانت نتيجة التفاعل، وذلك الذي نراه ونشعر به في المنطقة اليوم. أو بعبارة أكثر تحديداً أنّ الشرق الأوسط الآن لا تحكمه المشاكل نفسها، وإنّما تحكمه العقد التي خلّفتها المشاكل.."، ولدى مقاربته بتحليل المفكّر الكردي، عبد الله أوجلان، لمفهوم الدولة([3]) التي تشرعن ذاتها باستثمار حاجة المجتمعات إلى الإدارة العامة في شؤون

[1] جوشوا جي مارك؛ مدينة أكّاد؛ ترجمة: سامي الأطرش؛ الناشر: موسوعة تاريخ العالم؛ الرابط:
https://www.worldhistory.org/trans/ar/1-363/

[2] محمد حسنين هيكل؛ العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط؛ الطبعة الأولى 1958؛ الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر؛ ص14.

[3] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/المجلد الرابع/ أزمة المدنية وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014؛ بلا ناشر؛ ص375.

الأمن والعدالة والاقتصاد والتعامل مع المجتمعات بمعاملة الراعي مع القطيع([4])، يمكن أن نستنتج بأن الإصرار على فكرة بناء الدولة- بمفهومها التسلّطي- لا تزال العقدة التي خلّفت الكثير من الأزمات ولا تزال، ويمكن الاستدلال على ذلك بالمشاكل التي أفرزتها السلطنة العثمانية والدول المنبثقة من اتفاقيات: سايكس- بيكو، ولوزان في الفترة ما بين الحربين العالميتين، سواء من ناحية المجازر التي ارتكبت وعمليات تهجير الشعوب من أجل الحفاظ على دولة القومية الواحدة ([*])، أو من ناحية الفشل في الاستجابة للأزمات التي عصفت ولا تزال تعصف بالمنطقة والعجز عن تحقيق التنمية المستدامة رغم الموارد والثروات التي تزخر بها المنطقة، حتى تحوّل احتمال نشوء دولة قومية لشعب ما مختلف إلى فوبيا للدول القائمة على قومية ما تهيمن على ذلك الشعب، وهذا ما يمكن ملاحظته في كل من القضية الكردية والقضية الفلسطينية؛ رغم وجود حلول تفيد الجميع كالكونفدرالية أو الفدرالية.

ومن الأزمات المعقّدة في المنطقة تبرز الأزمة السورية التي لا تبدي أيّة مؤشّرات على قرب نهايتها، ليس لأنّ النظام السوري والمعارضة السورية التابعة لتركيا بارعان في كل من السياسة والقيادة العسكرية، وإنّما لأنّ مَن يحكم الأزمة هي عقدة الفشل بين القوى التي أخفقت في الهيمنة على هذه البلاد، واتجهت إلى تغيير موقفها والتخلّي عن إسقاطه كموقف النظام التركي على سبيل المثال، واكتفى الجميع بتقاسم ما يسيطرون عليه اليوم والحفاظ عليه. حتى أنّ المعارضة (الدينية النزعة) للنظام السوري تدفعها عقدة الفشل بفترة السبعينات والثمانينات في الوصول إلى السلطة أكثر من التفكير بتحسين الوضع الداخلي للبلاد بالتوافق مع جميع مكوناتها.

قد يشكّل تعبير "الأزمات المستجدّة" إشكالية في عرض أزمات المنطقة التي تمتلك خلفيات تاريخية، إلّا أنّ الآثار التي خلّفتها على المنطقة غير مسبوقة؛ وهذا ما سيتم استثماره للاستعانة بتعبير "الأزمات المستجدّة" لوصف تجلّياتها من خلال الأوضاع الحرجة التي تمرّ بها منطقة شرق المتوسط والتركيز على الأزمة السورية كحالة مكثّفة ومعبّرة عن أزمات المنطقة وذات صلة بها بشكل مباشر أو غير مباشر، بالإضافة إلى كلّ من تركيا والعراق ولبنان وفلسطين بسبب تشابك أزماتها في العديد من الحالات، من خلال هذا البحث الذي سيعمل على تقديم قراءة جديدة نسبياً لبعض من هذه الأزمات من خلال التركيز على تحليل أبرز تجلّياتها وتحديد اتجاهاتها، بالاستناد إلى المنهج الوصفي التحليلي وأداة الملاحظة، وذلك بهدف المساهمة في فهم القارئ لأزمات المنطقة ودعم الأفكار التي تبحث عن الحلول الممكنة. وفي البداية ستتمّ مناقشة مفهوم الأزمة بشكل عام والمشكلات التي تعاني منها المنطقة للوصول إلى أبرز تجلّياتها والمتمثّلة بفشل التحوّل الديمقراطي، والعجز عن تحقيق التنمية والأمن الإنساني، وتنامي التطرّف القومي والطائفي، والهجرة القسرية، وفي النهاية سيتم تسليط الضوء على مسار هذه الأزمات وتقديم بعض المقترحات.

---

[4] نفس المرجع السابق؛ ص39.

[*] "تتعلق أفظع الكوارث التي أسفرت عنها الدولتية القومية بالتطهير العرقي الذي تعاني منه شعوب الشرق الأوسط. فقد آلت تجارب الدولتية القومية بالشعوب الهيلينية والأرمنية والسريانية والكردية الواقعة في فخ القوموية الباكرة في بلاد الأناضول وميزوبوتاميا، آلت بها في غضون القرن الأخير إلى حافة التصفية والزوال؛ على الرغم من أنها تمثل أعرق الثقافات المحلية التي عرفها التاريخ. وطيش قوموية الأمة الحاكمة في خلق مجتمع قومي متجانس منضو تحت لواء حدود صارمة وقطعية، بات بالنسبة للشعوب أشنع كارثة، بكل ما للكلمة من معنى.."

أنظر: عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي؛ ص605.

- **مفهوم الأزمة.**

يُستخدم مصطلح "الأزمة" بكثرة لوصف المآزق والأوضاع الطارئة في جميع المستويات، سواء على المستوى الفردي من أزمات نفسية ومادية واجتماعية، أو على المستوى الوطني من أزمات سياسية واقتصادية وبيئية، أو على المستوى الدولي من أزمات النزاع والصراع بين الدول. وتناولت الكثير من الأبحاث مفهوم "الأزمة" في اتجاهات مختلفة من اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية وغير ذلك، وعبّرت كلّ ثقافة عنها بطريقتها، كون الأزمة حالة عامّة يمكن أن يعيشها كلّ مجتمع في ظروف معينة؛ ومن التعاريف التي تناولت الأزمة:

بحسب الموسوعة السياسية ([5]) "الأزمة في معناها العام وبغضّ النظر عن المجال أو الميدان الذي تنتمي إليه سواءً كان سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً: هي عبارة عن موقف حرج يحدث فجأة، ويفرض على صانع القرار اتّخاذ قرار حاسم يمثّل له فرصة للنجاح أو الفشل.."؛ وأشارت إحدى الدراسات ([6]) إلى أنّ الأزمة "مصطلح يستخدم في مختلف فروع العلوم الإنسانية وبات يعني مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء..".

ومن تعريفات الأزمة ([7]):

- الأزمة تعني "الشدة والضيق، ومنه قولهم: أزمة سياسية، وأزمة اقتصادية.."
- الأزمة هي "خلل يؤثر تأثيراً مادياً على النظام كله، ويهدّد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها النظام".
- الأزمة حدث مفاجئ وغير متوقّع يؤدّي إلى صعوبة التعامل معه، ومن ثم ضرورة البحث عن وسائل وطرق لإدارته بشكل يحدّ من آثاره السلبية..
- الأزمة هي "حالة توتّر ونقطة تحوّل تتطلّب قرارًا تنتج عنه مواقف جديدة قد تكون ايجابية أو سلبية تؤثّر على مختلف الكيانات ذات العلاقة.. "

---

[5] الموسوعة السياسية؛ مفهوم الأزمة الدولية - The Concept Of The International Crisis؛ الرابط:
https://political-encyclopedia.org/dictionary/مفهوم%20الأزمة%20الدولية

[6] د. علاء عبد الحفيظ؛ الأزمات السياسية الدولية: المفهوم- الأنواع- الإدارة؛ الناشر: المعهد المصري للدراسات 17 نيسان 2020؛ الرابط:
https://eipss-eg.org/الأزمات-السياسية-الدولية-المفهوم--الأنواع--الإدارة/

[7] معجم المعاني الجامع- معنى الأزمة
د. علاء عبد الحفيظ؛ الأزمات السياسية الدولية: المفهوم- الأنواع- الإدارة؛ الناشر: المعهد المصري للدراسات 17 نيسان 2020؛ الرابط:
https://eipss-eg.org/الأزمات-السياسية-الدولية-المفهوم--الأنواع--الإدارة/
صخري محمد؛ الأزمة السياسية .... المفهوم والأبعاد؛ الناشر: الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية 2021.03.14؛ الرابط:
https://www.politics-dz.com/الأزمة-السياسية-المفهوم-والأبعاد/

ويبدو من المفيد تقديم مفهوم عملي للأزمة بدلاً من الخوض في مزيد من القواميس والمعاجم والنظريات المختلفة، لذلك وبالاستناد إلى المفاهيم المتنوعة يمكن التعبير عن الأزمة بأنّها عبارة عن موقف حرج وحالة طارئة يعقبها تدهور في الوضع سواء في المجال الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الصحي، وفي مستوى داخلي أو خارجي، وتتطلّب اتخاذ قرارات حاسمة للاستجابة لها.

ومن أبرز أنواع الأزمات:

هناك نوعان أساسيان من الأزمات يعدّان كعاملين رئيسين في التسبّب بحدوث معظم الأنواع الأخرى من الأزمات، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر؛ وهما:

الأزمة السياسية: وهي في أوسع معانيها ([8]) "موقف مفاجئ يُهدّد بتحوّل جذري في الوضع القائم بسبب المفاجأة وضيق الوقت المتاح لاتخاذ القرار، والتهديد القائم للمصالح الحيوية"، أما معناه الضيّق فهو احتكار للسلطة وضمان استمرار احتكارها من خلال أجهزة القمع والاستغلال ([9]) لذلك تعد منبع معظم القضايا.

الأزمة الاقتصادية ([10]) "اضطراب فجائيّ يطرأ على التَّوازن الاقتصاديّ، وينشأ عن اختلال التَّوازن بين الإنتاج والاستهلاك؛ ممَّا يسبّب الغلاء والإفلاس.."

ومن أبرز سمات الأزمة:

- وجود مأزق يصعب الاستجابة له، قد يكون له بُعد سلبي كشحّ الموارد أو وقوع كارثة أو تدهور الوضع الاقتصادي أو السياسي أو الأمني أو الصحي.. إلخ، وقد يكون له بعد إيجابي نسبياً كوجود موارد غنية يصعب استثمارها أو وجود فائض في الإنتاج يصعب تسويقه.
- انتشار التوتّر كحالة من القلق وعدم الثقة المتبادلة بين العامة والنخب، وتتسبّب باحتقان مشاعر الغضب والعدوانية أو مشاعر الخوف.
- النزاع باعتباره ([*]) "شكلاً من أشكال تعارض الإرادات بين طرفين أو أكثر تجاه موضوع ما، ينطوي على مصالح متضاربة لأطراف النزاع، بوضع يكون من الممكن فيه الوصول لآلية حلّ بإحدى أدوات فضّ النزاعات كالوساطة والتحكيم والتفاوض وما إلى ذلك، لتحقيق شكل من أشكال

---

[8] د. علاء عبد الحفيظ؛ الأزمات السياسية الدولية: المفهوم- الأنواع- الإدارة؛ الناشر: المعهد المصري للدراسات 17 نيسان 2020؛ الرابط:
https://eipss-eg.org/الأزمات-السياسية-الدولية-المفهوم--الأنواع--الإدارة/

[9] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/المجلد الرابع/ أزمة المدنية وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014؛ بلا ناشر؛ ص54.

[10] معجم المعاني الجامع- معنى الأزمة.

[*] الفرق بين الصراع والنزاع يكمن في أن الصراع يعتبر أعمق من النزاع.. أما "الصراع فهو أحد الأشكال المستعصية على الحل غالباً، نتيجة وجود مصالح متضاربة، من الصعوبة بمكان أن يتم الوصول في ظلها إلى شكل من أشكال التوافق بسبب عدم إمكانية تحقيق مصلحة أحد الأطراف إلا من خلال إنهاء الآخر.."، الموسوعة السياسية؛ الرابط:
https://political-encyclopedia.org/dictionary/النظرية%20الواقعية%20في%20تحليل%20النزاعات%20الدولية

التوافق بين الأطراف المتنازعة.."، قد يكون النزاع بين أشخاص أو بين جماعات أو بين السلطة والشعب أو بين الدول أو غير ذلك.

- **إحاطة عامة بالأزمات التي تعيشها منطقة شرق الأوسط.**

عانت مجتمعات الشرق الأوسط أكثر من غيرها من الأزمات والمشاكل على مر التاريخ؛ بسبب اضطرارها للرزوح دوماً تحت نير القمع والاستغلال من قبل الطبقات المحتكرة للسلطة، ويمكن وصف الوضع الحالي الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط بأنّها كتلة من الأزمات المختلفة، وتشكل الأزمة الاجتماعية نقطة تقاطعها، سواء على المستوى الإقليمي أو على المستوى المحلّي، فهناك حروب ومعارك دائرة وتنامٍ في خطاب الكراهية، ومجتمعات مقهورة، وتغيّرات في المناخ وتدهور بيئي، وصعوبة في تأمين تكاليف المعيشة؛ حيث توجد دول يعيش معظم سكانها تحت خط الفقر كما في سوريا ولبنان، بالإضافة إلى نسبٍ كبيرة جداً في باقي دول المنطقة.

ففي سوريا تستمرّ أزمتها المتفجّرة منذ عام 2011م بوتيرة متصاعدة، وباتت دولة فاشلة أو شبه منهارة، وتقاسمت مجموعة من الدول السيطرة والنفوذ على جغرافية البلاد، وانقسمت بين عدّة كيانات محلية، وتجري فيها حروب غير متناظرة (**)، فقد تحوّلت إلى ساحة للصراع الطائفي بين المتطرّفين السنّة والشيعة، وبين الثيوقراطيين والشوفينيين والديمقراطيين، وبين المحور الغربي والمحور الشرقي. وبحسب المبعوث الأممي الخاص بسوريا، غير بيدرسون، في جلسة لمجلس الأمن بخصوص الأزمة السورية التي عقدت في 27 شباط 2024 ([11]) فإنّ الوضع في سوريا يسوء وفقاً لجميع المؤشّرات ولا يمكن السيطرة عليه، وقال "ما زلنا لا نرى أي نتائج ملموسة في معالجة وضع ما يُقدّر بنحو 100 ألف شخص من المحتجزين تعسّفياً والمختفين قسرياً والمفقودين، على النحو الذي يدعو إليه القرار 2254"، وقال إنّه التقى هذا الشهر مرة أخرى بعائلات المفقودين والمحتجزين الذين ينحدرون من جميع مناطق سوريا، "والذين ما زالوا يعيشون في عذاب ويأملون في إطلاق سراح أحبّائهم المحتجزين أو على الأقل معرفة مكان وجودهم ومصيرهم".

ويرزح شمال غربي سوريا وأجزاء من شمال شرقها تحت احتلال النظام التركي ومرتزقته، وبحسب ما يتم رصده على أرض الواقع يجري تطبيق لعملية تغيير ديمغرافي ضد الكرد وأتباع الديانات المسيحية والإيزيدية، وشدّ في الخناق على أنصار الديمقراطية، وذلك بوسائل الترهيب والإفقار وسياسة التتريك والعثمنة بمساعدة جماعة الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى شنّ ضربات

** الحرب غير المتناظرة Asymmetric Warfare أو الحرب اللا متكافئة مصطلح يستخدم بشكل عام لوصف طريقة لخوض الحروب يستخدم فيها الطرفان بصورة ملحوظة تكتيكات وأسلحة مختلفة بسبب عدم قدرة الطرف الأضعف على القتال باستخدام طرق الطرف الأقوى. لذلك تشمل هذه الحرب استراتيجيات مثل لتمرد والإرهاب وحرب العصابات وحرب المعلومات وحرب الشبكات وحرب الإنترنت...

[11] أخبار الأمم المتحدة؛ سوريا: وضع إنساني قاتم وتأكيد أممي على الحاجة لوقف عاجل للتصعيد؛ تاريخ النشر: 27 شباط 2024؛ الرابط:
https://news.un.org/ar/story/2024/02/1128762

عسكرية على باقي مناطق شمال وشرق سوريا بشكل مباشر أو من خلال مرتزقتها، والعمل على إثارة النعرات القومية والطائفية(*)؛ ويعاني جنوب سوريا من بيئة أمنية هشّة؛ حيث تنشط أعمال الجريمة المنظّمة من عمليات الاغتيال والخطف وتجارة المخدّرات ونشاط عملياتي لتنظيم داعش والتنظيمات التابعة للحرس الثوري، بالإضافة إلي جماعات مسلّحة محلية والإدارة المخابراتية لشؤون المنطقة، وفي خمسة أشهر الأخيرة انطلقت منها وعلى فترات متقطّعة هجمات بالقذائف الصاروخية والطيران المسيّر على المستوطنات الشمالية لدولة إسرائيل، والتي ردّت بسلسلة عمليات قصف على أهداف في مناطق سيطرة النظام.

بالنسبة لوسط سوريا والبادية؛ فقد تحوّلت إلى ساحة للعمليات العسكرية بين تنظيم داعش من جهة وقوات النظام وحليفيه الروسي والإيراني من جهة أخرى، ولكلّ استراتيجيته الخاصة به، فداعش يعمل على تحويل البادية السورية إلى معقل له بعد طرده من شمال وشرق سوريا، لما للبادية من مزايا استراتيجية من ناحية الجغرافيا العسكرية، فمساحتها الواسعة نسبياً وقلّة عدد قاطنيها الذين في غالبيتهم من الطائفة السُّنّية والضعيفة في ولائها للنظام السوري وحلفائه، وعدم وجود قوة أيديولوجية منافسة له، وكثرة التلال والكهوف الجيرية والرياح المغبرة بشكل يُسهّل عمليات الاختباء والتواري والتسلّل التي تدعم عمليات "الكرّ والفرّ" التي ينفّذها التنظيم ضد قوات النظام، بالإضافة إلى ثروات المنطقة من حقول الغاز والنفط ومناجم الفوسفات، وهي ما تشكّل نقطة التنافس الرئيسية بين القوات الروسية والإيرانية، وإحدى أسباب الصراع مع داعش، مع وجود طموح إيراني لتأمين ممرّ برّي يربط إيران مع كلّ من بغداد ودمشق وبيروت وسواحل البحر المتوسط، وتحويل المنطقة إلى جبهة متقدّمة للصراع مع خصومها في المنطقة من الدول العربية السُّنّية وإسرائيل، ويشير مقتل العشرات من الضباط الإيرانيين في سوريا بالضربات الجوية الإسرائيلية إلى حقيقة ذلك.

وعلى الرغم من الاستقرار النسبي في شمال وشرق سوريا، إلّا أنّها تعاني من عمليات تآمرية ([12]) متعدّدة الأطراف، حيث يشكّل توجّهها الديمقراطي وإدارتها لموارد ثرواتها، تعارضاً مع أجندات كلّ من الأنظمة التركية والسورية والإيرانية والتنظيم الدولي للإخوان المسلمين وتنظيم داعش بالإضافة إلى قوى محلية أخرى، وتشنّ معظم هذه القوى عمليات عسكرية وخطاب كراهية ضد الإدارة الذاتية لمجتمعات شمال وشرق سوريا، ففي بداية العام 2024م صعّدت هذه القوى من عملياتها العسكرية

* تجلى ذلك في محاولة إثارة الفتنة في دير الزور عندما صرح وزير الخارجية التركي "حقان فيدان" بأنه "يجب التوقف عن تصوير قسد على أنها قوات شرعية وإلا فإنّ الاشتباكات التي نراها في دير الزور مجرد بداية..."
ابراهيم العلبي؛ بعد تأييد أردوغان للعشائر العربية في دير الزور.. هل تتدخل تركيا عسكريا؟؛ الناشر: الجزيرة؛ تاريخ النشر: 2023.09.09م؛ الرابط:
https://www.aljazeera.net/politics/2023/9/9/بعد-تأييد-أردوغان-للعشائر-العربية-في

[12] تعرف "العمليات التآمرية" على أنها: "برنامج يضم عدة عمليات استخباراتيّة يتم التنسيق بينها، غالباً ما تدار على فترة زمنية طويلة نسبياً، وذلك للتأثير على الجمهور أو الفئة المستهدفة للقيام بشيء ما أو الامتناع عن تنفيذ شيء ما، أو للتأثير على الرأي العام (الجمهور العام، النخب الاقتصادية، أو القيادات السياسية والعسكرية) ... لابد من التمييز بين نظريات المؤامرة غير العقلانية وبين الإدراك العقلاني بوجود تآمر في الحياة السياسية... للمزيد انظر: شادي عبد الوهاب؛ الخيار الصامت: توظيف "العمليات التآمرية" في إدارة التفاعلات الدولية؛ الناشر: المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة؛ تاريخ النشر: 2017.07.09؛ الرابط:
https://futureuae.com/ar-a/Release/ReleaseArticle/386/الخيار-الصامت-توظيف-العمليات-التآمرية-في-إدارة-التفاعلات-الدولية

ضد شمال وشرق سوريا عبر القصف الجوي التركي للبنية التحتية والمرافق الخدمية والنقاط العسكرية، وعبر العمليات البرية من خلال كلّ من مرتزقة النظام السوري وإيران وداعش؛ والجميع صعّدوا من حملتهم الإعلامية السلبية ضد المنطقة بعد إقرار "العقد الاجتماعي لإقليم شمال وشرق سوريا"، الأمر الذي وضع الإدارة الذاتية لإقليم شمال وشرق سوريا أمام تحدّيات كبيرة.

وتعاني الدولة العراقية من أزمة سياسية وانتشار السلاح خارج المؤسسة العسكرية الرسمية، والنشاطات العسكرية لكل من النظامَين التركي والإيراني وداعش، ومشكلة بعض القوى السياسية العراقية من سُنّية وشيعية مع قوات التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب.

وكذلك تشهد الدولة التركية أزمات سياسية واقتصادية، ولا تزال عاجزة نسبياً عن الاستجابة لمعالجة آثار زلزال شباط 2023م والتصالح مع الدول المجاورة لها، وما يجري في لبنان وإسرائيل وفلسطين بغنى عن التعريف، وما تبقّى من دول المنطقة ليست بمعزل عن أزمات هذه الدول.

بلا شكّ لم تعد أحوال بلدان المنطقة كما كان عليه حالها قبل عقد من الزمان، خاصة أنّ الأوضاع تدهورت إلى حافة الهاوية بعد هجمات حماس في 7 تشرين الأول 2023م على مستوطنات غلاف غزة؛ وهذا ما قد يعزّز انطباع بعض السياسيين المتشائمين بأنّه لم يعد هناك شيء اسمه سوريا واحدة وعراق واحد ولبنان واحد وفلسطين واحدة، ويبدو أنّ الدول الأخرى تسير على هذا المسار مع استمرار عجزها عن الاستجابة البنّاءة لأزماتها، وهذا ما يدعم فرضية الأزمات المستجدّة في الشرق الأوسط التي تختصّ بعدد من التجلّيات.

- **أبرز تجلّيات أزمات شرق المتوسط.**

يمكن تحديد ثلاثة مصادر لأزمات المنطقة وهي: الصراع الأيديولوجي في سبيل احتكار السلطة، وانعدام الإدارة الرشيدة للموارد الاقتصادية، وبراغماتية القوى الدولية؛ وانعكست هذه الأزمات بشكل رئيسي على المرأة من خلال الاستغلال والقمع والاضطهاد والتعامل معها وفق منظور جنسوي، وأفضت أيضاً إلى حالة يمكن التعبير عنها مجازياً بـ"تأنيث المجتمع" (أي عبوديته) من قبل الزمر المحتكرة للسلطة؛ ولم تتمتّع الأيديولوجيات القبلية والعشائرية، ولا الأديان القومية بمهارة حلّ القضايا المُعاشة وحلّ العبودية المتجذرة بل عزّزت العبودية الأيديولوجية، وكانت وعود الأديان في الأخوة والتكامل والاتحاد والسلام ذات تأثير محدود مقابل المصالح المادية التي وُريَت بغطاء مذهبي، وأفرزت قضايا جديدة بالانقسامات المذهبية واندلاع حروب القمع والاستغلال فيما بينها وضد المجتمع لتحقيق احتكار السلطة كوسيلة غير بنّاءة لحماية أيديولوجية الجماعة، وكأنّه محاولة "إخماد النار بالنار"، بل مهّدوا السبيل أمام أحداث مأساوية في الشرق الأوسط ([13]) وأتت بكومة أخرى من القضايا والأزمات والنزاعات التي تغذّي بعضها بعضاً بالتبادل؛ من ناحية أخرى يلاحظ أنّ دول المنطقة لا

[13] للمزيد راجع: عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/المجلد الرابع/ أزمة المدنية وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014؛ بلا ناشر.

تزال في حالة إنكار للبيئة بذرائع مختلفة، حيث تفتقر معظمها أو لا تهتم بمعالجة نفاياتها والاستجابة لمشكلة التصحّر، حتى أنّ أحد الأنظمة جلب نفايات نووية ودفنها في بادية دولته، وتبدو البيئة المثالية المتمثّلة بالجنّة منحصرة في المخيّلة ودعاية الجماعات المتطرّفة، ولا مكان لها ولو لجزء منها في الواقع الذي تعيشه على الأقل شريحة واسعة من اللامبالين أو اليائسين، في الوقت الذي يخلق محتكرو السلطة جنانهم الخاصة، وهذا ما يشير إلى التأثيرات الميثولوجية في ذهنية الإنسان.

وبما أنّه يصعب شرح جميع أزمات المنطقة في أوراق قليلة، تم تحديد أبرز تجلياتها، والتي تتمحور حول الفشل في الاستجابة البنّاءة لأزمات المنطقة، ويمكن ترتيبها بالشكل التالي:

1. الفشل في التحوّل الديمقراطي.
2. الفشل في معالجة آثار الكوارث الطبيعية والبيئية.
3. الفشل في منع تنامي التطرّف العقائدي بمختلف اتجاهاته.
4. الفشل في مواجهة عمليات الهجرة والتهجير.

يُلاحظ أنّ كل واحدة منها تحوّلت إلى سبب لأخرى ونتيجة لأخريات، وكأنّها تدور في حلقة واحدة؛ وهذا ما يفرض عرض شواهد وأفكار بخصوص كلّ واحدة منها.

أولاً- الفشل في التحوّل الديمقراطي.

تعرف عملية التحوّل الديمقراطي بأنّها ([14]) "عمليات وإجراءات يتم اتّخاذها للتحوّل من نظام غير ديمقراطي إلى نظام ديمقراطي مستقرّ خلال فترة زمنية محدّدة، يترافق معها إرساء مجموعة من القواعد والإجراءات التي تنظّم العلاقة بين الحاكم والمحكومين، مما يمكّن المحكومين من القدرة على رفض أو قبول أولئك الذين في السلطة.." بالإضافة إلى الحق في مراقبة السلطة ومساءلتها، وتتطلّب عملية التحوّل الديمقراطي بيئة اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية توفّر لها إمكانية الديمومة والتطوّر.

إنّ معظم مجتمعات الشرق الأوسط تعاني من قضايا السلطة والدولة، تحكمها دول ذات أنظمة محتكرة للسلطة باختلاف أشكالها، سواء أكانت تتربّع على عرش السلطة أو تتوارى خلفها؛ ورغم خطاباتها الوطنية وجعل الديمقراطية مصدراً لمنطلقاتها النظرية، إلّا أنّها لم تخرج من إطارها النظري إلى التطبيق العملي، ولم تتمكّن من تحقيق الاستقرار والسلام والازدهار لشعوب المنطقة، وتعاملت مع الشعوب التي تسلّطت عليها كقوة كولونيالية قوقعت البلاد، أو تعمل على قولبته في قالب الحزب الواحد أو الأسرة الواحدة أو القومية الواحدة أو الطائفة الواحدة، والتي بدورها تقوقعت في قالب (الزعيم الخالد) الذي حوّل السلالة إلى بؤرة أساسية للسلطة وإلى شكل أساسي للدولة كما يُلاحظ في معظم دول

[14] د. ماجدة منصور؛ التحوّل الديمقراطي وأثره على المشاركة الشعبية في الإصلاح الدستوري دراسة مقارنة؛ الناشر: جامعة المنوفية؛ الرابط:
https://jslem.journals.ekb.eg/article_182820_a1b9c97fac6a2f88900e7cae86c7ad72.pdf

الشرق الوسط، وإعادة تنشئة المجامع وفق مصالح الشرائح الفوقية للسلالة والسلطة والدولة، مما ينذر بعودة حروب السلطة الناشبة بهدف إنشاء أو هدم السلالات أو العوائل المحتكرة للسلطة.

إنّ عدم امتلاك هذه الأنظمة للمرونة والانفتاح على التغيير البنّاء لمجاراة تنامي الوعي السياسي وثورة الاتصالات الرقمية وتزايد العدد السكاني وتوسّع نطاق الاحتياجات الاقتصادية، يشكّل أزمة بحدّ ذاتها ومصدراً لثلثَي أزمات المنطقة؛ فمشكلة هذه الأنظمة تكمن في الإصرار على السلطة المركزية المؤدلجة، وربط مسألة التحوّل إلى الديمقراطية بنظريات المؤامرة، وما تقدّمه احتكارات السلطة والاستغلال على أنّه حلّ، فهو عبارة عن أشكال السلطة وأساليب الاستغلال الأكثر كفاءة؛ وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأنّ الإصرار على السلطة المركزية الشمولية إنّما هو إصرار على استمرار الأزمات المحلية، هذه الأزمات هي نتيجة لهذه السلطة وبنفس الوقت تستفيد منها السلطة استناداً إلى "استراتيجية الإلهاء" إلّا أنّ هذه الاستراتيجية بدت أنّها وصلت إلى خواتيمها الفاشلة بعد عام 2010م بانطلاق ما يسمّى بربيع الشعوب، عبر الانتفاضات الشعبية في عدد من بلدان الشرق الأوسط للمطالبة بإنهاء كل من الظلم وقمع الحريات وتحقيق الأمنَين الإنساني والوطني، وذلك بالدعوة إلى العدالة والحرية والديمقراطية وإنهاء منظومات الفساد في أنظمة الحكم، ورغم أنّ هذه الانتفاضات تمكّنت من زعزعة هذه الأنظمة في بلدانها إلّا أنّها لم تبلغ النهاية السعيدة التي كانت تدعو إليها، لعوامل ذاتية وموضوعية؛ وبالمحصلة فشلت معظم محاولات التحوّل الديمقراطي في بلدان الشرق الأوسط، حتى أنّ بعض الدول التي كانت تفوح منها رائحة الديمقراطية مثل لبنان وإسرائيل تراجع فيها مؤشّر الديمقراطية(*)، وذلك استناداً إلى تقرير مؤشّر الديمقراطية للعام 2023م، الصادر عن وحدة الاستخبارات الاقتصادية في مجموعة "الإيكونوميست" البريطانية([15]) مذيّلة بعنوان "عصر الصراع" الذي أكّد على تراجع مؤشّر الديمقراطية في الشرق الأوسط بشكل مثير للقلق، بسبب تزايد قمع الحقوق الديمقراطية والحريات المدنية، وأشار التقرير إلى توسّع الصراع والحرب في المنطقة عام 2023م، في أعقاب اندلاع حرب غزة بتاريخ 7 تشرين الأول 2023م، وهو ما أدّى إلى انخفاض درجة المنطقة إلى أدنى مستوى لها على الإطلاق في مؤشّر الديمقراطية، وصنّفت معظم دول الشرق الأوسط كأنظمة استبدادية أو ذات ديمقراطيات منقوصة.

لقد فشلت معظم دول المنطقة في التحوّل الديمقراطي، فقد رفضت أنظمة الحكم فيها إجراء إصلاحات سياسية في بلدانها، بسبب إصرارها على التمسّك بأيديولوجياتها واعتبار أهدافها بعيدة المدى

* يستند مؤشر الديمقراطية الذي يتم الاعتماد عليه لتقييم حالة الديمقراطية بشكل عام عل كل من العملية الإنتخابية والتعددية، أداء الحكومة، المشاركة السياسية، الثقافة السياسية الديمقراطية والحريات المدنية. وتصنف الدول بناء على الدرجات إلى: ديمقراطيات كاملة حيث لا يتم فيها احترام الحريات السياسية والحريات المدنية فحسب، بل توجد أيضاً ثقافة سياسية عامة تؤدي إلى ازدهار الديمقراطية، ديمقراطيات منقوصة وتتميز بانتخابات حرة ونزيهة وحريات مدنية أساسية، ولكن مع وجود نقاط ضعف كبيرة في جوانب الديمقراطية، أنظمة هجينة حيث توجد مخالفات كبيرة في الانتخابات ويشيع الضغط الحكومي على أحزاب المعارضة، وأنظمة استبدادية حيث تغيب التعددية السياسية أو تكون مقيدة بشدة، ويتم تجاهل الحريات المدنية..

[15] The Economist Intelligence Unit; DEMOCRACY INDEX 2023/AGE OF CONFLICT; he Economist Intelligence Unit Limited 2024; Link:
https://pages.eiu.com/rs/753-RIQ-438/images/Democracy-Index-2023-Final-report.pdf?version=0&mkt_tok=NzUzLVJJUS00MzgAAAGRS_fmsUe_9Z1SBoczQVIyMBvG_esQdzPJGlA0y3eDLYDIOI5RFRo8bW_QKgdcNtbPq-zZbNfsi6V1ZasimIVzBaBQ_UtjXDu3USTboKdWJD6U8Q

والتي يصعب تطبيقها أكثر مثالية من الديمقراطية، وبنفس الوقت قمعت مطالب جماهيرها في تطبيق مبادئ الديمقراطية أو إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية، وأبرز مؤشّرات هذا الفشل هي الأزمات السياسية التي يعيشها كل من لبنان وإسرائيل وتركيا والعراق وسوريا وإيران...إلخ.

- **عوامل فشل التحوّل الديمقراطي.**

1. العوامل الذاتية.

- **بالنسبة لأنظمة الحكم:**

فإنّ قيامها بفرض النفوذ العسكري على السياسة، وعدم معالجة التدهور الاقتصادي، واللامبالاة في كسب ثقة الجمهور في الحكومة، وزيادة الممارسات القمعية بات من الأمور البديهية التي تشهدها بلدان الشرق الأوسط، من أبرز محدّداتها غياب الديمقراطية التي تحوّلت إلى مصطلح لحشو الخطاب الشعبوي في اتجاهه الديماغوجي للنخب السياسية الساعية وراء السلطة أو دعمها. كما أنّ العقيدة السياسية لمعظم الدول القائمة في بلدان الشرق الأوسط تتنافى تماماً مع مبادئ الديمقراطية، وتعتبر الديمقراطية تهديداً لسلطتها وحوّلتها إلى قضية وجودية بالنسبة إليها، فمعظمها وصلت إلى سدّة السلطة إمّا بالقوة العسكرية أو بضغط من قوى خارجية، والديمقراطية تعني نهاية سلطة الحزب الواحد وانتهاء الإمتيازات السلطانية التي تمنحها السلطة لأتباعها المخلصين، من احتكار موارد معينة والإفلات من العقاب والأفضلية في الإمتيازات الحكومية وغير ذلك، ولاستمرار هذا الأمر تم الاعتماد على الاستبداد والإدارة الأمنية للبلدان، وساد هذا الأمر مختلف فئات المجتمع من خلال المتملّقين للسلطة. لذلك تجد هذه الأنظمة في محاربة التحوّل الديمقراطي ضرورة لديمومة سلطتها وامتيازاتها؛ وهذا ما أدّى إلى فشلها في حماية سلامة أراضيها وتأمين مواطنيها؛ وبحسب التقارير فقد استخدمت أنظمة الحكم في العديد من بلدان المنطقة لتعزيز قبضتها على السلطة "الأزمات الأمنية أو الاقتصادية أو الحاجة إلى الحفاظ على السلامة الوطنية كذرائع لتقييد حريات التعبير والتجمّع والصحافة..." وخاصة في تركيا وسوريا.

- **بالنسبة للتنظيمات الشعبية:**

خرجت معظم الانتفاضات الشعبية في المنطقة للمطالبة بمبادئ العدالة والمساواة وتأمين الأمن الإنساني بمختلف أبعاده، وهي أمور تضمنها الديمقراطية، إلّا أنّ العديد من الانتفاضات فشلت في تحقيق التحوّل الديمقراطي في البلدان التي شهدتها، لأسباب عديدة منها فوبيا الديمقراطية لدى جماعات الإسلام السياسي، وضعف الوعي السياسي ومفهوم الديمقراطية لدى عامة الشعب، وهيمنة أصحاب الطموحات السلطوية على هذه الانتفاضات، وهذا ما أمكن ملاحظته لدى المعارضة السورية الموالية لتركيا بقيادة الفرع السوري للإخوان المسلمين، والتي أصبح شغلها الشاغل الوصول إلى السلطة وتشكيل نظام استبدادي جديد، يتجلّى ذلك في عدم تقديمها لوثيقة سياسية تراعي حقوق مختلف المكوّنات السياسية، وكلّ ما يتحدّث عنه زعماء الجماعة أو وكلاؤها يتمحور حول وعود في إطار أيديولوجية الجماعة من ناحية شكل هيكل السلطة وإدارة الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في

سوريا، بالإضافة إلى إقصاء القضية الكردية من برنامجها السياسي المتماهي مع موقف النظام التركي. ويكاد الوضع يتكرّر في الحالة السياسية الداخلية العراقية والتركية واللبنانية.

وبالتالي تعدّ العقلية التسلّطية سواء لدى النظام الحاكم أو لدى بعض الزعامات المحلية عاملاً حاسماً في إفشال التحوّل الديمقراطي، وسبباً لأزمة الهوية ([16]) التي تعيشها معظم مجتمعات الشرق الأوسط.

2. العوامل الموضوعية.

للنزاع والتنافس الدولي على المصالح في الشرق الأوسط دور في إفشال عملية التحوّل الديمقراطي في المنطقة، وبحسب تقرير الإيكونوميست تبدو ديمقراطيات العالم عاجزة عن منع اندلاع الحروب في جميع أنحاء العالم وأقل مهارة في إدارة الصراعات في الداخل؛ ويشكّل كل من التنافس على الموارد والنزاعات الحدودية وقضايا الأمن الإقليمي المؤطّرة بأيديولوجيات، الأنظمة الحاكمة مصدرًا للصراعات في الشرق الأوسط. وأكّد التقرير ([17]) على أنّه "في عام 2023، تسبّبت حروب افريقيا وأوروبا والشرق الأوسط في معاناة هائلة وقوضت احتمالات التغيير السياسي الإيجابي. ومع تزايد التنافس على الهيمنة الأمريكية، وتتنافس الصين على النفوذ العالمي، ومع تأكيد القوى الناشئة مثل المملكة العربية السعودية وتركيا على مصالحها، أصبح النظام الدولي أكثر اضطراباً..."؛

لذلك فإنّ كسب أنظمة الحكم في دول المنطقة إلى أحد محاور الصراع يعد من الأمور المفيدة لمواجهة الخصوم، والثمن هو استمرار هذه الأنظمة في السلطة، وهذا ما يدفع المحاور الدولية الأخرى بطبيعة الحال إلى تقويض استقرار هذه الأنظمة من خلال دعم الجماعات المعارضة لهذه الأنظمة بغضّ النظر عن العقيدة السياسية لهذه الجماعات، وتشكّل الأزمة السورية تجربة يمكن الاستشهاد بها من خلال الدعم الروسي والإيراني الكامل للنظام السوري والتدخّل الروسي المباشر عام 2015م، وبرنامج "خشب الجميز"([18]) الذي قدّمته الدول الغربية للمعارضة السورية في الفترة بين أعوام

---

[16] تشير إلى غياب فكرة المواطنة بين افراد الجماعات البشرية، وضعف الشعور بالإنتماء المشترك بين أعضاء المجتمع الواحد إلى البلد أو الإقليم الذي يعيشون فيه، والعمل معاً من أجل تحقيق الأهداف العليا للوطن... للمزيد انظر:
د. علاء عبد الحفيظ؛ الأزمات السياسية الدولية: المفهوم- الأنواع- الإدارة؛ الناشر: المعهد المصري للدراسات 17 نيسان 2020؛ الرابط:
https://eipss-eg.org/الأزمات-السياسية-الدولية-المفهوم--الأنواع--الإدارة/

[17] The Economist Intelligence Unit; DEMOCRACY INDEX 2023/AGE OF CONFLICT; he Economist Intelligence Unit Limited 2024; Link:
https://pages.eiu.com/rs/753-RIQ-438/images/Democracy-Index-2023-Final-report.pdf?version=0&mkt_tok=NzUzLVJJUS00MzgAAAGRS_fmsUe_9Z1SBoczQVIyMBvG_esQdzPJGlA0y3eDLYDIOI5RFRo8bW_QKgdcNtbPq-zZbNfsi6V1ZasimIVzBaBQ_UtjXDu3USTboKdWJD6U8Q

[18] برنامج Timber Sycamore ترجمته برنامج "خشب الجميز" دخل حيز التنفيذ نهاية عام 2012م بأشراف وكالات الاستخبارات في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا والأردن والسعودية وقطر وغيرها. كان الهدف منها إيصال الأسلحة إلى داخل سوريا وتخصيص أماكن لتدريب الآلاف من مقاتلي المعارضة السورية في الأردن؛ وإغراق السوق السوداء في الشرق الأوسط بالأسلحة المتنوعة مثل البنادق الهجومية ومدافع الهاون والقذائف الصاروخية والصواريخ المضادة للدبابات، ونظارات للرؤية الليلية، وشاحنات النقل وغيرها التي تعود إلى الحقبة السوفيتية.. ولم يشمل البرنامج

2011م و 2016م؛ وهو ما يجري نسبياً في معظم دول المنطقة التي تشهد أو شهدت نزاعات عسكرية.

إنّ ما تمّ ذكره يطرح إشكالية معقّدة، فعلى الرغم من أنّ التحوّل الديمقراطي يعدّ جزءًا رئيسيًا لحلّ أزمات المنطقة، وتدعيم الأمن الوطني وتحقيق الاستقرار، والتعايش بين المعتقدات المختلفة؛ إلّا أنّه يستبعد من معظم السجالات السياسية الوطنية، ويتم تفضيل نظام المحاصصات للمشاركة في السلطة كما في العراق ولبنان، وما يُعقّد المشكلة أكثر هي لا مبالاة القوى الدولية بخصوص هذا الأمر، وبعضها تستغلّ قوتها الناعمة في الثقافة الديمقراطية لتبرير تدخّلها في الشؤون الداخلية للدول، رغم أنّه يمكنها من خلال مظلّة الأمم المتحدة وحتى تحت "البند السابع" من ميثاقها المستند إلى مواثيق حقوق الإنسان، فرض السلام والديمقراطية على المنطقة، وهذا ما تتحاشاه بذرائع مختلفة؛ وهذا ما يقودنا إلى تحليل أحد المفكّرين بقضايا الشرق الأوسط ([19]) والذي اعتبر أنّ القوى الدولية المهيمنة التي وصفها بـ"النظام الرأسمالي" بحاجة إلى إعادة ترتيب السلطة في هيئة الدولة القومية؛ لتأمين سيرورة وجودها لصون مصالحها وامتلاك سبب تبرّر وجودها المهيمن في المنطقة.

وبالتالي فإنّ "غلبة المطامع على المبادئ" أي البراغماتية وتأطّر النزاعات الدولية بالواقعية السياسية([20]) باتت تُبلور استراتيجية الهيمنة المتّبعة من قبل بعض القوى الدولية والإقليمية، وتعيق التحوّل الديمقراطي وتدعم الأنظمة الاستبدادية، وتقوّض آفاق الديمقراطية في المنطقة وتهدّد الكيانات المحلية الداعمة للديمقراطية كالإدارة الذاتية لإقليم شمال وشرق سوريا استناداً إلى العقد الاجتماعي الذي اعتمدته في نهاية عام 2023م([21])، والتي تجتمع معظم أنظمة الحكم في تركيا وسوريا وإيران والتنظيمات المتطرّفة على معاداتها والعمل على تقويضها، وذلك استناداً إلى الموقف السياسي السلبي من هذا العقد والاعتداءات التي تتعرّض لها مناطق شمال وشرق سوريا، سواء بالقصف المباشر من قبل القوات التركية أو من خلال الأعمال التخريبية عبر المجموعات المتواطئة مع تلك الدول أو من خلال هجمات تنظيم داعش.

القوات التي تحارب تنظيم داعش أي قوات سوريا الديمقراطية، بل اقتصرت على الجماعات التي سعت إلى إسقاط النظام السوري...

[19] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي؛ ص559.

[20] الواقعية Realism وتعرف أيضاً بالواقعية السياسية هي وجهة نظر للسياسة الدوليّة تؤكد على جانبها التنافسي والصراعي. عادة ما تتعارض الواقعيّة مع المثاليّة أو الليبرالية، أي أن السلطة والصراع هما الأساس في العلاقات السياسية بين الدول، والقوة هي من تحكم العلاقات الدولية. يرى الواقعيون أن الدول التي تضع أمنها ومصالحها الوطنيّة الخاصة على رأس أولوياتها، هي اللاعب الرئيس والفاعل في الساحة الدولية...
موسوعة ستانفورد للفلسفة؛ الواقعية في العلاقات الدولية؛ ترجمة: ديم العمري؛ الناشر: حكمة؛ الرابط:
https://hekmah.org/الواقعية/

[21] يمكن الاطلاع على نسخة من مواد وبنود هذا العقد من خلال:
ANHA؛ العقد الاجتماعي الجديد للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا؛ تاريخ النشر: 13 كانون الأول 2023م؛ الرابط:
https://hawarnews.com/ar/العقد-الاجتماعي-الجديد-للإدارة-الذاتية-الديمقراطية-لإقليم-شمال-وشرق-سوريا

ثانياً- الفشل في معالجة آثار الكوارث الطبيعية والبيئية.

شهدت منطقة الشرق الأوسط بشكل عام ثلاثة كوارث خطيرة وهي:

1. زلزال سوريا وتركيا في شباط 2023م:

يوصف بأنّه أشد زلزال ضرب المنطقة منذ قرن، وتسبّب بمقتل أكثر من 50 ألف إنسان وأعداد أكبر من المصابين وتشريد مئات الألوف وتدمير واسع النطاق للبنى التحتية والمدن التي ضربتها، وعلى الرغم من مرور عام على حدوثه لا يزال آلاف الأشخاص يعانون من آثاره بالتشرّد وفقدان مصدر الدخل وإعاقات دائمة وغير ذلك؛ حيث كان هناك 15.3 مليون سوري بحاجة فعلية إلى المساعدة الإنسانية قبل الزلازل في سوريا، وهو أعلى رقم منذ بداية الأزمة، وأدّى زلزال شباط إلى تفاقم الوضع الداخلي، ممّا أثّر على حوالي 8.8 مليون شخص وتدمير آلاف المنازل والبنية التحتية الحيوية ([22]).

2. تزايد معدّلات الجفاف بسبب التغيّر المناخي:

دفع الجفاف بملايين الأشخاص نحو حافّة المجاعة ([23]) بسبب تدهور قطاعَي الزراعة والرعي اللذَين يُعدّان من الموارد الاقتصادية الرئيسية في المنطقة منذ آلاف السنين. حيث تزداد وتيرة انعدام الأمن الغذائي في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، بسبب التغيّر المناخي والصراعات وضعف الاستجابة الحكومية والدولية لها. ويُعتبر الارتفاع غير المسبوق لدرجات الحرارة العامل الرئيسي في ازدياد معدّلات الجفاف في المنطقة بعد أن تجاوزت عتبة 1.5 درجة مئوية التي قرّرتها اتفاقية باريس للمناخ كحد أقصى للاحترار العالمي، ممّا قد يتسبّب بكارثة اقتصادية وبيئية في حال استمرّ ارتفاع درجات الحرارة بالتوازي مع النمو السكاني وزيادة الطلب وانخفاض مستوى الموارد المائية؛ ولم تستطع معظم حكومات المنطقة تلبية الطلب الحالي للماء بشكل مستدام، وسينخفض نصيب الفرد من وفرة المياه إلى 600 متر مكعّب سنوياً وأقل في المناطق الفقيرة نسبياً بحلول عام 2050م ([24]) ويرى المهتمّون بشؤون القضايا المائية أنّ تغيّر المناخ سيكون مصدراً محتملاً للنزاعات والعنف في المستقبل([25])

---

[22] UNHCR/The UN Refugee Agency; Syria situation: 2024 situation overview; Link: https://reporting.unhcr.org/operational/situations/syria-situation

[23] نجلاء بن ميمون- هنا الشهابي؛ كسر الحلقة المفرغة: كيف يمكن لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا معالجة انعدام الأمن الغذائي؟؛ الناشر: مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية؛ تاريخ النشر: 28 فبراير، 2023؛ الرابط:
https://mecouncil.org/publication?/كسر-الحلقة-المفرغة-كيف-يمكن-لمنطقة-الش/lang=ar

[24] غنيمة العتيبي؛ بالأرقام: حقائق عن أزمة المياه في العالم العربي؛ الناشر: مدونات البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 2015.03.19؛ الرابط:
https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/numbers-facts-about-water-crisis-arab-world

[25] SWI swissinfo؛ أزمة المناخ تهدد بتوجيه ضربة قاسية لبلدان الشرق الأوسط الغنية بالنفط وفق خبراء؛ 17 تشرين الأول 2021؛ الرابط:
https://www.swissinfo.ch/ara/أزمة-المناخ-تهدد-بتوجيه-ضربة-قاسية-لبلدان-الشرق-الأوسط-الغنية-بالنفط-وفق-خبراء/47035280

خاصة أنّ المنطقة تعاني في الأساس من ندرة كبيرة في المياه، وهي ممزّقة بالفعل بسبب النزاع على المياه العذبة التي يؤمّنها نهر النيل أو أنهار الأردن والفرات ودجلة؛ وتشير دراسة مناخية ([26]) إلى ازدياد الاحترار في منطقة الشرق الأوسط بضعف المعدل العالمي، ممّا يجعل سكانها وبيئتها عرضة لموجات الحرّ الشديد، والجفاف وارتفاع مستويات سطح البحر، ولن تعاني المنطقة فقط من حدّة تغير المناخ بل ستكون أيضاً مساهماً رئيسياً في حدوثه بحسب الدراسة استناداً إلى التحوّل التدريجي للمنطقة الغنية بالنفط والغاز إلى أحد المصادر الرئيسية لانبعاثات الغازات الدفيئة في الأعوام القادمة.

3. التلوّث.

تعاني المنطقة من مستويات عالية من التلوث، ومن ضعف في التعامل الصحّي مع النفايات والملوّثات والإنبعاثات الغازية في كل من الهواء والتربة والمياه؛ ويتصدّر التلوّث الهوائي قائمة المشكلات البيئية، وذلك استناداً إلى التقارير المتعلّقة بالمناخ والبيئة الخاصة بالمنطقة، ففي عام 2012م أشارت دراسة علمية([27]) إلى حدوث 152925 حالة وفاة في الشرق الأوسط بسبب التعرّض الطويل للجسيمات الدقيقة التي تقلّ أقطارها عن 2.5 مايكرومتر- ترمز علمياً بالرمز PM2.5- القادرة على اختراق الرئة والوصول إلى مجرى الدم والتسبّب بآثار ضارّة على صحة الإنسان، من خلال الأمراض التنفّسية وأمراض القلب والأوعية الدموية في حال التعرّض طويل الأمد لها، وفي عام 2012م تراوح متوسط تركيزات PM2.5 السنوية من 34 ميكروغرام/ م3 في تركيا وسوريا إلى 108 ميكروغرام/م3 في السعودية كحدّ أعلى.

لقد بيّنت العديد من التقارير البحثية وجود العديد من المصادر الطبيعية لتلوّث الهواء في منطقة الشرق الأوسط، مثل الرياح المحمّلة بالغبار والأتربة، بالإضافة إلى أنّ الأنشطة البشرية المكثّفة المتعلّقة بالتنمية العمرانية، والأنشطة الصناعية والنقل واستثمار حقول النفط والغاز وعوادم المحرّكات باختلاف أنواعها، تعدّ من أكثر المصادر لملوّثات الهواء. وإذا ما تم قياس الوضع الراهن مع النتائج العلمية المتعلقة بتلوّث الهواء في عام 2012م فإنّنا بلا شكّ أمام أزمة تلوّث خطيرة ذات تأثير كبير على قطاعات الصحة والاقتصاد.

ورغم أنّ هذه المشكلات لا تزال تحت السيطرة نسبياً في عدد من الدول، إلّا أنّها أزمة تعاني منها معظم بلدان المنطقة، وكانت سوريا من أكثر البلدان التي عانت من التدهور البيئي منذ عقد من الزمن، حيث تعرّضت مساحات من مدنها للدمار بفعل الحرب المستعرة بين النظام والمعارضة، وترهّلت العديد من البنى التحتية الخدمية والاقتصادية وتوقّفت معظم المشاريع وعمليات إعادة الإعمار، بالإضافة إلى آثار الزلزال الذي ضرب شمال غربها وموجات الجفاف التي ضربت معظم مناطقها، حتى أنّ بعض الباحثين اعتبروا تغيّر المناخ أحد العوامل وراء الأزمة السورية عام 2011م بسبب

[26] SWI swissinfo ؛ الرابط:2022 أيلول 9؛ الاحترار في الشرق الأوسط أسرع بمرتين من المعدل العالمي (دراسة)؛ https://www.swissinfo.ch/ara47888518/الاحترار-في-الشرق-الأوسط-أسرع-بمرتين-من-المعدل-العالمي-دراسة/

[27] Rima J. Isaifan; Air pollution burden of disease over highly populated states in the Middle East; National Library of Medicine; 2023 Jan 6; Link: https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC9853520/

الضغط الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن أقسى موجة جفاف شهدتها سوريا بين أعوام 2009-2006م الذي تسبّب بنزوح أكثر من مليون مزارع إلى المدن([28])؛ وقد أكّد وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية "مارتن غريفيثس"([29]) على أنّ "آفاق الوضع الإنساني لسوريا لعام 2024 لا تزال قاتمة بعد مرور عام على الزلازل الكارثية التي ضربت سوريا، وما يقرب من 13 عاما على الصراع المستمر في البلاد.." وأشار غريفيثس إلى أنّ "عدداً مذهلاً من السوريين يبلغ 16.7 مليون شخص يحتاجون الآن إلى المساعدة الإنسانية - ما يعادل حوالي ثلاثة أرباع سكان البلاد، ويمثل أكبر عدد من الأشخاص المحتاجين منذ بداية الأزمة.."؛ وفي بداية عام 2024 تسبّب القصف التركي على محطّات النفط والغاز في شمال شرق سوريا بتلوث هوائي خطير، وتسرّب النفط الخام إلى مجرى نهر الجغجغ ([30]) الذي حمله معه إلى نهر الخابور، والتسبّب بتلوث سامّ في مياه النهرَين ألحق أضراراً بيئية بالمنطقة.

كما أدّى انهيار منجم الذهب في مقاطعة أرزينجان شرقي تركيا في بداية عام 2024م إلى انجراف في التربة الحاملة لمادة السيانيد السامة المستخدمة في استخراج الذهب من الركائز في وادٍ قريب من نهر الفرات، وسط احتمال متزايد من تسرب السيانيد إلى النهر والتسبّب بكارثة تلوّث خطيرة سيمتد تأثيرها إلى كلّ من سوريا والعراق، يُذكر أنّ المنجم كان قد أغلق عام 2022م بسبب تسرّب السيانيد إلّا أنّ الحكومة التركية أعادت فتحه ([31]) رغم احتجاجات المعارضة والمنظمات البيئية.

وشهد لبنان أكبر كارثة تلوث بعد انفجار هائل وغامض لمستودعات نترات الأمونيا- حوالي 2.750 طناً- في ميناء بيروت في 2020.08.04م الذي أدّى إلى تشريد 300 ألف شخص وإصابة أكثر من 5000 شخص وفقدان المئات لحياتهم، وإلحاق ضرر بـ86% من المؤسسات الواقعة في دائرة نصف قطرها 5 كيلومترات من منطقة الميناء ([32])؛ وخلّف الانفجار تلوثاً بيئياً خطيراً بعد أن

---

[28] SWI swissinfo؛ أزمة المناخ تهدد بتوجيه ضربة قاسية لبلدان الشرق الأوسط الغنية بالنفط وفق خبراء؛ 17 تشرين الأول 2021؛ الرابط:
https://www.swissinfo.ch/ara-وفق-بالنفط-الغنية-الأوسط-الشرق-لبلدان-قاسية-ضربة-بتوجيه-تهدد-المناخ-أزمة/47035280 خبراء

[29] أخبار الأمم المتحدة؛ سوريا: وضع إنساني قاتم وتأكيد أممي على الحاجة لوقف عاجل للتصعيد؛ الناشر: موقع الأمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 27 شباط 2024 الرابط:
https://news.un.org/ar/story/2024/02/1128762

[30] نورث برس؛ تلوث في نهر جغجغ نتيجة تسرب المشتقات النفطية إليه جراء القصف التركي المتكرر على مناطق شمال شرقي سوريا؛ تاريخ النشر: 2024.01.29م؛ الرابط:
https://npasyria.com/179593/

[31] الحرة؛ انزلاق للتربة يجتاح منجما للذهب في تركيا.. و9 عمال مفقودون؛ تاريخ النشر: 2024.02.13؛ الرابط:
https://www.alhurra.com/turkey/2024/02/13/انزلاق-للتربة-يجتاح-منجما-للذهب-في-تركيا-و9-عمال-مفقودون

[32] Jasmin Lilian Diab & Ibrahim Jouhari; CONFLICT, CRISIS, AND MIGRATION: MARITIME IRREGULAR MIGRATION FROM LEBANON SINCE 2019 (ANALYSIS); Publisher: Friedrich Naumann Foundation for Freedom Madrid; May 2023; Link:
Conflict%20Crisis%20and%20Migration_Lebanon_Ibrahim_Jouhari_Jasmin_Diab_FINAL_.pdf

معهد فافو للعمل والبحوث الاجتماعية؛ انفجار في خضم الأزمات: أثر انفجار بيروت على مؤسسات المدينة؛ الناشر: منظمة العمل الدولية؛ تاريخ النشر: آب 2021؛ الرابط:

طرح كميات كبيرة من المواد والأنقاض الملوّثة بالأسبستوس (*) ونفايات كيميائية أخرى والتي تشكّل خطراً على البيئة والصحة العامة ([33]) ولا تزال معاناة البلاد مستمرّة.

تزخر المنطقة بالعديد من الموارد الاقتصادية والطاقات المتجدّدة وبموقع جغرافي متميّز يمكنها من الوصول إلى الأسواق الكبيرة، ممّا يمنحها ميزة تحقيق التنمية بسرعة أكبر نسبياً والتعامل مع الكوارث المختلفة، إلّا أنّ الإصلاحات الاقتصادية لا يمكن أن تنجح بمعزل عن الإصلاحات السياسية؛ وبالتالي فإنّ الفشل في تحقيق التحوّل الديمقراطي في المنطقة، يعدّ من الأسباب الرئيسية في فشل الاستجابة لمعالجة آثار الكوارث الطبيعية والبيئية، وعدم تسخير الموارد الوطنية، البشرية والطبيعية، لإسعاف البلدان؛ فأنظمة الحكم منهمكة في تأمين عروشها بالانخراط في محاور الصراع الدولي، والشعوب منهمكة في تأمين عيشها بوسائل مختلفة، والنخب الوطنية ذات الكفاءة محاصرة من قبل كلّ من الأيديولوجيات المتطرّفة وبراغماتية الدول المهيمنة على المنطقة، وهذا ما يفسح المجال لتنامي التطرّف بمختلف أشكاله وازدياد وتيرة الهجرة من الأوطان.

ثالثاً- الفشل في منع تنامي التطرّف العقائدي بمختلف اتجاهاته.

لعبت الأيديولوجيات دوراً عظيماً في حضارات الشرق الأوسط، وساهمت في تطوّر قضايا الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل حقيقي أو محرّف، وحوّلت القضايا الاجتماعية إلى قضايا أيديولوجية كما في الأيديولوجيا الإسلامية الطابع، وأفرزت التطرّف لتسوير هذه القضايا ومنع تسرّب أيديولوجيات أخرى، ليتحوّل التطرّف إلى وسيلة لفرض الوصاية على المجتمع والذي يعد بمثابة شكل من أشكال السلطة، ولمنع خروج الأمور عن السيطرة تم اللجوء إلى العنف والترهيب، لتصبح وظيفة الأيديولوجيا فرض التسلّط وضمان استمراريته بدلاً من وظيفته الأساسية المتمثّلة بتنظيم حياة المجتمع وإضفاء المعاني عليها.

يشكّل التطرّف الفكري السياسي والأيديولوجي، باتجاهاته القومية والدينية بشقّيها الطائفي والمذهبي، أحد العوامل الرئيسية للأزمة السياسية في بلدان المنطقة وفشل التحوّل الديمقراطي فيها؛ ويكاد معظم الباحثين في القضايا الاجتماعية يتّفقون على فكرة "التطرّف آفة المجتمعات ومصدر الكراهية" وباتت أزمة تعيشها معظم مجتمعات الشرق المتوسط، وتشير الحروب الجارية في سوريا والعراق وإسرائيل وفلسطين وانتهاكات حقوق الإنسان في جميع دول شرق المتوسط إلى حقيقتها.

---

https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/---arabstates/---ro-beirut/documents/publication/wcms_816474.pdf

* الأسبيستوس معدن طبيعي يحتوي على الألياف وقد يؤدّي استنشاقه إلى الإصابة بسرطان الرئة، وورم المتوسّطة، وسرطان الحنجرة والمبيض، وداء الأسْبَسْت (تليُّف الرئتَيْن) (منظّمة الصحّة العالمية، 2014).

[33] المركز اللبناني للدراسات؛ مرصد الحكومة رقم 19 - النفايات الخطرة الناجمة عن انفجار مرفأ بيروت؛ تاريخ النشر: 2021.06.04؛ الرابط:

https://www.lcps-lebanon.org/articles/details/2455/the-government-monitor-no-19--hazardous-waste-from-the-beirut-port-explosion?lang=ar

عرّف "معجم مصطلحات الإرهاب"([34]) الصادر عن التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، التطرّف، بأنه: "تجاوزُ حدِّ الاعتدال وترك التوسُّط، وهو في الجملة غلوٌّ اعتقادي ينطوي على عُدوان على الخلق؛ فكراً أو تنفيذاً".

وقدّمت الحكومة البريطانية في آذار 2024م تعريفاً جديداً لها للتطرّف ([35]) وهو "الترويج أو الدعم لأيديولوجية قائمة على العنف أو الكراهية أو عدم التسامح، تهدف إلى: 1. إلغاء أو تدمير الحقوق والحريات الأساسية للآخرين 2. تقويض أو قلب أو استبدال نظام المملكة المتحدة للديمقراطية البرلمانية الليبرالية والحقوق الديمقراطية 3. تهيئة ظروف عن عمد تسمح للآخرين بتحقيق النتائج في (1) أو (2)"

وربطت الدراسات الاجتماعية التطرّف بالتسلّط والتعصّب والتشدّد والتصلّب والتزمّت، ومن التعاريف التي تناولتها ([36]):

التطرّف هو "الاعتقاد، أو مجموعة الاعتقادات السلطوية، التي تعطي لنفسها حق الإثبات، ولا تحتاج إلى دليل، ولا تقبل التشكيك في صحتها، ومن المستحيل تصوّر احتمالية خطئها".

التطرّف "صيغة من صيغ التعصّب من نوع من المغالاة في الاتجاهات التي يعتنقها المتطرّف، مصحوبة بشحنات انفعالية حادّة يمكن أن تستثير في ظروف خاصة سلوكاً عدوانياً عنيفاً"

وربطت الدراسات الشرعية التطرّف بكلّ من الغلوّ أي تجاوز حدّ الاعتدال، والتنطّع أي التعمّق في الكلام، المؤدّيَين إلى البدعة([37]).

استناداً إلى التعاريف المتنوّعة التي تناولت التطرّف يمكن اعتبار التطرّف الفكري باتجاهه العنفي التسلّطي، بأنّه إطار فكري صلب معجون من الدوغمائية والديماغوجية والبراغماتية والباراناوية، متستر بعقيدة روحانية أو بثقافة ما، ويُعتبر كلّ مَن يتواجد في داخل هذا الإطار، كلّ شيء يتواجد في

---

[34] د. غالب عبد العزيز الزامل؛ السياق التاريخي للتطرُّف؛ الناشر: التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب؛ تاريخ النشر: 2020.10.05؛ الرابط:
https://www.imctc.org/ar/eLibrary/Articles/Pages/Articles5102020.aspx

[35] سام فرانسيس؛ بسبب حرب غزة.. تعريف جديد للتطرف في بريطانيا؛ الناشر: BBC NEWS عربية؛ تاريخ النشر: 2024.03.14م؛ الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/articles/c280zddp8dko

[36] مجلة كلية التربية/ جامعة الأزهر؛ دور المناهج في تنمية فكر طلاب كلية الشريعة بالجامعة الأردنية لمكافحة التطرّف (بعض المناهج نموذجاً)؛ الناشر: مجلة كلية التربية/ جامعة الأزهر- العدد: 169، الجزء الأول- يوليو لسنة 2016م؛ الرابط:
https://jsrep.journals.ekb.eg/article_32151_dde5d78a0f4d9828d85b610d5e4c4ced.pdf

[37] الغلو: مُجاوزة الحَدّ، إفراط ومُبالَغة (معجم المعاني الإلكتروني).. وجاء ذم الغلو في القرآن الكريم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) [سورة النساء آية: 171] وفي آية أخرى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)،[سورة المائدة: الآية 77]
التنطع: الحكم بظاهر الكلام.. التَّنَطُّعُ فِي الكَلاَمِ: الْمُبَالَغَةُ فِيهِ وَالتَّكَلُّفُ.. وتَنَطَّعَ في الشيءِ: غالَى وتكلَّفَ فيه (معجم المعاني الإلكتروني) ... "المتنطع هو المتكلف المتعمق الذي يسأل عن أشياء، ويأتي بأشياء ما شرعها الله" (موسوعة الإمام ابن باز) ... قال عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات».
البدعة: كل عبادة وعمل أحدثها الناس ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل الخلفاء الأربعة (الراشدين)...

خارجه "شرًا ماحقًا" ويجب على الجميع الدخول في هذا الإطار، والقتل والعنف على مَن يرفض. وهذا ما يجعل هذا النوع من التطرّف إحدى تجلّيات ثقافة الكراهية.

تقف الأيديولوجيات المتطرّفة خلف تنامي خطاب الكراهية والانقسامات العميقة في المجتمعات والمواقف المتعادية بينها، والتسبّب بالاغتراب الاجتماعي وأزمة الهوية، وهو المحرّض على مختلف الانتهاكات من عمليات القتل الفردي والجماعي والتعذيب والتعنيف والمعاملة المهينة، والترحيل والهجرة القسرية، ويعدّ أداة رئيسية في العمليات التآمرية بين الأطراف المتنازعة والمتصارعة في أو على المنطقة، حتى أنّ الدول الساعية وراء الهيمنة على المنطقة باتت تستغلّ هذه الأيديولوجيات، بالتذرّع بمحاربتها أو دعمها، فمَن يسيطر على السيّد يسيطر على الأتباع أيضاً، وتبدو أنّها توفّر هيمنة أقلّ تكلفة من خلال "احتلال الذات بالذات" كما يرى أوجلان([38]).

تسود في منطقة شرق المتوسّط الولاءات الدينية والمذهبية والقومية على الولاءات الوطنية، وفي معظم الأحيان تستبدل الهوية الثقافية بهوية ثقافية صهرها حزب أو جماعة متطرّفة في قالب أيديولوجيتها، ولدى تتبّع المشهد السياسي والأمني في شرق المتوسّط يمكن ملاحظة تنامي التطرّف الديني والقومي والديني ذي النزعة القومية، تُجسّدها مجموعة من التنظيمات الناشطة في أزمات المنطقة وتستخدم العنف المبالَغ لفرض هيمنتها، ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين متطرّفتَين، وهي: جماعات الإسلام السياسي باتجاهاتها المتطرّفة السُّنّية والشيعية، وأنظمة الحكم ذات الحزب الواحد؛ وما يلاحَظ في مناهجها الفكرية عداؤها المشترك للديمقراطية، وافتقادها للتسامح وامتلاك كلّ طرف لخطاب كراهية خاص به.

- **بالنسبة لجماعات الإسلام السياسي باتجاهاتها السُّنّية والشيعية:**

لقد حوّل أصحاب الطموحات السلطوية الخلاف الفكري بين الشيعة والسُّنّة إلى صراع فكري وتبادل اتّهامات الكفر لتشريع قتال الآخر، وابتدع كلّ فريق أيديولوجية متطرّفة خاصة به أدّت إلى عشرات المعارك الدموية بينهما، أسفرت عن خسائر بشرية ومادية ومعنوية كبيرة؛ حيث "تلجأ الهيمنة الجديدة إلى تقديس نفسها وتأليهها. وإمّا أن تُكيّف الدين القديم مع مصالحها هي، أو أن تُصيّره مذاهبَ فتبسط جوانبها التي تميّزها، أو أن تتطلّع إلى ترسيخ وتأبيد نفسها من خلال صياغة دينٍ أو ميثولوجيا جديدة، أي من الجانب الأيديولوجي أيضاً.." ([39])؛ ويبدو المشهد الراهن لهذا الصراع أكثر تعقيداً، حيث انتقل النظام الإيراني منذ بداية القرن الحادي والعشرين من وضعية الدفاع إلى وضعية الهجوم تحت عنوان "تصدير الثورة الإسلامية" عبر خوض حرب من خلال وكلائها ضد خصومها المحلّيين والإقليميين والدوليين، وصاغت عقيدتها الأمنية في ساحة عملياتها الإقليمية، على أساس وصف الشعوب المضطهدة في الشرق الأوسط بـ "المستضعَفين"، وألصقت وصف "قوى الاستكبار" بكلّ من أنظمة الحكم المحلية والدول المهيمنة وجميع التنظيمات التي تخالف أيديولوجيتها المرتكزة على كلّ من المذهب "الاثنا عشري" المدموجة بالأطروحات السياسية للإمام الخميني، والترويج بأنّ خلاص

[38] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي؛ ص121.

[39] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي؛ ص561.

المستضعَفين يكمن في اعتناق أو اتّباع أيديولوجيتها أو التحالف معها، ونجحت إيران بشكل نسبي في إدارة النزاع مع خصومها في كلّ من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن من خلال التنظيمات المحلية التي تدين بالولاء لأيديولوجيتها كحزب الله اللبناني ونسخته العراقية وجماعة الحوثيين، وأنشأت في كلّ بلاد بمحيطها الجيوسياسي تنظيمًا خاصًّا بها من المواطنين الشيعة في تلك البلدان، في محاكاة وكتطوير للتجربة السوفيتية مع الحركات الشيوعية حول العالم. إلّا أنّ الطموحات السياسية لا حدود لها؛ حيث يعمل النظام الإيراني على نشر التشيّع المتأطّر بأيديولوجيته ومهاجمة المناطق التي لا يهيمن عليها عبر الطائرات المسيّرة والخلايا الإنغماسية أو المجموعات المتحالفة معها عبر تزويدها بالسلاح والدعم الاستخباراتي، والتأثير في القرار السياسي لأنظمة الحكم في سوريا والعراق ولبنان، والعمل على الهيمنة الكاملة عليها.

لقد تسبّبت السياسة الإقليمية للنظام الإيراني بانعدام الاستقرار في المنطقة، وتعميق الانقسام الطائفي بين المجتمعات المحلية وتنامي خطاب الكراهية الذي تستغلّه الأيديولوجيات المتنازعة معها؛ لقد فرضت سياسة العسكرة على المجتمعات المحلّية الموالية للنظام الإيراني أمرًا مماثلًا على المجتمعات الأخرى لحماية نفسها. إنّ تنامي التطرّف الشيعي يقابله تنامٍ في التطرّف المضادّ وبشكل خاص من قبل جماعات الإسلام السياسي السُّنّية باختلاف مذاهبها وفرقها، الأمر الذي وضع المنطقة في دوّامة صراع لا نهائية، حيث تعمل كل من تنظيمات القاعدة وداعش وجماعة الإخوان المسلمين على نهج سياسي مماثل؛ بإقامة سلطة لها على بلدان المنطقة تحت مسمّيات الخلافة أو الإمارة أو الدولة الإسلامية، ويُعدّ تنظيم داعش من أكثر التنظيمات فتكاً بالمجتمعات المحلية وبثقافتها، وسرق الأضواء من تنظيم القاعدة باستحضار وتطبيق عقلية قطع الرؤوس والاستعبادَين الجسدي والجنسي، والقتل الجماعي والتعذيب الوحشي والتهجير القسري بحق كلّ مَن رفض الانضمام إليه. بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين اعتبرتها معظم الدول العربية جماعة إرهابية بعد أن تسبّبت بأزمات خطيرة فيها هدّدت أمنها القومي، ففي مصر على سبيل المثال كادت تركيا تسيطر على الأمن القومي المصري عبر جماعة الإخوان المصرية، وفي سوريا تحوّلت جماعة الإخوان السورية إلى رأس الحربة في مهاجمة كلّ من القوى الديمقراطية والقضية الكردية، ما يدلّ على ذلك انتزاع الحراك الجماهيري في سوريا من القوى الوطنية الديمقراطية والهيمنة على القرار السياسي للمعارضة وإخضاعها للوصاية التركية ([40]) والمشاركة في عمليات احتلال عفرين وتل أبيض/ كري سبي وسري كانييه/ رأس العين، وأصدر شيوخها فتاوي لقتل وتهجير الكرد والمتعاطفين معهم، ولا تزال ميليشياتها تمارس الارتزاق لصالح المحتل التركي والاشتراك في عمليات التهجير القسري للكرد، استناداً إلى العشرات من التقارير الحقوقية والتصريحات الخاصة بزعماء الجماعة، كما وتبدي موقفًا عدائيًا من الطائفة العلوية، وتخوض معارك مع قوات النظام السوري تارة وتتفاوض معه تارة أخرى في أستانا وسوشي بغية الوصول إلى السلطة.

بالنسبة للقاعدة فله مشروعه الخاص، إلّا أنّ فعّاليّته أقل على الأرض استناداً إلى استراتيجيته في محاربة ما يسمّيه بالعدو البعيد أي الدول الغربية والصين وروسيا، حيث يتهمهم باحتلال البلدان

[40] صحيفة العرب؛ مساندة إخوان سوريا لـ"غصن الزيتون".. الانتماء للجماعة أولاً؛ تاريخ النشر: 2018.01.26م؛ الرابط: https://alarab.co.uk/مساندة-إخوان-سوريا-لـغصن-الزيتون-الانتماء-للجماعة-أولا?amp

الإسلامية، إلّا أنّ هذا لا يمنعه عن خوض معارك وتنفيذ عمليات انتحارية ضد خصومه المحلّيين من مختلف التنظيمات وأنظمة الحكم.

وعلى صعيد متّصل أجهض المتطرّفون اليهود مبادرات السلام الدولية والعربية لحلّ الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، وتسبّبوا ببروز تطرّف مضادّ من قبل حركة حماس التي هاجمت المستوطنات المحيطة بقطاع غزة بتاريخ 2023.10.07، واختطفت حوالي 200 مدنيّ إسرائيلي وقتلت عشرات الآخرين منهم، لتنفّذ القوات الإسرائيلية هجمات انتقامية على قطاع غزة والضفة الغربية؛ تسبّبت بمجازر ودمار كبير في القطاع وتهجير حوالي مليون مدني فلسطيني؛ لقد عرّضت عملية حماس، جيدة التنفيذ وسيّئة التخطيط من الناحية الاستراتيجية، القضية الفلسطينية لتهديد خطير وتسببت بكارثة كبيرة لم يشهدها الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور؛ وامتدّت تداعياتها إلى المستوى الإقليمي باستغلال النظام الإيراني للقضية الفلسطينية كـ"حصان طروادة" لتعزيز نفوذه السياسي والعسكري والأمني في المنطقة وتطوير قواعد الإشتباك ([41]) مع خصومها الإقليميين والدوليين.

- **بالنسبة لأنظمة الحكم القومية.**

ما من دولة قومية في الشرق الأوسط إلّا وهي في حالة حرب مع دولة أخرى ومع شعوبها داخلياً، وأفقدت مجتمعاتها قدرة الإبداع الفكري، بعكس البلدان التي تتبنّى حكوماتها الديمقراطية والتي تعدّ أقلّ مَيلاً إلى الحروب وأكثر قدرة على الإبداع.

في وسط التوتّرات التي تسبّب بها المتديّنون المتطرّفون في المنطقة تبرز العمليات التآمرية التي يخوضها حزب العدالة والتنمية التركي من خلال النظام التركي الحالي، في داخل تركيا وخارجها، حيث لم تكتفِ بإفشال عملية التحوّل الديمقراطي في تركيا التي استندت إلى مبادرة حركة حرية كردستان بعد عام 2013م، وتحويل نظام الحكم في تركيا من برلماني إلى رئاسي بعد الإنقلاب المزعوم عام 2016م، وقمع المعارضين للسلطة بتهم الإرهاب أو المشاركة في الانقلاب، والعمل على أسلمة المجتمعات داخل الدولة التركية؛ وقد دفعت أيديولوجية الحزب ذات الطابع العثماني الدولة التركية إلى التوسّع في محيطها الإقليمي على غرار السياسة الإقليمية للنظام الإيراني، واعتمدت بشكل مباشر على التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين للهيمنة على انتفاضة الشعوب العربية كوسيلة للهيمنة على بلدانهم بعد وصول الجماعة إلى سدّة الحكم؛ وتسبّبت هذه السياسة بإفشال التحوّل الديمقراطي في البلدان العربية؛ ورغم النجاح النسبي لبعض الدول في تحقيق استقرار داخلي كمصر وتونس بعد القضاء على نفوذ الجماعة، إلّا أنّ دولًا مثل سوريا وليبيا والسودان لا تزال تعاني تحت وطأة هذه التدخّلات في شؤونها الداخلية، وتعاني من انقسامات سياسية حادّة قسّمت معها جغرافية

[41] قواعد الاشتباك (Rules of engagement /ROE) تشير إلى التوجيهات العسكرية والأوامر الصادرة عن سلطة عسكرية مختصة تحدد متى وأين وكيف وضد من يمكن استخدام القوة العسكرية، ولها آثار على الإجراءات التي قد يتخذها الجنود بسلطتهم الخاصة وما هي التوجيهات التي قد يصدرها ضابط قائد. قواعد الاشتباك هي جزء من الاعتراف العام بأن الإجراءات والمعايير ضرورية لإدارة الحرب الحديثة وفعاليتها...

Encyclopaedia Britannica; rules of engagement; Link: https://www.britannica.com/topic/mobilization

البلدان وأضعفت هويتها الوطنية، وتحوّلت الدولة التركية إلى جزء من مشكلات المنطقة وعاملًا مؤجّجًا للتوتّر، ففي شمال سوريا ينفّذ النظام التركي وفقاً لأيديولوجية حزب العدالة والتنمية عمليات تطهير عرقي بحق الكرد والمسيحيّين والإيزيديين؛ من خلال عمليات التهجير وبناء المستوطنات وسياسة التتريك وانتهاك حقوق الإنسان وأسلمة المجتمعات المحلية والنازحة والوافدة في إطار أيديولوجية حزب العدالة والتنمية والإخوان المسلمين، من خلال مرتزقتها من ميليشيات المعارضة السورية الموالية لها، وفرض شكل من أشكال الاحتلال على إقليم كردستان وشمال العراق عبر القواعد العسكرية في مناطق سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني- العراق، هذه السياسة خلقت أزمة جديدة في سوريا والعراق وحوّلت المنطقة إلى ما يشبه بؤرة توتّر خطيرة.

ولا يزال النظام السوري متمسّكًا بعقلية حزب البعث المتطرّفة، رغم الأزمة التي تسبّب بها للبلاد ورغم تحوّله إلى المصدر الرئيسي لمشكلات سوريا وأزماتها، ورغم فشل النظام في القضاء على المعارضة السورية بمختلف اتجاهاتها، وبدلاً من قيادة عملية تحوّل ديمقراطي في البلاد بشكل يضمن مصالحة وطنية تؤمّن مصالح البلاد، استنجد بالنظامَين الإيراني والروسي ووضع نفسه في صراع وجود مع الشعب السوري بمختلف مكوّناته، الأمر الذي تسبّب بانقسام في البلاد وبتعرّض أجزاء منه للاحتلال التركي، وازدياد نفوذ الجماعات الجهادية([42]) المتطرّفة، وتفاقم الغلاء المعيشي والتدهور الاقتصادي وانعدام مختلف الخدمات وفقدان القرار السيادي وتحوّل جغرافية البلاد إلى ساحة صراع لدول أخرى وغير ذلك، فسوريا بعد عام 2011م لم تعد كما كانت حيث تضاعفت أزماتها، وينبّئ المسار التي تتّجه فيه الأزمة السورية باستحالة عودة سوريا كما كانت.

بالنسبة لدولة إسرائيل فقد فشلت في التكيّف مع محيطها الحيوي، ولم تتمكّن من إقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية والتخلّص من صفة "العدو" في عقيدة الأمن القومي العربي، ولم تستثمر جيّداً الاتفاق الإبراهيمي مع بعض الدول العربية الخليجية أو اتفاقيات السلام الموقّعة مع كلّ من مصر والأردن، ولا تزال عقيدتها السياسية قائمة على تهجير الفلسطينيين ومشروع إسرائيل الكبرى، واستغلّتها بعض أنظمة الحكم القومية والجماعات المتطرّفة لتبرير قبضتها الأمنية على المجتمعات المحلية في المنطقة، وتسخير الاقتصادات الوطنية لتعزيز القوة العسكرية التي تؤمّن سلطتها بذريعة مواجهة ما يسمى بالعدو الصهيوني. ولا تزال إسرائيل جزءًا من أزمات المنطقة.

من ناحية أخرى ورغم قدرة العراق على التحرّر من نظام حكم الحزب الواحد، وعدم خضوع لبنان لسلطة شمولية، إلّا أنّ هذه البلدان تعاني من الأزمات التي تسبّبت بها الجماعات المتطرّفة دينياً ومذهبياً، وأنظمة الحكم ذات الحزب الواحد التي لا تتوانى عن التدخّل في شؤونها الداخلية والهيمنة على القرار السيادي فيها.

إنّ ما تم ذكره يستند إلى الوقائع الجارية في المشهد السياسي والأمني والعسكري في دول شرق المتوسط، ولا يحتاج الأمر إلى دلائل؛ فكلّ طرف أعلن عن استراتيجيته ومشروعه السياسي وحلفائه

[42] تعني الكفاح أو بذل الجهد وثمة خلاف بين العلماء حول المعنى الدقيق لماهية الجهاد والظروف التي يباح فيها وخاصة بين فقهاء السنة والشيعة ومختلف المذاهب المتفرقة عنهما.. راجع: بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: الطبعة الأولى 2009/ أبو ظبي؛ ص161.

وأعدائه؛ وهذا ما يشكّل مؤشّرًا على أنّ جماعات الإسلام السياسي باتجاهاتها المتطرّفة السُّنّية والشيعية والمتطرّفون اليهود، وأنظمة الحكم القومية ([43]) وأسباب وجودهم، تعتبر جزءاً من مشاكل المنطقة ومصدراً لأزماتها. وبالتالي فإنّ غياب التحوّل الديمقراطي وضعف الاستجابة للكوارث والأزمة الاقتصادية وفّر تربة خصبة لتنامي التطرّف العقائدي بمختلف اتجاهاته، وفاقم أزمات المنطقة بشكل غير مسبوق، وتسبّب ببروز أزمة مستجدّة أخرى خطيرة تمثّلت بتنامي ظاهرة الهجرة وعمليات التهجير القسرية.

رابعاً- الفشل في مواجهة عمليات الهجرة والتهجير:

كانت منطقة شرق المتوسط تاريخياً مقصداً لهجرة الكثير من المجموعات البشرية لأسباب تتعلّق بمعارفها ومواردها الاقتصادية ومراكزها الدينية وإمكانية اللجوء إلى جبالها وبواديها؛ وخلال ثلاثين عامًا الأخيرة حدثت موجات هجرة كبيرة منها، سواء أكانت طوعية أم قسرية، من المنطقة باتجاه البلدان المتقدّمة اقتصادياً والآمنة نسبياً؛ ويؤكّد العديد من الباحثين على أنّ السبب الكامن وراء ذلك هي الأزمات التي تشهدها مختلف بلدان المنطقة، بالتوازي مع تحوّل عمليات الهجرة والتهجير إلى مصدر لتفاقم أزمات المنطقة.

والهجرة كمصطلح يعني " انتقال أو تحوّل لفرد أو جماعة من دولة اعتادوا الإقامة فيها إلى دولة أخرى لا يحملون جنسيتها لغرض الإقامة فيها... ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه... رحيل إلى بلد آخر والعيش فيه بصفة دائمة..."([44])؛ وتُعرِّف وكالة الهجرة التابعة للأمم المتحدة (IOM) المهاجر بأنّه ([45]) "أي شخص ينتقل أو انتقل عبر حدود دولية أو داخل دولة بعيداً عن مكان إقامته المعتاد، بغضّ النظر عن وضعه القانوني، وفيما إذا كانت الحركة طوعية أو غير طوعية، وأسبابها ومدّة الإقامة...".

لقد أدّى تعدّد أزمات المنطقة إلى تفاقم صعوبات تأمين المعيشة وازدياد الأعباء، وتحوّلت الحياة إلى مزيج من المعاناة والقلق، ومعاناة من صعوبة تحقيق الحاجات والطموحات، وقلق من التعرّض لخطر أو تهديد في المستقبل، وهذه الظروف ولّدت بيئة قاسية وجد كثيرون صعوبة في التكيّف معها، وهذا ما زاد في بعض النواحي من الضغوط النفسية ومن حالات الإحباط والقلق والاغتراب النفسي، كلّ هذه الأمور تدفع الإنسان بقوة إلى الهجرة.

---

[43] يرى المفكر عبد الله أوجالان بأن ظاهرة السلطة تكمن في أساس الأزمات الاجتماعية ويؤكد على أن "الدول القومية في الشرق الأوسط هي وسائل لتحذير الأزمة وتعزيزها ومنقطعة كلياً عن الواقع الثقافي لمجتمعات المنطقة لذا هي عاجزة عن حل القضايا الاجتماعية.."..

عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي؛ ص564.

[44] معجم المعاني (الإلكتروني)؛ تعريف ومعنى هجرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي؛ الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/هجرة/

[45] موقع الأمم المتحدة؛ الهجرة/ قضايا عالمية؛ الرابط: https://www.un.org/ar/global-issues/migration

وبسبب الأزمات والكوارث والتوتّرات العقائدية التي تمرّ بها منطقة الشرق الأوسط، لم تعد الهجرة الطوعية عاملًا يجدر التركيز عليه في تحليل ظاهرة الهجرة، بينما بات التهجير أو الهجرة القسرية([46]) التعبير الرئيسي عن عمليات نقل وانتقال مجموعات كبيرة من البشر عن مناطق سُكناهم التي تشهد أزمات وكوارث وتوتّرات؛ لذلك هناك العديد من العوامل الذاتية والموضوعية التي تجبر البشر على الرحيل عن مواطنهم، وذلك استناداً إلى ما يتم ملاحظته من مشاهد الاستماتة وخوض المخاطر من أجل الوصول إلى البلدان الغنية أو باتجاه المناطق الآمنة نسبياً عبر الجبال والبحار والغابات والثلوج والحدود المسوّرة بالبنادق والأسلاك الشائكة.

تعاني دول شرق المتوسط من ازدياد معدّلات الهجرة القسرية فيها، وفي عام 2019م أشارت منظمة الهجرة الدولية إلى أنّ سوريا يوجد فيها أعلى عدد من النازحين داخلياً، حيث بلغ 6.1 مليون شخص، واعتبرت المنظمة سوريا أكبر بلد مصدّر للاجئين، حيث يتجاوز عددهم أكثر من ستة ملايين نسمة([47]) وفي آخر إحصائية صدرت بتاريخ 29 شباط 2024م بلغ إجمالي اللاجئين السوريين المسجلين 5050437 سورياً، منهم 1.9 مليون سوري مسجّلين لدى مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في مصر والعراق والأردن ولبنان، و3.76 مليون سوري مسجّلين لدى حكومة تركيا، بالإضافة إلى أكثر من 41 ألف لاجئ سوري مسجّل في شمال أفريقيا ([48])؛ ومع بلوغ الأزمة السورية عامها الثالث عشر، فإنّها لا تزال تشكّل أكبر أزمة نزوح في العالم، حيث نزح أكثر من 12 مليون سوري قسراً في المنطقة. ([49])

وفي لبنان زادت الهجرة بشكل كبير بسبب تدهور الوضع السياسي، ونقص فرص العمل، وتفاقم أزمتها الاقتصادية والمالية والسياسية والصحية والإنسانية. ووفقاً لإحصاءات البنك الدولي ([50]) "شهد لبنان هجرة صافية سلبية منذ عام 2015، وفقدان أكثر من 200000 مقيم سنوياً، ويعيش أكثر من نصف سكان البلاد- حوالي 55%- حالياً عند خط الفقر أو تحته، وتستمرّ معدّلات البطالة في الزيادة

[46] الهجرة القسرية: وهي هجرة إجبارية بطبيعتها، ويتم الاضطرار إليها عادة جراء الحروب والصراعات السياسية، أو بسبب عوامل طبيعية مثل الزلازل والبراكين والجفاف، أو بسبب البطالة أو انتشار الأوبئة، وأحيانا بسبب المشروعات التنموية الكبرى كبناء السدود والمدن الجديدة. وتتشعب من مصطلح الهجرة القسرية مصطلحات النزوح واللجوء والتهجير... مركز روج أفا للدراسات الاستراتيجية؛ الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا؛ دراسة قدمت في منتدى "الهجرة والتهجير في شمال وشرق سوريا: الأسباب، التداعيات، المقترحات والإجراءات" في قامشلو 2024.01.28م.

[47] أخبار الأمم المتحدة؛ المنظمة الدولية للهجرة: الهجرة الدولية تصل إلى 270 مليون نسمة، يعيش أكثر من نصفهم في أوروبا وأمريكا الشمالية؛ تاريخ النشر: 27 تشرين الثاني 2019م؛ الرابط:

https://news.un.org/ar/story/2019/11/1044521

[48] The Operational Data Portal (ODP); Syria Regional Refugee Response; Last updated 29 Feb 2024; Link: https://data.unhcr.org/en/situations/syria

[49] UNHCR/The UN Refugee Agency; Syria situation: 2024 situation overview; Link: https://reporting.unhcr.org/operational/situations/syria-situation

[50] Jasmin Lilian Diab & Ibrahim Jouhari; CONFLICT, CRISIS, AND MIGRATION: MARITIME IRREGULAR MIGRATION FROM LEBANON SINCE 2019 (ANALYSIS); Publisher: Friedrich Naumann Foundation for Freedom Madrid; May 2023; Link:

Conflict%20Crisis%20and%20Migration_Lebanon_Ibrahim_Jouhari_Jasmin_Diab_FINAL_.pdf

لتتجاوز 30% وسط أزمة اقتصادية شهدت خسارة الليرة اللبنانية أكثر من 90% من قيمتها السوقية."، وبحسب إحصائيات استندت إلى أرقام رسمية من مديرية الأمن العام في بيروت([51]) ارتفعت نسبة عدد المواطنين اللبنانيين الذين هاجروا من البلاد في عام 2021 بنسبة 346% مقارنة بالعام السابق، وما يزيد من تعقيد هذه المشكلة استضافة لبنان لأكبر تجمّع في العالم للاجئين للفرد الواحد مقارنة بعدد سكانها أي أكثر من 40% من سكان البلاد، حيث يعيش اللاجئون أزمة معيشية حقيقية هناك.

ويشكّل الفلسطينيون أكبر مجتمع عديم الجنسية في جميع أنحاء العالم، وتعدّ حالتهم أطول حالة لاجئين زمناً في العالم لم يتم إيجاد حلّ لها، وبعد خمسة وسبعين عاماً من النكبة الفلسطينية، يعيش ما يقارب من 5.9 مليون لاجئ فلسطيني مسجّل في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وطغت على محنتهم أزمة النزوح الأخيرة في حرب غزة ([52]).

وفي تركيا أصبحت وعود النظام التركي لتحويل تركيا إلى مركز حضاري مجرّد مصطلحات في الخطاب الشعبوي أو للاستهلاك الإعلامي، بسبب فشله في إيقاف نزيف الهجرة، حيث حلّ اللاجئون الأتراك في المرتبة الثالثة من حيث أكثر الشعوب طلباً للجوء إلى دول الاتّحاد الأوروبي بعد السوريين والأفغان ([53]). ففي حين كان عدد طلبات الأتراك للجوء إلى دول الاتحاد الأوروبي 15834 طلباً في عام 2020م، ارتفع إلى 23764 طلباً في عام 2021م، و55446 في العام 2022م، قبل أن يصل إلى مستوى قياسي في العام الماضي بـ 100870 طلباً بزيادة بنسبة 82%؛ ولم تعد هناك حاجة لإعداد دراسات وأبحاث لمعرفة أسباب ذلك، فيكفي الاستماع إلى وعود الحكومة التركية منذ عشرات السنوات بتحسين الأوضاع المعيشية وحلّ الأزمة السياسية الداخلية ولا تزال تطلق وعودًا، تعدّ مؤشّرًا قويًّا على استمرار تأزّم الأوضاع الاقتصادية والمعيشية وتراجع الحرّيات والعدالة وحقوق الإنسان وغيرها، ولا يبدي النظام أية مؤشرات على التخلّي عن تطرّف نهجه السياسي؛ وبالتالي ليس من الدقّة وصف ظاهرة الهجرة من تركيا كهجرة طوعية، بل هي هجرة قسرية.

إنّ السبب الرئيسي للفشل في مواجهة عمليات الهجرة والتهجير، يكمن في استمرار الأزمات السياسية والاقتصادية في المنطقة، أي الفشل في كلّ من تحقيق التحوّل الديمقراطي ومعالجة آثار الكوارث الطبيعية والبيئية وإيقاف تنامي التطرّف العقائدي؛ فالمشاريع السياسية والأيديولوجية لكلّ من النظام السوري والإيراني والروسي والتركي تسبّبت بأزمة ديمغرافية غير مسبوقة في سوريا؛ حيث تم إجراء عمليات تغيير ديمغرافي ممنهجة بتهجير مئات الألوف من المواطنين عن مناطقهم، وإسكان الآلاف من المهجّرين الآخرين في أماكنهم لإنشاء بيئة خاضعة وموالية للقوة التي تقوم بعملية التهجير

[51] نفس المرجع السابق.

[52] By Nathan Citino, Ana Martín Gil, and Kelsey P. Norman; Generations of Palestinian Refugees Face Protracted Displacement and Dispossession; Migration Policy Institute; MAY 3, 2023; Link:
https://www.migrationpolicy.org/article/palestinian-refugees-dispossession

[53] سركيس قصارجيان؛ الأتراك بعد السوريين والأفغان الأكثر طلباً للجوء إلى أوروبا.. والأطباء في الصدارة؛ الناشر: موقع النهار العربي؛ تاريخ النشر: 2024.03.07؛ الرابط:
https://www.annaharar.com/arabic/politics/international/turkey/208469/الأتراك-بعد-السوريين-والأفغان-الأكثر-طلبا-للجو-إلى-أوروبا-والأطبا-في-الصدارة

القسري؛ هنا يبدو أنّ عبارة "الفشل في مواجهة عمليات الهجرة والتهجير" بحاجة إلى إعادة النظر من الناحية العملية، كون هناك تقصّد في عمليات الهجرة والتهجير لتمكين الهيمنة على جغرافية محددة، فتهجير الآلاف من المدن السورية الكبرى أضعف القوة المجتمعية المعارضة للنظام السوري؛ مما جعله أكثر قدرة على الاستمرار في سلطته؛ كما أدّت هجرة وتهجير الآلاف من المعارضين للنظام التركي إلى تعزيز سلطته، والأمر نفسه في تعزيز نفوذ إيران من خلال هجرة وتهجير المعارضين لحزب الله اللبناني في لبنان، وهو نهج مارسه داعش في الفترة بين أعوام 2014-2019م في سوريا والعراق، كما أنّ هجرة وتهجير الآلاف من السكان الأصليين من المناطق التي تحتلّها تركيا في شمال سوريا وبناء المستوطنات فيها يعزّز من عملية احتلالها واستعمارها.

وبالتالي لا توجد عمليات لإيقاف عمليات الهجرة والتهجير، وإنّما زيادة في وتيرتها من قبل أنظمة الحكم في بلدان شرق المتوسط، رغم ما تسبّبه الهجرة بشكل عام بانخفاض القوة العاملة وتناقص عدد المستهلكين، وتراجع النمو الاقتصادي وتنامي الفقر في البلد الأصل، وتتعقّد الأمور أكثر بهجرة الكفاءات. وهذا ما يشكّل إحدى التجلّيات الخطيرة لأزمات المنطقة، وتعاني من انعدام خطط لمواجهتها ومعالجتها.

- **مسار أزمات شرق المتوسط:**

لا يمكن ملاحظة أيّة بوادر لحلّ أزمات المنطقة، وتتّجه معظم السياسات الإقليمية إلى الإنعزالية وحصر الأزمات خلف الجدران التي بنيت بمليارات الدولارات، بدلاً من التعاون الجماعي لحلّها في عصر شهد انفتاحاً عالمياً على الأنظمة شبه الكونفدرالية في المجالات السياسية والاقتصادية والدفاعية، ولا يمكن تحقيق أي استقرار في المستوى المحلّي لأيّ بلد، ما لم يتم تحقيق الاستقرار في البلدان المجاورة، إلّا أنّ هذا الأمر لا يزال بعيد المنال؛ فقد أعلنت الحكومة العراقية عن إنجاز قسم من الجدار الإسمنتي الذي قرّرت بناءه على حدودها المشتركة مع سوريا ابتداء من منطقة الباغوز، وسيمتد على الشريط الحدودي العراقي - السوري، حيث اعتبره وزير الداخلية العراقي، عبد الأمير الشمّري ([54]) "خطّ الدفاع الأول عن العراق"، وأعلنت عن خطط لتسوير دولة العراق بجدار طويل بذريعة مواجهة عمليات التهريب والهجرة ومرتزقة داعش؛ وكانت تركيا قد أنهت تقريباً جدارها العازل مع سوريا البالغ طوله 911 كيلومتراً، ويتألّف السور التركي من جدران مسبقة الصنع، يبلغ ارتفاع الواحد منها أربعة أمتار وبعرض ثلاثة أمتار([55])؛ وكذلك الجدار الإسرائيلي مع كلّ من الأردن وفلسطين التي سبقت الجميع في هذا المشروع، ويعمل لبنان والأردن على إقامة جدار ناري مع سوريا يستند إلى

[54] وزارة الداخلية/ جمهورية العراق؛ لتعزيز أمن الحدود.. وزير الداخلية يفتتح الجدار الكونكريتي على الشريط الحدودي العراقي السوري؛ تاريخ النشر: 2024.01.28؛ الرابط:https://moi.gov.iq/?article=12057

[55] Ensar Özdemir: تركيا تضع اللمسات الأخيرة على الجدار الأمني مع سوريا؛ الناشر: وكالة الأناضول؛ تاريخ النشر: 2017.11.17؛ الرابط:
https://www.aa.com.tr/ar/pg-مع-الأمني-الجدار-على-الأخيرة-اللمسات-تضع-تركيا-الصور/معرض-سوريا/146/447863

أبراج مزوّدة بكاميرات متطوّرة وأسلاك شائكة وجنود مدجّجين بالسلاح، وأيضاً بذريعة مكافحة التهريب والهجرة.

إنّ سياسة بناء الجدران هي في حقيقتها تعبيرٌ عن الفشل في حلّ أزمات المنطقة ودفعها في مسار يتّجه نحو حافة الهاوية؛ وتخوض معظم دول المنطقة بشكل عام في توتّرات سياسية وأمنية بسبب تأطُّر عقيدتها السياسية والعسكرية والاقتصادية بأيديولوجيات متطرّفة، والانسياق وراء استراتيجيات تمّت صياغتها على أسس البراغماتية ونظرية الواقعية السياسية ([56]) التي تؤكّد على أنّ السلطة والصراع والهيمنة هي الأساس في العلاقات السياسية بين الدول، استناداً إلى حماية أمن السلطة المهيمنة داخلياً وخارجياً بالتستّر خلف مفهوم الأمن القومي؛ ممّا جعل المنطقة تعيش مأزقاً أمنياً ([*]) وما يدعم الاعتقاد بأنّ العُقد والمشاكل في الشرق الأوسط، لا نهاية لهما؛ إلى درجة تُمكِّن من تصنيف دول المنطقة كدول فاشلة ([**]) على غرار سوريا، أو تتّجه إلى أن تتحوّل إلى فاشلة على غرار تركيا ولبنان والسلطة الفلسطينية وإسرائيل.

وبالتالي فإنّ استمرار أزمات المنطقة سيؤدّي إلى مزيد من الانقسامات السياسية العميقة وتصدّع البلدان، ممّا يتسبّب بتلاشي الهوية الوطنية وانهيار النظام السياسي؛ نتيجة للتمزّق والصراع الداخلي، حتى لو نجحت بعض أنظمة الحكم في فرض سلطتها بشكل تعسّفي، إلّا أنّها ستفشل في النهاية لأنّها لم تعالج جذور الأزمة، بالإضافة إلى كونها بحدّ ذاتها تشكّل مصدراً لأزماتها الوطنية وجزءًا من الأزمات الإقليمية.

تكمن بداية الحلول في المصالحة بين أنظمة الحكم وشعوبها، وإجراء إصلاحات سياسية كمنطلق نحو الإصلاحات الاقتصادية برعاية إدارة وطنية رشيدة ([***])، ولا يمكن تحقيق ذلك دون تحقيق التحوّل إلى الديمقراطية في إدارة البلدان التي من شأنها أن توقف حركة تمزيق الوحدة الثقافية لمجتمعات شرق المتوسط، وتخطّي مفهوم الأمة الأحادية، وبناء المجتمع الوطني الديمقراطي، من خلال تخطّي "الدولتية القومية" ضمن إطار المبادئ العامرة بالمساواة والحرية والديمقراطية، وتحرير الإسلام من أيديولوجية الإرهاب والوعيد، وبناء الإدارة الذاتية الديمقراطية دون المساس بالحدود القائمة؛ أي في إطار الوحدة الوطنية الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ وهذا ما يمكّن من الاستجابة

---

[56] بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: الطبعة الأولى 2009/ أبو ظبي؛ ص248.

[*] يصف مصطلح "المأزق الأمني" وضعاً تهدد فيه جهود دولة ما من أجل تعزيز أمنها أمن دولة أخرى. ومن ثم تتخذ تلك الدول ترتيبات لحماية نفسها، ما يسهم كذلك في تهديد الدولة الأصلية. وهكذا ينتهي الأمر بالجهود لتعزيز الأمن إلى الحد منه.."

نفس المرجع السابق؛ ص272.

[**] الدول الفاشلة هي الدول التي فقدت فيها الدولة أو لا تملك السيطرة على أراضيها أو القدرة على احتكار استعمال القوة وتفتقر الدول الفاشلة عموما إلى القدرة على جباية الضرائب وفرض القانون والنظام وتقديم الخدمات العامة..
نفس المرجع السابق؛ ص115.

[***] الإدارة الرشيدة هي الإدارة القائمة على أخلاقيات العمل وتحمل المسؤولية تجاه الأفراد والموارد المتاحة التي يجب استغلالها بشكل كفء (رشيد) ويرتبط مفهوم الإدارة الرشيدة بالتنمية المستدامة والمسؤولية المجتمعية....

البنّاءة للأزمة الاقتصادية التي تعصف بالمنطقة، فالمنطقة ليست فقيرة بالموارد الاقتصادية، ولكنّها تفتقد إلى الإرادة والكفاءات اللازمة لإدارتها واستثمارها في عمليات التنمية بمختلف المجالات وتحقيق الأمنَين الإنساني والوطني، وهذا ما يمكن تطبيقه من خلال الاقتصاد الكومينالي (التشاركي- التعاوني) وكلّما رفعت الطبقة الحاكمة احتكارها عن الاقتصاد ستتّجه القضايا الاقتصادية إلى مسارات الحلّ، كون "التجارة من السلطان مضرّة بالرعايا مفسدة للجباية" كما يقول ابن خلدون في مقدّمته؛ وهذا ما يمكّن المؤسسات الحكومية من معالجة آثار الكوارث الطبيعية بشكل نسبي وإيجاد الحلول للكوارث البيئية عبر مواكبة التقدّم العلمي والتقني واستخدامهما في مجال الصناعة ذات الطابع الإيكولوجي، ممّا يخلق بيئة آمنة من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، ويعزّز الثقة بين الجمهور والحكومة، الأمر الذي يمنع الأفكار المتطرّفة من التسرّب إلى المجتمعات التي ستعمل على مواجهتها بشكل أكثر فعالية من الحكومات، انطلاقاً من دفاع المجتمعات عن هذه البيئة الآمنة التي تجد أمانها فيها؛ كون تبنّي التطرّف في معظم حالاته ليس سبباً للأزمات وإنّما نتيجة لها، وهذا ما سيساهم في دفع البلدان إلى التعاون الجماعي لتحقيق الأمن الإقليمي، وكلّ هذه الأمور كفيلة بإيقاف عمليات الهجرة والتهجير. وتنبغي المعرفة أنّ المرأة تشكّل نصف المجتمع ولا يمكن إنهاء الأزمة الاجتماعية بدون المرأة الحرة المتمتّعة تماماً بكرامتها وعزتها.

المصادر والمراجع.

- **المراجع باللغة العربية.**

1. بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: الطبعة الأولى 2009/ أبوظبي.

2. شادي عبد الوهاب؛ الخيار الصامت: توظيف "العمليات التآمرية" في إدارة التفاعلات الدولية؛ الناشر: المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة؛ تاريخ النشر: 2017.07.09؛ الرابط:

https://futureuae.com/ar-a/Release/ReleaseArticle/386/الخيار-الصامت-توظيف-العمليات-التآمرية-في-إدارة-التفاعلات-الدولية

3. صخري محمد؛ الأزمة السياسية .... المفهوم والأبعاد؛ الناشر: الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية 2021.03.14؛ الرابط:

https://www.politics-dz.com/الأزمة-السياسية-المفهوم-والأبعاد/

4. عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/المجلد الرابع/ أزمة المدنية وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014؛ بلا ناشر.

5. عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/ المجلد الخامس/ القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- 2014؛ الناشر: مطبعة آزادي.

6. د. علاء عبد الحفيظ؛ الأزمات السياسية الدولية: المفهوم- الأنواع- الإدارة؛ الناشر: المعهد المصري للدراسات 17 نيسان 2020؛ الرابط:

https://eipss-eg.org/الأزمات-السياسية-الدولية-المفهوم--الأنواع--الإدارة/

7. د. غالب عبد العزيز الزامل؛ السياق التاريخي للتطرُّف؛ الناشر: التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب؛ تاريخ النشر: 2020.10.05؛ الرابط:

https://www.imctc.org/ar/eLibrary/Articles/Pages/Articles5102020.aspx

8. غنيمة العتيبي؛ بالأرقام: حقائق عن أزمة المياه في العالم العربي؛ الناشر: مدونات البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 2015.03.19؛ الرابط:

https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/numbers-facts-about-water-crisis-arab-wor

9. د. ماجدة منصور؛ التحوّل الديمقراطي وأثره على المشاركة الشعبية في الإصلاح الدستوري دراسة مقارنة؛ الناشر: جامعة المنوفية؛ الرابط:

https://jslem.journals.ekb.eg/article_182820_a1b9c97fac6a2f88900e7cae86c7ad72.pdf

10. محمد حسنين هيكل؛ العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط؛ الطبعة الأولى 1958؛ الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر

11. نجلاء بن ميمون- هنا الشهابي؛ كسر الحلقة المفرغة: كيف يمكن لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا معالجة انعدام الأمن الغذائي؟؛ الناشر: مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية؛ تاريخ النشر: 28 شباط 2023؛ الرابط:

https://mecouncil.org/publication/كسر-الحلقة-المفرغة-كيف-يمكن-لمنطقة-الش/?lang=ar

- **المراجع باللغة الأجنبية.**

1. The Economist Intelligence Unit; DEMOCRACY *INDEX 2023/AGE OF CONFLICT; he Economist Intelligence Unit Limited 2024; Link:*

https://pages.eiu.com/rs/753-RIQ-438/images/Democracy-Index-2023-Final-report.pdf?version=0&mkt_tok=NzUzLVJJUS00MzgAAAGRS_fmsUe_9Z1SBoczQVIyMBvG_esQdzPJGlA0y3eDLYDIOI5RFRo8bW_QKgdcNtbPq-zZbNfsi6V1ZasimIVzBaBQ_UtjXDu3USTboKdWJD6U8Q

2. Jasmin Lilian Diab & Ibrahim Jouhari; CONFLICT, CRISIS, AND MIGRATION:

MARITIME IRREGULAR MIGRATION FROM LEBANON SINCE 2019 (ANALYSIS); Publisher: Friedrich Naumann Foundation for Freedom Madrid; May 2023; Link:

Conflict%20Crisis%20and%20Migration_Lebanon_Ibrahim_Jouhari_Jasmin_Diab_FINAL_.pdf

3. Nathan Citino, Ana Martín Gil, and Kelsey P. Norman; Generations of Palestinian Refugees Face Protracted Displacement and Dispossession; Migration Policy Institute; MAY 3, 2023; Link: https://www.migrationpolicy.org/article/palestinian-refugees-dispossession

4. The Operational Data Portal (ODP); Syria Regional Refugee Response; Last updated 29 Feb 2024; Link: https://data.unhcr.org/en/situations/syria

5. Rima J. Isaifan; Air pollution burden of disease over highly populated states in the Middle East; National Library of Medicine; 2023 Jan 6; Link:

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC9853520/

6. UNHCR/The UN Refugee Agency; Syria situation: 2024 situation overview; Link:

https://reporting.unhcr.org/operational/situations/syria-situation

- **مراكز الدراسات.**

1. مركز روج أفا للدراسات الاستراتيجية؛ الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا؛ دراسة قدمت في منتدى "الهجرة والتهجير في شمال وشرق سوريا: الأسباب، التداعيات، المقترحات والإجراءات" في قامشلو 2024.01.28م.

2. المركز اللبناني للدراسات؛ مرصد الحكومة رقم 19 - النفايات الخطرة الناجمة عن انفجار مرفأ بيروت؛ تاريخ النشر: 2021.06.04؛ الرابط:

https://www.lcps-lebanon.org/articles/details/2455/the-government-monitor-no-19--hazardous-waste-from-the-beirut-port-explosion?lang=ar

3. مجلة كلية التربية/ جامعة الأزهر؛ دور المناهج في تنمية فكر طلاب كلية الشريعة بالجامعة الأردنية لمكافحة التطرّف (بعض المناهج نموذجاً)؛ الناشر: مجلة كلية التربية/ جامعة الأزهر- العدد: 169، الجزء الأول- يوليو لسنة 2016م؛ الرابط:

https://jsrep.journals.ekb.eg/article_32151_dde5d78a0f4d9828d85b610d5e4c4ced.pdf

4. معهد فافو للعمل والبحوث الاجتماعية؛ انفجار في خضم الأزمات: أثر انفجار بيروت على مؤسسات المدينة؛ الناشر: منظمة العمل الدولية؛ تاريخ النشر: آب 2021؛ الرابط:

https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/---arabstates/---ro-beirut/documents/publication/wcms_816474.pdf

- **الموسوعات والمعاجم.**

1. *معجم المعاني الجامع*

2. موسوعة الإمام ابن باز

3. موسوعة ستانفورد للفلسفة

4. الموسوعة السياسية political-encyclopedia

5. Encyclopaedia Britannica

6. موسوعة تاريخ العالم.

- **المواقع الإخبارية.**

1. ابراهيم العلبي؛ بعد تأييد أردوغان للعشائر العربية في دير الزور.. هل تتدخل تركيا عسكريا؟؛ الناشر: الجزيرة؛ تاريخ النشر: 2023.09.09م؛ الرابط:

https://www.aljazeera.net/politics/2023/9/9/بعد-تأييد-أردوغان-للعشائر-العربية-في

2. أخبار الأمم المتحدة؛ سوريا: وضع إنساني قاتم وتأكيد أممي على الحاجة لوقف عاجل للتصعيد؛ تاريخ النشر: 27 شباط 2024؛ الرابط: https://news.un.org/ar/story/2024/02/1128762

3. الحرة؛ انزلاق للتربة يجتاح منجما للذهب في تركيا.. و9 عمال مفقودون؛ تاريخ النشر: 2024.02.13؛ الرابط:

https://www.alhurra.com/turkey/2024/02/13/انزلاق-للتربة-يجتاح-منجما-للذهب-في-تركيا-و9-عمال-مفقودون

4. سام فرانسيس؛ بسبب حرب غزة.. تعريف جديد للتطرف في بريطانيا؛ الناشر: BBC NEWS عربية؛ تاريخ النشر: 2024.03.14م؛ الرابط:

https://www.bbc.com/arabic/articles/c280zddp8dko

5. سركيس قصارجيان؛ الأتراك بعد السوريين والأفغان الأكثر طلباً للجوء إلى أوروبا.. والأطباء في الصدارة؛ الناشر: موقع النهار العربي؛ تاريخ النشر: 2024.03.07؛ الرابط:

https://www.annaharar.com/arabic/politics/international/turkey/208469/الأتراك-بعد-السوريين-والأفغان-الأكثر-طلبا-للجو-إلى-أوروبا-والأطبا-في-الصدارة

6. صحيفة العرب؛ مساندة إخوان سوريا لـ"غصن الزيتون".. الانتماء للجماعة أولاً؛ تاريخ النشر: 2018.01.26م؛ الرابط:

https://alarab.co.uk/مساندة-إخوان-سوريا-لـغصن-الزيتون-الانتماء-للجماعة-أولا?amp

7. موقع الأمم المتحدة؛ الهجرة/ قضايا عالمية؛ الرابط: https://www.un.org/ar/global-issues/migration

8. أخبار الأمم المتحدة؛ المنظمة الدولية للهجرة: الهجرة الدولية تصل إلى 270 مليون نسمة، يعيش أكثر من نصفهم في أوروبا وأمريكا الشمالية؛ تاريخ النشر: 27 تشرين الثاني 2019م؛ الرابط:

https://news.un.org/ar/story/2019/11/1044521

9. نورث برس؛ تلوث في نهر جغجغ نتيجة تسرب المشتقات النفطية إليه جراء القصف التركي المتكرر على مناطق شمال شرقي سوريا؛ تاريخ النشر: 2024.01.29م؛ الرابط: https://npasyria.com/179593/

10. وزارة الداخلية/ جمهورية العراق؛ لتعزيز أمن الحدود.. وزير الداخلية يفتتح الجدار الكونكريتي على الشريط الحدودي العراقي السوري؛ تاريخ النشر: 2024.01.28؛ الرابط: https://moi.gov.iq/?article=12057

11. ANHA؛ العقد الاجتماعي الجديد للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا؛ تاريخ النشر: 13 كانون الأول 2023م؛ الرابط:

https://hawarnews.com/ar/العقد-الاجتماعي-الجديد-للإدارة-الذاتية-الديمقراطية-لإقليم-شمال-وشرق-سوريا

12. Ensar Özdemir؛ تركيا تضع اللمسات الأخيرة على الجدار الأمني مع سوريا؛ الناشر: وكالة الأناضول؛ تاريخ النشر: 2017.11.17؛ الرابط:

https://www.aa.com.tr/ar/pg/معرض-الصور/تركيا-تضع-اللمسات-الأخيرة-على-الجدار-الأمني-مع-سوريا/146/447863

13. SWI swissinfo؛ أزمة المناخ تهدد بتوجيه ضربة قاسية لبلدان الشرق الأوسط الغنية بالنفط وفق خبراء؛ 17 تشرين الأول 2021؛ الرابط:

https://www.swissinfo.ch/ara/أزمة-المناخ-تهدد-بتوجيه-ضربة-قاسية-لبلدان-الشرق-الأوسط-الغنية-بالنفط-وفق-خبراء/47035280

14. SWI swissinfo؛ الاحترار في الشرق الأوسط أسرع بمرتين من المعدل العالمي (دراسة)؛ 9 أيلول 2022؛ الرابط:

https://www.swissinfo.ch/ara/الاحترار-في-الشرق-الأوسط-أسرع-بمرتين-من-المعدل-العالمي-دراسة/47888518

الطاقة (البترول والغاز) كعامل مؤثّر في الأزمة السورية

شرفان سيف الدين

مقدّمة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الطاقة وبجميع أشكالها تُعتبَر من أهم المصادر الاقتصادية التي تعتمد عليها الدول في اقتصاداتها، وسوريا بطبيعة الحال تمتلك كمّية لا بأس بها من هذه الطاقة الطبيعية، منها الأحفورية (غير المتجدّدة) والهيدروليكية وحتى الشمسية (المتجدّدة)، ولكنّ المشكلة الأساس تكمن في عدم استثمارها بالشكل الأمثل لخدمة الشعب السوري؛ بل على العكس من ذلك فقد تم تسخير موارد هذه الطاقة لفئة ضيّقة في قمّة هرم السلطة الحاكمة والتي تتذرّع دوماً بتسخير هذه الموارد للمواجهات العسكرية الخارجية التي تهدّد أمن وسلامة البلاد، في إشارة دائمة إلى حربها "الدونكيشوتية" مع إسرائيل، لا يخفى على أحد أنّ الاحتجاجات التي اجتاحت شمال إفريقيا والشرق الأوسط كانت لأسباب تتعلّق بالحريات العامة والكبت الجماهيري في ممارسة الديمقراطية وحقّ المواطنة، إلى جانب الوضع الاقتصادي المتردّي للمواطن العادي؛ وذلك لعدم استفادته المباشرة من خيرات البلاد وخاصةً في جانب الطاقة ومواردها، وبكلّ تأكيد فقد كانت للطاقة الدور الأبرز في اندلاع الانتفاضات الشعبية الأخيرة من تمرّد وعدم رضىً عن كيفية الاستفادة من هذه الموارد وطرق ترشيدها، ومع بدء هذا التحرّك السلمي في سوريا تنبّهت القوة الغربية إلى الأهمية الجيوسياسية لسوريا وما تملكه من ثروات، وعليه وبعد تزايد عدد القتلى المدنيين وتبنّي النظام السوري لنظرية "المؤامرة" على سوريا وقيادتها كان لابدّ للدول الغربية من اتّخاذ بعض الإجراءات للجمه، وبطبيعة الحال تُعتبَر العقوبات الاقتصادية من أبرز الخطوات في هكذا حالات، وفعلاً فقد بدأ الاتحاد الأوربي بدراسة وضع عقوبات على هذا القطاع الحيوي من الطاقة الأحفورية بشقّيها (النفط والغاز)، وبحسب تقرير لوكالة رويترز في نهاية أب 2011م ([1]) والمستند إلى إدارة معلومات الطاقة الأمريكية بأنّ الصادرات النفطية الإجمالية لسوريا كانت أقل من 150 ألف برميل يومياً في عام 2009م، وبذلك لن يكون هناك تأثير كبير على الإمدادات العالمية، خاصةً أنّ مساهمة سوريا عالمياً هي فقط 0.5 بالمئة من الإنتاج العالمي، ولكن في المقابل سيتم تضييق الخناق على النظام وتوابعه الاقتصادية، كانت عمليات التصفية تتم في المصفاتين الرئيسيتين وهما مصفاة بانياس وحمص، أمّا الاستيراد والتصدير فكان يتم عن طريق الموانئ الثلاث وهي بانياس وطرطوس واللاذقية، وعليه فإنّنا سنحاول في دراستنا هذه التركيز على جانب الطاقة كعامل مؤثّر في الأزمة التي عصفت بسوريا خصوصاً، وسنحاول من خلال المنهج الوصفي

[1] وكالة رويترز الالكترونية، حقائق قطاع النفط في سوريا، مقال على الصفحة الرسمية للوكالة، عرض بتاريخ 24 آب 2011م.
https://www.reuters.com/article/idUSALF467468/

التحليلي الولوج في الخلفيات والتفاصيل، وكيفية إمكانية استفادة الشعب من هذه الموارد الطبيعية والطاقة الأحفورية ، والتي هي أصلاً من حقّه المشروع. ([2])

إحصائيات سوريا في مجال الطاقة الطبيعية قبل الأزمة وأماكن انتشارها:

❖ **النفط:**

بشكل عام تُعتبَر سوريا من الدول المتوسّطة وما دون في إنتاج النفط والغاز بالمقارنة مع باقي الدول المنتجة أو المستثمرة للمواد الطبيعية الباطنية، وبحسب البيانات فإنّ الإنتاج السوري تراجع من 581 ألف برميل يوميا في عام 2001م إلى 375 ألف برميل يوميًا في عام 2009م، لكنّه عاد للارتفاع إلى 385 ألف برميل يوميًا في عام 2010م، تمتلك سوريا احتياطيات مؤكّدة من النفط تبلغ 2.5 مليار برميل تمثّل 0.2 بالمئة من إجمالي الاحتياطيات العالمية، ومعظم احتياطيات سوريا المعروفة من النفط موجودة في شرق البلاد بالقرب من الحدود العراقية، كما توجد بضعة حقول صغيرة في وسط البلاد، أمّا النوعان الرئيسان اللذان تنتجهما سوريا: فالأوّل خام السويداء الثقيل الذي يحتوي على نسبة عالية من الكبريت والذي تُستخرَج منه منتجات نفطية منخفضة الجودة، والثاني هو الخام السوري الخفيف، وعليه فقد كانت الحكومة السورية مضطرة إلى بيع جزء من إنتاجها بالشكل الخام واستيراد الجاهز للاستعمال، وبطبيعة الحال كانت الموانئ الثلاثة (بانياس وطرطوس وميناء اللاذقية) هي الموانئ الرسمية لعملية الاستيراد والتصدير، أمّا المصافي فهي مصفاة بانياس وكانت بطاقة إنتاجية 133 ألف برميل في اليوم، ومصفاة حمص كانت بطاقة إنتاجية 107 آلاف برميل في اليوم.([3])

---

[2] الطاقة وما هيتها (أنواعها وأشكالها):
في تعريف مختصر ومبسّط للطاقة عرفها العلماء: على إنها العمل الذي يمكن أن تقوم به قوة معينة والتي تعدّ كامنة اساساً، وهذه القوة لا يمكن خلقها أو تدميرها، ولكن يمكن تحويلها فقط من شكلٍ إلى آخر.
وعرّفها آخرون على أنها القدرة على القيام بالعمل أو تحقيق التغيير، وهي مفهوم أساسي في الفيزياء والعلوم الطبيعية بشكل عام وتأتي الطاقة بعدة أشكال مختلفة ويمكن نقلها أو تحويلها من شكل إلى آخر ولكنها لا تختفي ولا تخلق من العدم.
أنواع الطاقة:
1- الطاقة الحركية (طاقة الأجسام المتحركة).
2- الطاقة الكامنة (الطاقة المخزنة)، وتشمل أنواع الطاقة المختلفة مثل الطاقة الحرارية، والطاقة المشعة، والطاقة الكيميائية، والطاقة النووية، والطاقة الكهربائية، وطاقة الحركة، والطاقة الصوتية، والطاقة المرنة، وطاقة الجاذبية.
أشكال الطاقة:
1- الطاقة المتجدّدة: وهي الطاقة الناتجة عن المصادر الطبيعية والتي تتجدد بمعدل يفوق ما يتم استهلاكه مثل أشعة الشمس والرياح والمياه ...الخ. وتعتبر هذه الطاقة طاقة نظيفة حيث انها لا تخلف آثار جانبية سلبية عند استخدامها لا على الطبيعة ولا على البشر.
2- الطاقة غير المتجدّدة: وهي أيضاً تعتبر نوعاً ما من المصادر الطبيعية الباطنية والتي يستغرق تشكيلها ملايين السنين، ولكنّها لا تتجدد باستخدامها مثل الطاقة الأحفورية (الفحم والنفط والغاز)، كما وأنّها تتسبّب عند إنتاجها واستخدامها في انبعاثات ضارة من غازات دفيئة مثل ثاني أكسيد الكربون.

[3] وكالة رويترز الالكترونية، حقائق قطاع النفط في سوريا، مقال على الصفحة الرسمية للوكالة عرض بتاريخ 24 آب 2011م.
https://www.reuters.com/article/idUSALF467468/

وتتوزّع حقول النفط السورية في مقاطعة الجزيرة إلى 6 حقول موزّعة على 1322 بئرًا نفطيًا، ومقاطعة دير الزور 4 حقول، ومنطقة تدمر التابعة لمحافظة حمص حقلان. أوّل حقول مقاطعة الجزيرة (الحسكة) هو السويدية، وهو أغزر حقول البلاد إنتاجاً، إذ كان ينتج حوالي 100 ألف برميل يومياً قبل 2011م، بالإضافة إلى حقول الرميلان وكان ينتج 85 ألف برميل يومياً، بالإضافة إلى حقول الشدادي والجبيسة والهول بمعدّل وسطي 10 آلاف برميل لكلّ حقل يومياً، واليوسفية بحوالي ألف برميل يومياً.

أمّا حقول مقاطعة دير الزور فهي حقل العمر وكان ينتج 70 ألف برميل يومياً، ويليه حقل التيم والورد بإنتاج 40 ألف برميل يومياً، وحقل التنك وكان ينتج أيضاً 40 ألف برميل يومياً.

أمّا حقول تدمر شرقي محافظة حمص فهي: حقل حيّان بطاقة إنتاجية يومية 6 آلاف برميل يومياً، وحقل جزل بطاقة إنتاجية يومية 4 آلاف برميل يومياً، بالإضافة إلى حقل الشاعر الذي كان ينتج 9 آلاف برميل يومياً.

أمّا بحسب تقرير لموقع "أويل برايسز" المتخصّص في شؤون الطاقة ومقرّه بريطانيا، وكذلك مجلّة النفط والغاز فإنّ إجمالي الاحتياطي النفطي في سوريا يُقدّر بنحو 2.5 مليار برميل، ويتركّز حوالي 75% منها في حقول مقاطعتَي الجزيرة ودير الزور شمال وشرق سوريا، أمّا إنتاج سوريا للنفط قبل الأزمة فقد بلغ بالمتوسط 385 ألف برميل في اليوم كما أسلفنا سابقاً (وذلك بحسب النشرة الرسمية الصادرة عن الشركة السورية للنفط) بين عامَي 2008 و2010 م، في حين بلغ أدنى مستوى للإنتاج منذ أكثر من 30 عاماً 25 ألف برميل في اليوم عام 2014 م، في حين قدّرت ورقة عمل صدرت عن صندوق النقد الدولي عام 2016م أنّ الإنتاج قد تراجع إلى نحو 40 ألف برميل في اليوم (في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السورية).

جدول توضيحي بإنتاج الحقول النفطية قبل الأزمة (بحسب النشرات الدورية للشركة السورية للنفط):

المحافظة	الحقل	الإنتاج (بالبرميل)	النسبة المئوية
الحسكة	السويدية	100000	%26
الحسكة	الرميلان	85000	%22.1
الحسكة	الشدادي	10000	%2.6
الحسكة	الجبيسة	10000	%2.6
الحسكة	الهول	10000	%2.6
الحسكة	اليوسفية	1000	%0.3
دير الزور	العُمر	70000	%18.2
دير الزور	التيم والورد	40000	%10.3
دير الزور	التنك	40000	%10.3
حمص (تدمر)	حيّان	6000	%1.6
حمص (تدمر)	جزل	4000	%1
حمص (تدمر)	الشاعر	9000	%2.4
المجموع	**-**	**385000**	**%100**

❖ **الغاز:**

أمّا بالنسبة للغاز فقد قُدّرت احتياطات الغاز الطبيعي في عام 2008م بـ 240.7 مليار متر مكعب، محتلّة بذلك المرتبة رقم 42 عالمياً، وبحسب الهيئة الجيولوجية الأمريكية فقد قُدّرت احتياطيات الغاز الطبيعي في البحر المتوسط فقط بـ 700 مليار متر مكعب، في حين أنّ إجمالي الاحتياطيات السورية من الغاز بخاصة بعد إضافة العديد من الاكتشافات الجديدة تبلغ 28 تريليون متر مكعب، وكلّ ذلك بحسب تقديرات مركز "فيريل" للدراسات في برلين، وفي تقرير له توقّع أن تحتلّ سوريا المركز الثالث عالمياً في إنتاج الغاز فيما لو تمكّنت من رفع قدرتها الإنتاجية إلى حدّها الأقصى. ويقدّر إنتاج الغاز الطبيعي بحسب أبحاث اقتصادية في حقول الحسكة الرميلان والجبيسة بـ 3,600,000 ألف متر مكعب يومياً، بينما حقول تدمر السبعة تنتج ما يزيد عن 7 ملايين متر مكعب يومياً، وحوالي مليون ونصف متر مكعب في حقول ريف دمشق. كما وتُشير التقديرات من منتصف عام 2013 إلى أنّ الخسائر الناجمة عن قطاع الغاز والنفط قد وصلت إلى 12 مليار دولار، سواء من أسباب مباشرة (مثل تدمير البنية التحتية والتسريب والسرقة) أو أسباب غير مباشرة (خسائر الصادرات) وذلك وفقاً لإحصائيات وتقديرات الحكومة السورية.

بالنسبة لحقول الغاز في مقاطعة الجزيرة فهما حقلان، حقل الرميلان: وهو الحقل الأكبر بطاقة إنتاجية من مليونَي متر مكعب من الغاز يومياً، وحقل الجبيسة: بطاقة إنتاجية نحو مليون 1,600,000 متر مكعب يومياً، موزّعة على 25 بئرًا غازيًا.

أمّا بالنسبة لمقاطعة دير الزور فيُعتبَر حقل كونكو من أبرز حقول المقاطعة، ويُعرَف محلّياً باسم معمل غاز الطابية (وذلك نسبة إلى رأس الطابية التي يقع عليها) أمّا تسمية كونكو فهو اسم الشركة الامريكية الخاصّة والمختصّة في مجال الطاقة والتي قامت بإنشائه عام 2000م والاتفاق مع الحكومة السورية على تسليمه للجهات المختصة بعد عقد لمدة خمس سنوات، وتُقدَّر الطاقة الإنتاجية له بـ 13 مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي يومياً.

منطقة تدمر 7 حقول، وهي حقل الشاعر، وهو أكبر حقول الغاز في البلاد بطاقة إنتاجية تصل إلى 3 ملايين متر مكعب، يليه حقل الهيل بطاقة إنتاجية تصل لمليونَي متر مكعب، وآراك بطاقة 750 ألفاً، وحيّان بـ 650 ألفاً، والمهر بـ 400 ألف، وجحار بـ 350 ألفاً، وأبو رياح بـ 300 ألف.

أمّا حقول شمالي دمشق الجديدة والتي تضم محافظة ريف دمشق والتي بدأ الاستخراج منها بعد عام 2018م عبر شركات روسية، فهي قارة 1 بطاقة إنتاجية يومية 450 ألف متر مكعب، وبريج 1 بطاقة إنتاجية يومية 200 ألف متر مكعب، وقارة 2 بطاقة إنتاجية يومية 450 ألف متر مكعب، قارة 3 بطاقة إنتاجية يومية 500 ألف متر مكعب، وصدد 9 بطاقة إنتاجية يومية 500 ألف متر مكعب.

جدول توضيحي بإنتاج الحقول الغازية قبل الأزمة، والمكتشَفة والمفعّلة خلالها (بحسب النشرات الدورية للشركة السورية للنفط):

المحافظة	الحقل	الإنتاج (بالمتر المكعب)	النسبة المئوية
الحسكة	رميلان	2000000	%7.6
الحسكة	الجبيسة	1600000	%6.1
دير الزور	كونكو (الطابية)	13000000	%50
حمص (تدمر)	الشاعر	3000000	%11.5
حمص (تدمر)	الهيل	2000000	%7.6
حمص (تدمر)	آراك	750000	%2.9
حمص (تدمر)	حيان	650000	%2.4
حمص (تدمر)	المهر	400000	%1.5
حمص (تدمر)	حجار	350000	%1.3
حمص (تدمر)	أبو رياح	300000	%1.2
ريف دمشق	قارة1	450000	%1.7
ريف دمشق	بريج1	200000	%0.7
ريف دمشق	قارة2	450000	%1.7
ريف دمشق	قارة3	500000	%1.9
ريف دمشق	صدد9	500000	%1.9
المجموع	**-**	**26150000**	**%100**

أهمية سوريا في إستراتيجيات الطاقة، وتأثيرها كعامل من عوامل الأزمة السورية واستمراريتها:

ممّا لا شكّ فيه أنّ موقع سوريا الجغرافي يجعلها ذات أهمية في الشرق الأوسط، والذي يُعتبَر في حدّ ذاته عقدة وصل مهمة في العالم، فلا يخفى على أحد مدى أهمية هذه المنطقة من خلال بقائها عقدة وصل مهمّة ما بين قارات العالم الثلاث وما بين الشرق والغرب بشكل عام، وإمكانية مرور عدّة مشاريع للنقل (الترانزيت) من خلال أراضيها بحكم موقعها الجيوسياسي ومتاخمتها لمناطق ودول ذات استراتيجية عالمية هامة للطاقة مثل دول الخليج والعراق، والغاز المستكشف حديثاً في حوض شرق المتوسط، وهنا يمكننا ذكر أهم نقاط القوة بالنسبة لأهمية موقعها وتلخيصه فيما يلي:

- طرق الحرير الصيني ما بين الشرق والغرب ومرورها ضمن الأراضي السورية.
- مشروع أنبوب الغاز القطري ونقله عبر السعودية والأردن وسوريا وتركيا للقارة العجوز (أوروبا).
- مشروع أنبوب الغاز المصري وعبوره ضمن سوريا.
- مشروع الخط الإسلامي الإيراني عبر العراق فسوريا فتركيا إلى أوروبا.

- إمكانية نقل النفط العراقي ومشروع ايصاله للبحر المتوسط عبر أراضيها.
- خط التابلان النفطي ما بين دول الخليج وساحل شرق المتوسط.
- اكتشاف مخزون احتياطي ضخم من الغاز في الساحل السوري وحقل كونكو في بادية إقليم دير الزور.
- اكتشافات اليورانيوم المرافق للفوسفات في بادية تدمر وما حولها.

بطبيعة الحال في سوريا وبعد اندلاع الأزمة الأخيرة وتطوّر الأحداث فيها بشكل متسارع وتدخّل القوى المتطرّفة على الخط ومن ثم تدخّلات القوى الإقليمية ومن ثم الدولية بشكل مباشر كان له الأثر أو كان السبب المباشر في إطالة امد الحرب الدائرة، خاصة بعد توضّح الصورة شيئًا فشيئاً لمطامع الدول الداخلة في الصراع وتضارب المصالح فيما بينها في بعض الأحيان وتقاطعها في أحيان أخرى، ويمكننا توضيح بعض هذه المصالح والغايات في النقاط التالية:

أسباب داخلية:

- عدم تسخير هذه المواد الطبيعية من الطاقة في خدمة الشعب السوري وتسلّط السلطة السياسية عليها.
- حالة الجفاف التي مرّت على سوريا خلال سنوات شحّ الامطار وعدم استثمار الطاقة كبديل.
- تسخير العائدات من هذه الثروة الطبيعية في الخدمات اللوجستية للقوة العسكرية، وخلق حالة من الطوارئ في مواجهة دونكيشوتية مع إسرائيل.
- عدم الشفافية مع الشعب ومشاركته في أرقام عوائد الطاقة في الموازنات السنوية العامة للدولة.

أسباب خارجية:

- تسخير هذه الموارد الطبيعية من قبل القوى الإرهابية المتمثّلة بتنظيم القاعدة (داعش - النصرة) في تمويل عملياتها العسكرية ضمن سوريا وخارجها.
- التنافس فيما بين القوة الإقليمية والدولية في الهيمنة على الجغرافية السورية وخاصةً الموارد الطبيعية.
- أطماع تركيا وابتزازها لكلّ من سوريا والعراق للاستفادة من تبادل المياه بالطاقة.
- عدم رغبة روسيا في سقوط سوريا بيد الغرب؛ وذلك من أجل إفشال المشاريع الغربية في نقل الطاقة عبر الأراضي السورية للدول الأوروبية والغربية، واستغلال الغاز الطبيعي في حوض شرق المتوسط المستكشف حديثاً.
- إيران تحاول السيطرة على سوريا؛ وذلك لتنفيذ أجنداتها المتعلّقة بالنشر الأيديولوجي الديني، بالإضافة إلى إمكانية السيطرة على منابع الطاقة الطبيعية، وقطع الطريق أمام المشاريع الدولية في الاستفادة من الأراضي السورية كنقاط ترانزيت للعبور.

الطاقة ودورها في النزاعات السياسية، والأطماع (المحلّية، الإقليمية، الدولية) في قطاع الطاقة السورية:

- **داعش والاستفادة من السيطرة على منابع الطاقة في البادية السورية والعراق:**

مع وصول تنظيم (داعش) إلى قمّة الهرم في قيادة وإدارة أكثر من 100 ألف كم مربع من الأراضي السورية والعراقية، وعلى الرغم من أنّ أكثرها كانت أراضٍ صحراوية وبادية إلّا أنّها كانت غنية بالثروات الباطنية بالإضافة إلى أنّها بذلك سيطرت على عقدة طرق ومواصلات هامة، كلّ ذلك أدّى إلى أن يكون (داعش) هو أكثر التنظيمات الإرهابية غنىً وتنظيماً من حيث التعاملات الحسابية والتعامل المباشر مع السيولة النقدية والمال العسكري، بالإضافة إلى تأسيسه إدارة مالية وضرائبية وجباية منظّمة بوثائق وثبوتيات وإيصالات دفع وقبض؛ وهذا ما جعله يخطو خطوات متقدّمة بالنسبة لباقي التنظيمات الإرهابية، فقد أسّس لهيكلية مؤسساتية منظّمة في عملياته المالية.

وبحسب بعض المراكز المختصّة في شؤون الجماعات الإرهابية (مركز تحليل الإرهاب) فقد بلغت ميزانية داعش سنة 2015م 2.6 مليار دولار أمريكي، وسيطر على أصول بقيمة 2260 مليار دولار أمريكي، بطبيعة الحال كانت هذه الأصول تضمّ حقول النفط والغاز؛ أي الموارد الباطنية الطبيعية في الأراضي التي تسيطر عليها في كلّ من سوريا والعراق، بالإضافة إلى جميع مؤسّسات الدولتَين اللتَين كانتا قائمتَين وقتها، أمّا بحسب الـ (فاينانشيال تايمز) فإن عائداتها اليومية من تجارة النفط كانت تتراوح ما بين 1.5 – 3 مليون دولار أمريكي يومياً، وبذلك يكون واردها السنوي ما يقارب المليار دولار أمريكي، وبحسب المصدر ذاته فإنّ داعش كان ينتج ما يقارب 100 ألف برميل من النفط يومياً، وبحسب المصدر ذاته فإنّ واردات داعش في العام نفسه من الغاز الطبيعي قد بلغ ما يقارب الـ (350) مليون دولار، وواردتها من الفوسفات في نفس العام ما يقارب الـ (250) مليون دولار.

أمّا بحسب تقديرات الأرقام من إدارة معلومات الطاقة فإنّ إنتاج تنظيم (داعش) في سوريا كان 30 ألف برميل في اليوم؛ ما يعني أرباحًا قدرها 1.2 مليون دولار في اليوم، عند بيعها في السوق السوداء إذا ما قدّر بسعر 40 دولاراً للبرميل الواحد وقتها، في حين كان السعر العالمي يصل إلى 100 دولار للبرميل الواحد، وفي حال إدراج الإنتاج العراقي الذي يسيطر عليه التنظيم أيضاً، يرتفع تدفّق الإيرادات إلى ما يقدّر بـ3,2 مليون دولار في اليوم. يتم إيصال هذا الإنتاج بشكل رئيسي إلى المشترين المحلّيين وأسواق التصدير في تركيا، حيث يتم نقل معظم هذا الإنتاج عن طريق أسطول كبير من الشاحنات يتراوح ما بين الـ 70 وحتى 100 صهريج.

بطبيعة الحال داعش حتى وبعد إعلان دولته المزعومة لم يستطع الخروج من قوقعة التنظيمات الإرهابية ومن قوائم الدول الكبرى الغربية والإقليمية، ولم يكن بمقدوره القيام بأيّة علاقة كاملة مع أي من دول الجوار أو الحكومات بشكل رسمي؛ وعليه فقد كان مجبرًا بالتعامل مع المحيط الخارجي بتعاملات تجارية مشبوهة وعن طريق شركات وهمية وسماسرة الحرب الذين كانوا صلة وصل ما بين تنظيم الدولة ودولهم التي كانت بطبيعة الحال تحصل على الطاقة من النفط والغاز المسروق والمنهوب بأقل من ربع قيمته العالمية، وتُعتبَر تركيا في رأس هرم هذه الدول التي كانت

على علاقة وثيقة مع داعش بحسب ما ظهر للعلن من وثائق وكتب ملموسة على التعاملات المالية الضخمة التي حصلت عن طريق تركيا وشركاتها وبنوكها ومكاتب الحوالات والصيرفة.....إلخ. أمّا بالنسبة لعمليات البيع فقد كانت تتم عن طريق النقدية الملموسة لا عن طريق التحويلات البنكية أو الصكوك المتعارف عليها؛ فكانت كمية مليون دولار على سبيل المثال يتم تناقلها والانتقال بها عبر حقائب سفر من شخص إلى آخر والاستلام والتسليم الشخصي، وبذلك يتم تجاوز الكثير من الأمور البيروقراطية والروتين؛ وبالتالي تجاوز أيّة ثبوتيات وأوراق أو مستمسك ملموس وهكذا.

- **تركيا والاطماع في شمال وشرق سوريا:**

بعد الانتصار التاريخي للقوى الكردية في كوباني بدا جلياً للعالم أجمع مدى إمكانية الاعتماد على هذه القوى في عمليات محاربة الإرهاب وتنشيط وتفعيل قوتها بما يناسب المرحلة؛ وهكذا بدأت العمليات المتلاحقة حتى تحرير مدينة الرقة (عاصمة الخلافة الإسلامية المزعومة)، بطبيعة الحال كان كلّ ما يجري على الساحة السورية لا يتطابق والهوى للمشاريع الإقليمية عامةً والتركية خاصةً وأحلامها في إعادة أمجاد العثمانية الغابرة وتطبيق الميثاق الملي الذي يتضمّن أجزاء واسعة من الأراضي السورية والعراقية؛ والتي تمتد من حلب حتى الموصل وما يتخلّلهما من أراضٍ وثروات طبيعية وكتلة بشرية هائلة من الأيدي العاملة وكمّ هائل من الاقتصاد الكامن فيها، إنّنا هنا لا نطلق هذه الادّعاءات في الأطماع التركية في ثروات المنطقة من فراغ أو جزافاً؛ بل على العكس تماماً وكما يقول المثل الشعبي (من فمك أدينك)؛ فبحسب تقرير لقناة سكاي نيوز عربية كان قد عُرِض بتاريخ 11 أذار 2020م، فقد كشف الرئيس التركي بنفسه وعلى لسانه حقيقة أهدافه في الشمال السوري، حين قال "إنّه عرض على الرئيس الروسي تقاسم إدارة حقول النفط في دير الزور، وهو عرضٌ قال إنّه سيطرحه كذلك على الرئيس الأميركي". ما يتحدث عنه أردوغان تقييمه التقارير الاقتصادية بمليارات الدولارات؛ فحقول دير الزور تشكّل 75 % من مجمل الاحتياطي النفطي السوري المقدّر بـ 2.5 مليار برميل. ([4])

وعليه فقد اجتاحت تركيا سوريا لأول مرّة في آب من العام 2016م تحت مسمّى (درع الفرات) واحتلّت كلًّا من مناطق جرابلس، والباب، الراعي وإعزاز، أمّا في المرة الثانية وبالتحديد في آذار من العام 2018م وتحت مسمّى (غصن الزيتون) فقد احتلّت مدينة عفرين مع كامل بلداتها وقراها، وهجّرت سكّانها ومارست أبشع الانتهاكات بحقهم، أمّا المرة الثالثة فتحت مسمّى (نبع السلام) وبالتحديد في تشرين الأول من عام 2019م اجتاحت كلًّا من مدينتَي سري كانيه (رأس العين) وكري سبيه (تل أبيض) مع قراها. إنّ الأطماع التركية لا حدود لها بحسب الانتهاكات التي تمارسها بحقّ السكّان الأصليين في المناطق المحتلّة من قبلها؛ وهي تريد بذلك الاستفادة القُصوى من الخيرات والثروات الطبيعية والبشرية للتغطية على التدهور المتسارع في اقتصادها، ويتبيّن ذلك جليّاً في عمليات التسوّل السياسي من قبل رأس الهرم، فيها وذلك من خلال جولاته في الدول الخليجية وعلى رأسها دويلة قطر والتي تشاركها قيادة العالم الإسلامي (الإخوان المسلمين) حصراً، وابتزاز الدول الأوربية بملف اللاجئين وضخّهم إلى أوروبا.

[4] النفط السوري بين أردوغان وبوتين وترامب، تقرير لـ سكاي نيوز عربية عرض بتاريخ 11 أذار 2020م.
https://www.skynewsarabia.com/video/1327442

أمّا ما يتبيّن في السنوات الأربع الأخيرة ولعدم تمكّن رأس النظام التركي من انتزاع موافقة مبطّنة من القوى الغربية وروسيا بشنّ أي اجتياح برّي جديد في سوريا وخاصةً شمال وشرق سوريا والتي تُدار من قبل الإدارة الذاتية الديمقراطية، فقد أصبحت تتّبع سياسة جديدة؛ وهي سياسة المسيّرات الحربية وضرب للبنية التحتية الاقتصادية، هذه البنية التي يستفيد منها بشكل غير مباشر جميع السوريين، وبشكل خاص المناطق التي تديرها هذه الإدارة والتي يزيد عدد سكانها عن خمسة ملايين نسمة، بكل تأكيد إنّ تركيا لا تفوّت أيّة فرصة للضغط المباشر وغير المباشر على هذه الإدارة في مطالبة ضمنية مبطنة بحصتها من خيرات هذه البلاد، وتعتبر مسألة محطة علوك للمياه في مدينة سري كانيه (رأس العين) وقطعها للمياه عن مدينة الحسكة ونواحيها خير دليل على هذه المساومة.

- **روسيا في الساحل السوري والاكتشافات الحديثة للطاقة فيها:**

لم يعد خافياً على أحد أنّ روسيا بدخولها على خط الازمة السورية قد زادت من تعقيدات الحلّ السياسي، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الدخول لن يكون بالمجّان ولا لأسباب أخلاقية أو إنسانية بحتة، وتعدّ استكشافات الغاز الطبيعي في شرق المتوسط من أهم الأسباب التي تدعو روسيا والدول الغربية على حد سواء للتدخّل في الملف السوري. وبالفعل وبحسب الصحف الرسمية الصادرة من دمشق فقد تم توقيع عقدَين بين وزارة البترول والثروة المعدنية السورية مع شركتَي "كابيتال ليميتيد" (Capital Limited)و"إيست ميد عمريت" (East Med Amrit) الروسيتَين؛ حيث ينصّ العقد الأول على منح شركة "كابيتال ليميتيد" حقاً حصريا في التنقيب عن البترول والغاز وتنميته في البلوك البحري الأول في المنطقة الاقتصادية والمياه الإقليمية الخاصة بسوريا في البحر المتوسط مقابل ساحل محافظة طرطوس حتى الحدود البحرية الجنوبية السورية - اللبنانية بمساحة 2250 كيلو متر مربع، ومدّة العقد تنقسم إلى فترتَين: الأولى للاستكشاف، ومدّتها 48 شهراً تبدأ بتوقيع العقد، ويمكن تمديدها لـ 36 شهراً إضافيةً، أمّا الفترة الثانية فللتنمية، ومدّتها 25 عاماً قابلة للتمديد لمدة 5 سنوات، أمّا تقاسم الحصص بينهما فمرتبط بالسعر العالمي للنفط والغاز والكميات المنتجة في المستقبل.

أمّا العقد الثاني فقد جاء بعد توقيع عقد استكشاف في البلوك الثاني للمنطقة الاقتصادية في المياه الإقليمية السورية في البحر المتوسط، الممتدّ من شمال طرطوس إلى جنوب بانياس بمساحة 2190 كم، مع شركة "إيست ميد عمريت"، وتم توقيع عقد لتأجير مرفأ طرطوس لشركة "اس.تي.جي. جي اينجينيرينغ STG ENGENEERING "الروسية، لمدّة 49 عاما.

وبدأت الاتفاقيات بين الجانب الروسي والحكومة السورية عام 2017، عندما تعاقدت الحكومة مع شركة حماية روسية لحماية المنشآت النفطية والغازية من داعش مقابل الحصول على 25% من الأرباح، ومن ثم استحوذت روسيا عبر عدد من الشركات (ميركوري- فيلادا- اس تي جي وغيرها) على الحقول النفطية والغازية في ريف دمشق الشمالي في موقعَي قارة وبريج، وحقول تدمر الأربعة شرقي حمص، والحقول الموجودة والمكتشفة مقابل الساحل السوري، وذلك عبر عقود أبرمتها مع الحكومة السورية تخوّلها امتلاك حقوق حصرية لإنتاج واكتشاف الغاز والنفط، وتنصّ الاتفاقيات على إعادة تأهيل آبار النفط والبنية التحتية لها، وتقديم الاستشارات في مجال الطاقة وتدريب الكوادر الفنية،

وبلغت قيمة هذه الاتفاقيات 40 مليار دولار. بينما ذكر تقرير لمركز "فيريل" للدراسات في برلين توقّعاته بأن تحتلّ سوريا المركز الثالث عالمياً في إنتاج الغاز، فيما لو تمكّنت من رفع قدرتها الإنتاجية إلى حدها الأقصى، وقد قدّرت الهيئة الجيولوجية الأمريكية احتياطات سوريا من الغاز، خاصة بعد إضافة العديد من الاكتشافات الجديدة، بمقدار 28 تريليون متر مكعب.

خط الغاز العربي يشكّل الرابط الوحيد حالياً بين عدّة بلدان عربية في المنطقة، أنشئ الخط عام 2008 بطول 1,200 كم. بعد نحو 5 سنوات من العمل، ويمتدّ من مدينة "العريش" المصرية إلى مدينة "العقبة" الأردنية ومن ثم إلى مدينة "الرحاب" شمال الأردن؛ فالداخل السوري وصولاً إلى مدينة "حمص" السورية ومنها إلى مدينة "دير عمار" في لبنان فـ"بانياس" على الساحل السوري ومنها إلى ميناء "جيهان" التركي لتوريدها إلى الأسواق الأوروبية، تقدّر احتياطات الغاز في حوض شرق المتوسط بنحو 5.1% من مجمل الاحتياطات العالمية، يقدّر التقييم بأنّ المنطقة تحتوي على متوسط 879 مليون برميل من النفط و286,2 تريليون قدم مكعب من الغاز. وبالتالي فإنّ كلّ هذه الأرقام والإحصاءات تزيد من زيادة سيلان لعاب القوى الإقليمية والدولية للوصول إلى هذه المياه الدافئة والغنية بكلّ هذه الثروات الطبيعية واستغلالها. ([5])

- **الطاقة الأحفورية (النفط والغاز) في ظلّ الإدارة الذاتية الديمقراطية:**

لم يعد خافياً على أحد أنّ التقسيم الإداري لسوريا قد أصبح واقعاً ملموسا ولو بشكله الحالي الموجود على الأرض، وقد توضّحت الصورة أكثر خاصةً بعد القضاء على تنظيم (داعش) جغرافياً، وأصبحت مناطق سيطرة النظام القائم تتوزّع في الداخل والساحل مع البادية السورية، ومناطق شمال وشرق سوريا تُدار من قبل الإدارة الذاتية الديمقراطية المعلَنة منذ عام 2014م، أمّا مناطق شمال غرب سوريا فتُدار من قبل الفصائل الراديكالية الإسلامية المتشدّدة وتنظيم القاعدة المتمثّلة بهيئة تحرير الشام (النصرة سابقاً)، وفصائل ما بات يعرف (بالجيش الوطني السوري) التي تحوّلت إلى مرتزقة بيد المحتلّ التركي.

بطبيعة الحال مناطق شمال وشرق سوريا تُعتبَر المناطق الأغنى من حيث الثروات الطبيعية الباطنية وأيضاً الزراعية، فقد كانت السلّة الغذائية المتكاملة لكامل سوريا، أمّا بالنسبة للثروات الباطنية فقد تم شرح وتوضيح الأرقام بالتفاصيل بحسب ما توفّر من معلومات وبحث أعلاه، ولكن هنا نريد توضيح ما يلزم بالنسبة لكيفية الاستفادة من هذه الثروات من قبل السوريين في ظلّ الإدارة الجديدة لهذه الموارد، فقد جاء في البند الرابع من المبادرة التي أطلقتها الإدارة الذاتية في 18 نيسان 2023م ما يلي: "نؤكّد على أنّ الثروات والموارد الاقتصادية الحالية يجب أن يتم توزيعها بشكل عادل بين كلّ المناطق السورية، فالموارد الموجودة في شمال وشرق سوريا مثل: (النفط، الغاز، المحاصيل الزراعية) مثلها مثل غيرها من الموارد الموجودة في المناطق الأخرى في سوريا هي ملك لجميع أبناء الشعب السوري، ونحن نؤكّد مرةً أخرى على ضرورة مشاركة هذه الموارد من خلال الاتفاق مع الحكومة السورية عبر الحوار والتفاوض". كما جاء في العقد الاجتماعي الذي صدر وصادق عليه

[5] مارك أيوب - خرائط استكشاف حوض شرق المتوسط (طفرة أوهام الغاز) - 19 كانون الأول 2022م – موقع صفر الاقتصادي.https://alsifr.org/gas-maps

المجلس العام في الإدارة الذاتية الديمقراطية لشمال وشرق سوريا بتاريخ 12 كانون أول 2023م، في المادة رقم /69/ أنّ الثروات والموارد الطبيعية ثروة عامة للمجتمع يُمنَع تحويلها إلى ملك خاص، وينظّم استثمارها وإدارتها والتصرف بها بشكل عادل بقانون. من جهة أخرى تؤكّد القيادات في الإدارة الذاتية في كلّ مناسبة على أحقّية جميع المواطنين السوريين في الاستفادة من الثروات الطبيعية للبلاد بشكل متساوٍ وعادل، ففي حديث لأحد المسؤولين رفيعي المستوى لصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 15 آب 2023م يؤكّد بالنسبة لملف الطاقة بشكل خاص على النقاط التوضيحية التالية:

- إنّ الإدارة تستثمر أقلّ من نصف الآبار والحقول في مناطق نفوذها، أي قرابة 150 ألف برميل يومياً، علماً أنّ الإنتاج كان نحو 385 ألف برميل يومياً قبل الحرب 2011.

- بعد تحرير قوات سوريا الديمقراطية لحقول (العمر) والغاز (كونكو) بريف مقاطعة دير الزور عام 2019م والغاز بالجبيسة بريف الحسكة عام 2016م واجهتها معوّقات لوجستية اعترضت إنتاج الكثير من الآبار، حيث كانت بعض معدّاتها مسروقاً، وقسم آخر كان قد تعرّض للتخريب الممنهَج بغية تدمير اقتصاد المنطقة، والحقول التي سلمت من المعارك والسرقة كانت في الرميلان والسويدية بريف مقاطعة الحسكة بفضل سيطرة (وحدات حماية الشعب) التابعة لقوات سوريا الديمقراطية عليها، أمّا باقي الآبار فهي بحاجة إلى صيانة وترميم وخبراء وفنّيين وإمكانات كبيرة لا نملكها، أضف إلى ذلك أنّ الحصار المفروض على مناطقنا من جميع الجهات، أثّر بشكل كبير على تراجع قطاع النفط.

- عائدات النفط تعود لهياكل الإدارة الذاتية والمجالس المحلّية التي تدير هذه المناطق، لتغطية نفقات القوات العسكرية والأمنية التي تحمي حدودها الجغرافية، وتدخل في الموازنة العامة لتقديم الخدمات لسكّان المنطقة ودفع أجور العاملين والموظفين.

- عمليات البيع والشراء تتم عبر تجّار محسوبين على تلك الجهات (النظام)، والكمّيات المستخرَجة اليوم بالكاد تكفي احتياجات سكّان المنطقة، وعلى الرغم من ذلك يُباع قسم منها عبر هؤلاء التجّار للحكومة، وقسم آخر يشتريه التجّار لبيعه إلى باقي المناطق. لا نحتكر هذه الثروات كما تروّج الحكومة وجهات معارضة، وبات معلوماً للجميع أنّ مناطق الإدارة نفسها تشتكي من أزمات خانقة في توزيع الغاز المنزلي والمازوت، وبالإمكان مشاهدة طوابير من السيارات في الحسكة ومنبج والقامشلي وهي تنتظر دورها لاستلام حصصها اليومية.

- خلال لقاءاتنا المباشرة مع النظام في دمشق ناقشنا الجهات المعنية في الدولة السورية، في إمكانية استثمار حقول النفط وإصلاح جميع الآبار والحقول، طلبنا إرسال خبراء ومختصّين من وزارة النفط وتأمين قطع التبديل، والاتفاق على آلية رسمية للتبادل التجاري، لكنّها رفضت التطرّق لهذه النقاشات، وطالبت بالسيطرة الكاملة على هذه الحقول.

- قدّمنا للتحالف الدولي مخطّط مشروع لبناء مصفاة لتكرير النفط، ونظراً لأنّ مناطقنا محاصرة من جهاتها الأربع، وعدم وجود معابر رسمية، لم تفلح هذه الجهود في إنشاء محطّة كهذه، وحتى اليوم لا يزال تكرير النفط يتم بطرق بدائية تؤثّر على السلامة البيئية، كما يؤثّر على الدورة الاقتصادية لمناطق شمال شرق سوري عموماً لغياب استثمارات النفط.

- ملف النفط والطاقة وباقي الثروات الزراعية والاقتصادية مرتبط بشكل رئيسي بالحلّ السياسي الشامل، وإشراك جميع السوريين في العملية السياسية، فالأزمة السورية بحاجة إلى حلول جذرية وبديهية لتقاسم هذه الثروات بين كل السوريين بشكل عادل ومتساوٍ، لكن الحكومة لا تزال متمسّكة بالمركزية، وتراهن على الحلّ العسكري لإعادة البلاد لما قبل 2011، فالمسألة الاقتصادية جزء من العملية السياسية؛ لأنّ السياسة والاقتصاد مرتبطان ببعضهما بعضاً.([6])

الخلاصة:

عدم الاعتراف الرسمي بالإدارة الذاتية إقليمياً ودولياً سيكون له تبعاته السلبية على الملف الاقتصادي، وخاصةً قطاع الطاقة بشقّيه النفط والغاز، وبالتالي فإنّ استمرارية العقوبات الدولية على هذا القطاع الحيوي سيزيد من استمرارية الأزمة، وضرب البنية التحتية لهذا القطاع من قبل المحتلّ التركي يزيد من تعقيد المشهد ومعاناة الشعب السوري عموماً، ودعوة الشركات التي تملك عقوداً في هذا المجال بالعودة إلى عملها مع إلزامها بتأمين قطع الغيار المناسبة للقطع المتضرّرة، بكلّ تأكيد كلّ ذلك مرتبط بالعقود متوسّطة وطويلة الأجل والتي تكون بطبيعة الحال متوازية مع الحلول السياسية لحلّ الأزمة أساساً، ممّا لا شك فيه ومن خلال بحثنا هذا وجدنا أنّ الكثير من المشاكل السياسية تكون في أساسها أو مضمونها مشاكل اقتصادية بحتة؛ وعليه وبما أنّ سوريا هي جزء من هذه المنطقة الجغرافية والتاريخية الهامة فإنّها أيضاً جزء من النزاعات القائمة حالياً، بكلّ تأكيد إنّ الطاقة في وقتنا الحالي وخاصةً الطاقة الأحفورية (النفط والغاز) تُعتبَر من أهم الوحدات الداخلة في العمليات الإنتاجية للصناعات وتسيير الأمور الاقتصادية، علاوة على أنّها العصب الرئيسي والمحرّك الأساسي في تدوير المدن الصناعية، وبما أنّ الاعتماد على الطاقات البديلة مازالت في طورها الأول فإنّ الطاقة الأحفورية (النفط والغاز) يبدو أنّها ستظلّ في الفترة القادمة هي نقطة الارتكاز في المشاريع الصناعية وخاصة الثقيلة منها. وعليه فإنّه من الأهمية بمكان وضع هذه الطاقة في خدمة المجتمع والشعب للاستفادة منها، ومشاركة الأرقام الحقيقية لكميات الإنتاج والصرف وكيفية صرف واردات البيع منها بكلّ شفافية مع الجميع، وذلك كجزء من تحقيق المشاركة المجتمعية في رسم المستقبل؛ وبالتالي تكون خطوة لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، وتهيئة الفرص لجذب الاستثمارات الخارجية وإمكانية تطوير المنطقة اقتصادياً وعلى جميع الأصعدة، وذلك من خلال إدخال الطرق الحديثة في المجال الزراعي الذي يُعتبَر العمود الفقري في اقتصاديات المنطقة لاعتمادها أساساً على هذا القطاع المهم، وأيضاً الدخول والاهتمام في المجال الصناعي وذلك بسبب اعتماد المنطقة أساساً على العقلية الزراعية والتمسّك بها، في كلّ الأحوال من المهم جدّاً أن تكون الطاقة عاملًا من عوامل الاستقرار لا العكس، كما هو حالياً في المنطقة بشكل خاص وحتى في العالم بشكل عام، فكما هو معلوم فإنّ أي استكشاف جديد للطاقة في أي مكان في العالم يكون عامل توليد صراع أو نزاع أو تنافس وتزاحم، بدلاً من أن يكون عامل ازدهار لسكان تلك المنطقة.

المراجع والمصادر:

[6] كمال شيخو - في حديث للشرق الأوسط مسؤول كردي يفتح الصندوق الأسود للبترول السوري - صحيفة الشرق الأوسط - عرض بتاريخ 15 آب 2023م. https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%

1- شادي سمير عويصة - استغلال الغاز الطبيعي في حوض شرق البحر المتوسط - رسالة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط - الطبعة الأولى بيروت 2019م - مركز الزيتونية للدراسات والاستشارات.
2- جلنك عمر - العلاقات الاقتصادية بين تنظيم داعش الإرهابي والدول الداعمة له - ورقة عمل مقدمة للمنتدى الدولي حول داعش الذي نظمه مركز روج افا للدراسات الاستراتيجية في شمال وشرق سوريا في الفترة 6-7-8 تموز من العام 2019م.
3- سكاي نيوز عربية - النفط السوري بين أردوغان وبوتين وترامب - تقرير عرض بتاريخ 11 أذار 2020م.
https://www.skynewsarabia.com/video/1327442
4- سكاي نيوز عربية - النفط السوري ساحة تراشقات واتهامات بين موسكو وواشنطن - تقرير عرض بتاريخ 3 تشرين ثاني 2019م.
https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1295075
5- سكاي نيوز عربية - النفط السوري موسكو وواشنطن صراع على الآبار - تقرير عرض بتاريخ 11 تشرين ثاني 2019م.
https://www.skynewsarabia.com/program/newsroom/1297307
6- وكالة رويترز الالكترونية - حقائق قطاع النفط في سوريا مقال على صفحة الوكالة - عرض بتاريخ 24 آب 2011م.
https://www.reuters.com/article/idUSALF467468/
7- بي بي سي عربي - سوريا: معركة السيطرة على موارد النفط - تقرير عرض بتاريخ 24 تشرين الأول 2017م
https://www.bbc.com/arabic/in-depth-41739816
8- كمال شيخو - في حديث للشرق الأوسط مسؤول كردي يفتح الصندوق الأسود للبترول السوري - صحيفة الشرق الأوسط - عرض بتاريخ 15 آب 2023م.
https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%
9- مارك أيوب - خرائط استكشاف حوض شرق المتوسط (طفرة أوهام الغاز) - 19 كانون الأول 2022م – موقع صفر الاقتصادي.
https://alsifr.org/gas-maps
10- الشركة السورية للنفط الموقع الالكتروني الرسمي
https://spc.sy/pages/articales.php

الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا

المقوّمات والتحدّيات

مقدّمة:

زاد اهتمام مجتمع المعرفة (*) في العقود الأخيرة بالإنسان كعامل مؤثّر في قضايا الأمن والتنمية، وتتّجه معظم الأبحاث إلى الاتّفاق على أنّ الفرد يعدّ صلة وصل، الأمن والأمان، بالمجتمع في إطار علاقة تكافلية وتكاملية؛ فالمجتمع لا يمكن أن ينعم بالأمان عندما لا يشعر أفراده به، والعكس صحيح، ويتعدّى تأثير هذه العلاقة إلى الأمن الوطني للبلاد بمختلف أبعاده. وبرزت أهمية موضوع الأمن الإنساني بشكل خاصّ مع تنامي التطرّف الأيديولوجي الذي يمجّد القتل، وقد وجد بيئة خصبة للتجنيد في التجمّعات التي لا تنعم بأمن إنساني جيّد؛ حيث وجّهت الجماعات المتطرّفة، في الآونة الأخيرة، موجات من الهجمات الدموية على مناطق متفرّقة من العالم أسفرت عن خسائر بشرية ومادّية ومعنوية كبيرة، وذلك عبر أشخاص يعتقدون أنّ أمنهم الإنساني لن يتحقّق إلّا من خلال هذه الأعمال الفظيعة. من ناحية أخرى شهدت العديد من القطاعات الاقتصادية والخدمية تدهوراً كبيراً في العديد من البلدان؛ بسبب هجرة الآلاف من مواطنيها باتّجاه بلدان أخرى، مفترضين أنّها أكثر أماناً من بلدانهم؛ وتكاد معظم الأبحاث تتّفق على أنّ الفرد الذي لا يشعر بأمنه الإنساني سيتحوّل إلى مصدر من مصادر انعدام الأمن في بيئته، كما يقول المثل الإفريقي: "الطفل الذي لم تحتضنه قريته، سيحرقها ليشعر بدفئها" وهذا ما يشكّل أبرز العوامل الذاتية لتدهور الأمن الإنساني، وتبدو سياسة التسبّب بأزمات اقتصادية وتوفير ظروف سياسية متوتّرة، أو التسبّب بها، بشكل يسمح بانتقال المتطرّفين إلى جغرافيات محدّدة بغية السيطرة عليها، من العوامل الموضوعية لانعدام هذا الأمن بحكم التجارب التي يعيشها الشرق الأوسط.

لا شكّ أنّ الأمن الإنساني يشكّل إحدى محرّضات الدوافع الفطرية لدى الإنسان، وتشير معظم الدراسات المتعلّقة بالمجتمع البدائي إلى لعب الدوافع المتعلّقة بالأمن الإنساني دورًا في تشكّل أولى التكتّلات البشرية (مجتمع الكلان) وتطوّرها إلى المجتمعات التي نعرفها اليوم، وباتت في معظم الأحيان عاملاً حاسماً في تحديد اتجاهات الفرد السياسية والمهنية والاجتماعية، كما وتحوّل إلى معيار لتقييم مدى نجاح السياسات المتّبعة لتحقيق الأمن الوطني في البلدان، لذا؛ فقد تناولت العديد من الأبحاث العالمية الأمن الإنساني وحوّلته إلى قضية مهمة في عصر يشهد صراعات وتغيّرات مناخية خطيرة،

* مجتمع المعرفة: هو مجموعة من الناس ذوي الاهتمامات المتقاربة، الذين يحاولون الاستفادة من تجميع معرفتهم سويا بشأن المجالات التي يهتمّون بها، وخلال هذه العملية يضيفون المزيد إلى هذه المعرفة، وهكذا فإنّ المعرفة هي الناتج العقلي والمجدي لعمليات الإدراك والتعلّم والتفكير. ويُستخدم هذا المصطلح كثيرًا لدى السياسيين وصانعي السياسات والعلماء المهتمّين بالدراسات المستقبلية... ويكيبيديا؛ مجتمع المعرفة.

واجتهدت بعضها للوصول إلى مستويات متقدّمة من هذا الأمن، في الوقت الذي يشهد فيه الأمن الإنساني انحداراً كبيراً في العديد من البلدان، وبشكل خاص في الشرق الأدنى.

ويُعدّ وضع الأمن الإنساني في شمال وشرق سوريا أفضل نسبياً من باقي المناطق السورية الأخرى، وأبدى الكثير من سكّان تلك المناطق رغبتهم في الإقامة في شمال وشرق سوريا استناداً إلى أحاديث بعض من المواطنين أثناء زياراتهم لهذه المناطق بغرض الدراسة أو الطبابة أو التجارة أو استكمال معاملات مدنية. لكن رغم ذلك لا يمكن اعتبار شمال وشرقي سوريا ينعم بأمن إنساني متكامل، حيث يواجه العديد من التحدّيات والتهديدات بسبب عوامل ذاتية وموضوعية، وسيحاول هذا البحث تحديدها من خلال تسليط الضوء على مفهوم الأمن الإنساني وخصائصه ومقوّماته وأبعاده، وإسقاطها على حالة الأمن الإنساني في شمال وشرق سوريا، استناداً إلى المنهج الوصفي وأداة الملاحظة، وذلك بغرض المساهمة في إحاطة المهتمّين بهذا الشأن بأهميته في ظلّ التطوّرات السياسية والأمنية والاقتصادية والتغيّرات المناخية التي تشهدها المنطقة؛ من أجل ذلك سيتم التطرّق إلى مفهوم الأمن الإنساني وتقديم إحاطة عامة بوضع الأمن الإنساني في كلّ من سوريا عامة وإقليم شمال وشرق سوريا خاصة، والديناميات المتّبعة في محاولة ترسيخها، ومناقشة أبرز مصادر التهديدات والتحدّيات الآنية والمستقبلية التي يواجهها، بالاستناد إلى متابعة الواقع الأمني والسياسي والاقتصادي والبيئي والصحّي والاجتماعي في الإقليم منذ حوالي سنتين من كتابة هذا البحث.

- **مفهوم الأمن الإنساني.**

يُعدّ الأمن الإنساني من أكثر المفاهيم أهمية في قضايا الأمن والسلام، ويتمحور حول استطاعة البشر في ممارسة خياراتهم بحرّية وأمان، بعد أن كان التركيز ينصبّ بالدرجة الأولى على الدولة لفترة طويلة، حتى أنّه أصبح ركناً أساسياً من أركان الأمن الوطني التقليدي. ورغم ارتباطه الوثيق بكينونة البشر ومدركاتهم منذ النشأة الأولى، إلّا أنّه يمكن إرجاع ظهور مصطلح الأمن الإنساني إلى فترة تأسيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر عام 1840م وإضفاء صبغة ليبرالية عليه، وبعد ذلك تجسّد المفهوم في المبادئ العامة للأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقيات جنيف ([1])، وازداد التركيز عليه في الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات البعد الأمني التي عملت على إدماج البعد الإنساني في الدراسات الأمنية لمختلف المجالات.

ليس للأمن الإنساني تعريف محدّد، ويتباين مفهومه في سياق التخطيط السياسي والأمني والتنموي، وهو ما يفسّر تنوّع تعريفاته؛ وفي تقرير التنمية البشرية الصادر عام 1994م قدّمت الأمم المتحدة تعريفاً له على أنّه "السلامة من التهديدات المزمنة مثل الجوع والمرض والقمع، وهو الحماية من الاضطرابات المفاجئة والمؤلمة في أنماط الحياة اليومية سواء في العمل أو المنزل أو المجتمع المحلي..." بينما عرّف تقرير التنمية الإنسانية العربية ([2]) أمن الإنسان بأنّه "تحرّر الإنسان من

[1] سماح عبد الله؛ مفهوم الأمن الإنساني؛ الناشر: المجلة الاجتماعية القومية؛ المجلد53/العدد3/أيلول 2016؛ الرابط:
https://jns.journals.ekb.eg/article_205011_3711573205cee9f51a41c4c8fec4500f.pdf

[2] تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009/ تحديات آمن الإنسان في البلدان العربية، الناشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2009؛ ص19-22؛ الرابط:
https://arab-hdr.org/wp-content/uploads/2021/02/ahdr-report_2009-ar-full.pdf

التهديدات الشديدة، والمنتشرة والممتدّة زمنياً وواسعة النطاق التي تتعرّض لها حياته وحريته" وقدّمت لجنة "أمن الإنسان" التابعة للأمم المتحدة والتي تشكّلت عام 2001م تعريفاً مشابه بأنّه "حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرائق تعزّز حريات الإنسان وتحقيق الإنسان لذاته".

لقد وضعت معظم تعريفات الأمن الإنساني من قبل المهتمّين بالقضايا الاجتماعية والحقوقية، ولكن لو سُئل أيّ فرد عن أمنه بلا شك ستكون هناك أجوبة متنوّعة، ومن البديهي أنّ مَن يبدأ أولاً بأخطر التهديدات والتحدّيات التي تواجهه في بيئته، وهذا ما قد يفسّر تعدّد تعريفات الأمن الإنساني بتعدّد البيئات وأولويات الأمن، فمثلاً الإنسان الذي يعيش في بيئة مزدهرة اقتصادياً سيكون منظوره للأمن الإنساني مختلفًا عن منظور إنسان يعيش في بيئة متخلّفة اقتصادياً، من ناحية أخرى تركّز معظم التحليلات الخاصة بالأمن الإنساني على مصادر الخطر الخارجية بدرجة أكبر من الخطر النابع من الإنسان الذي قد يعرّضه نفسه له؛ لذلك يبدو من الصعوبة بمكان وضع تعريف دقيق للأمن الإنساني، وهذا ما يفرض إشكالية حول مفهومه، ويجد المرء نفسه أمام مفهومين؛ أحدهما وضعته الأمم المتحدة ويجعل الإنسان رهينة لمشيئة مَن يدير شؤونه واستندت إليه معظم الأبحاث، والآخر يقدّمه الإنسان عن أمنه وهو ما قد يتعارض مع أمن أقرانه؛ وهذا ما يدفع باتّجاه تقديم تعريف يستند إلى تحديد دقيق نسبي لمقوّمات وخصائص الأمن الإنساني، ويتناول عوامل التهديد، الذاتية والموضوعية.

- **مقوّمات الأمن الإنساني:**

تكاد معظم الأبحاث التي تناولت الأمن الإنساني تتّفق على أنّ كلًّا من الأمن: الاقتصادي، والغذائي، والصحّي، والبيئي، والشخصي، والسياسي تعدّ الأبعاد الرئيسية لهذا الأمن، ويكتمل باكتمال توفّرها، إلّا أنّ هناك أبعادًا أخرى تبدو مهمة أيضاً مثل الأمن المجتمعي والأمن المعرفي، وعدم توفّر هذين الأمنين يجعل أمن الإنسان مُكبّلًا بمشيئة الآخرين، ويُعزّز تواكله على السلطة أو كيان ما لتأمين احتياجاته، وهذا ما يبدو أنّه يتعارض مع الغاية الفعلية من تحقيق أمن الإنسان؛ ويُقصَد بالأمن المجتمعي من منظور الأمن الإنساني شعور الفرد بانتمائه لمجتمع يوفّر له هوية ثقافية ومجموعة قيم تطمئنه وتقدّم المساندة العملية له، وتلقّي الاحترام والتقدير الاجتماعي، فالإنسان لا يمكن أن يشعر بأمان في مجتمع فاقد لأمنه. أمّا الزمن المعرفي فهو باختصار امتلاك الفرد لمعلومات تمكّنه من إدراك نفسه والواقع الذي يعيش فيه بشكل سليم، وتجعله قادرًا على التفكير المنطقي البنّاء واختيار القرارات المناسبة بشكل يتحوّل بموجبه إلى مصدر للأمن والأمان في بيئته، حيث تعدّ المعرفة قوّة و"الجهل أصل كلّ شرّ" كما يقول افلاطون.

وبحكم التجارب المعاشة في سياق الأزمة السورية التي تدنّى فيها الأمن الإنساني إلى مستويات خطيرة كالمجاعة وممارسات قطع الرؤوس والتهجير والتعذيب وغير ذلك، والتي تسبّبت ببلوغ مشاعر الخوف والقلق إلى مستويات غير مسبوقة، تبرز الحاجة إلى توسيع حقل التفكير لتحليل مفهوم الأمن الإنساني من خلال تحديد مقوّماته الرئيسية؛ فاستناداً إلى التجارب المستخلصة من الأزمة السورية والأبحاث التي تناولته يمكن تحديد ثلاثة مقوّمات للأمن الإنساني يُشترَط توفّرها، وهي: الحماية، والوعي، والتمكين؛ إلّا أنّ توفّر الوعي، الذي يعني الفهم وسلامة الإدراك، يعدّ الشرط الرئيسي للأمن الإنساني؛ فبغيابه لا تمكن إدارة الحماية والتمكين؛ وبدون توفّر هذه المقوّمات يبقى الأمن الإنساني

ناقصاً مهما قدّمت السلطات من دعم وتسهيلات لأبعاد الأمن الإنساني، ومهما بذل الفرد من جهود في سبيل ذلك، فمثلاً الأمن الاقتصادي لن يتحقّق للإنسان ما لم تتوفّر الحماية والوعي والتمكين في المجال الاقتصادي، ويسري الأمر على باقي الأبعاد، وهذا ما يفرض إعادة النظر في التعاريف المقدّمة لهذه الأبعاد وإعادة النظر في اختيارها وترتيبها، وهو ما سيمكّن من تحديد مفهوم هذه المقوّمات بشكل واضح.

- **أبعاد الأمن الإنساني وعوامل تهديدها:**

1. الأمن الاقتصادي:

من التعاريف الشائعة للأمن الاقتصادي للفرد هو: الحماية من الفقر؛ وقدّمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعريفًا أوسع ([3]) بأنّه "الحالة التي تمكّن الأفراد أو الأسر أو المجتمعات المحلّية من تلبية احتياجاتهم الأساسية وتغطية المصاريف الإلزامية بشكل مستدام يحترم كرامتهم. وتشمل الاحتياجات الأساسية الطعام والماء والمأوى واللباس وأدوات النظافة الشخصية بالإضافة إلى القدرة على تغطية مصاريف الرعاية الصحية والتعليم"، وجاء في قاموس الأمن الدولي ([4]) "الأمن الاقتصادي يعني الخلوّ من الفقر، وامتلاك الموارد الاقتصادية الكافية للمشاركة في المجتمع بكرامة، والتمتّع بالحماية من تقلّبات المستقبل ومن الأخطار، وله جوانب مثل الأمن الوظيفي وأمن الدخل والتأمين ضدّ البطالة...".

يتحقّق الأمن الاقتصادي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسّسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي الاقتصادي الذي يؤدّي إلى فهم الواقع الاقتصادي وتنظيم سلوكه الاقتصادي بصورة صحيحة، كترشيد الاستهلاك والإنفاق والادّخار وإتقان مهارات العمل والاستثمار.

- الحماية من كلّ من: الاحتكار، والاستغلال، والمعاملة المهينة، وأخطار العمل.

- التمكين، من خلال تأمين فرص عمل مناسبة، ونظام للحوافز المادية والمعنوية توفّر دخلاً كافياً للاستجابة للاحتياجات المعيشية، وتمكين الوصول إلى الموارد، وتوفير الحماية للدفاع عن الحقوق، وتنمية الوعي الاقتصادي؛ والمساعدة على تأمين مأوى للسكن والذي يعدّ انعدامه من أشد آثار انعدام الأمن الاقتصادي وأحد مظاهره.

أمّا بالنسبة للعوامل الذاتية التي تهدّد الأمن الاقتصادي للفرد فيبرز انعدام الرغبة في تنمية الوعي الاقتصادي والنزوع إلى التواكل بشكل مبالغ على الآخرين، والتمسّك بعقلية الأجير بدلاً من عقلية المستثمر للإمكانيات الذاتية أو المادية أو الفرص المتوفّرة.

---

[3] اللجنة الدولية للصليب الأحمر؛ الأمن الاقتصادي؛ الرابط:
https://www.icrc.org/ar/what-we-do/ensuring-economic-security

[4] بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ أبو ظبي؛ الطبعة الأولى 2009؛ ص97.

وبالنسبة للعوامل الموضوعية تبرز: النزاعات، وخطاب الكراهية الدينية والمذهبية والعنصرية والحزبية، واستبداد وفساد السلطات، والتغيّرات المناخية والكوارث الطبيعية والأمراض، كعوامل يعجز الفرد عن جعلها غير مهدّدة لأمنه الاقتصادي في معظم الأحيان.

2. الأمن الغذائي:

للأمن الغذائي علاقة وثيقة مع الأمن الاقتصادي، ويُعرّف الأمن الغذائي بشكل عام على أنّه ([5])"حالة يعيش فيها الناس من دون جوع أو سوء تغذية، أو خوف منهما..."، ومن التعاريف الأخرى للأمن الغذائي ([6]) " أن تكون لدى جميع الناس في جميع الأوقات إمكانية توافر النواحي المادية والاقتصادية للحصول على الغذاء الأساسي...".

ويتحقّق الأمن الغذائي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي الغذائي: وهي امتلاك المعلومات الكافية عن أنماط وأنواع الغذاء الصحّي والمُغذّي، وتوفير معارف ومهارات وافية للاعتناء وإنتاج وشراء وتجهيز وإعداد وتناول الأغذية لإشباع الاحتياجات التغذوية من الموارد المتاحة، والإلمام بالمشكلات المرتبطة بالغذاء([7]).

- الحماية من كلّ من: الغذاء غير الصحّي، والاحتكار، وصعوبة تأمينه. ولتحقيق هذا الأمر حدّدت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أربعة شروط وهي: توافر كميات كافية في جميع الأوقات وإمكانية الحصول عليه؛ وأن يحظى الغذاء المتاح للناس بالقبول لديهم من الناحية الثقافية؛ وأن يكون صحّياً ومأموناً؛ وضمان إنتاج الغذاء بطريقة مستدامة.

- والتمكين من خلال امتلاك القدرة على تأمينه؛ سواء بعمليات الشراء أو الإنتاج أو التخزين، واختيار الغذاء الملائم لطبيعة الشخص؛ ويستند نجاح هذا الأمر بشكل رئيسي على تحقيق الأمن الاقتصادي.

أمّا بالنسبة للعوامل الذاتية التي تهدّد الأمن الغذائي للفرد؛ فيبرز انعدام الرغبة في تنمية الوعي الغذائي، وعدم وضع سياسة بعيدة المدى لتأمين الغذاء من خلال عمليات الحفظ والتخزين، وكذلك إهمال اتّخاذ تدابير احتياطية على المستوى الفردي للاستجابة في الحالات الطارئة التي يصعب فيها تأمين الغذاء.

---

[5] المرجع السابق؛ ص119.

[6] هند فؤاد؛ الأمن الإنساني؛ المفهوم والعلاقات والأبعاد؛ الناشر: المجلة الجنائية القومية، المجلد63، العدد2، يوليو 2020؛ الرابط:

https://ncj.journals.ekb.eg/article_316783_2d08880faca24e6b56398ae96f8f4abe.pdf

[7] منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)/ المؤتمر الإقليمي الخامس والعشرون للشرق الأدنى؛ الأمن الغذائي والتوعية بالتغذية على نطاق الأسرة؛ الناشر: منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)/ بيروت- 2000.03.24م؛ الرابط:

https://www.fao.org/3/X4212a/X4212a.htm

أمّا العوامل الموضوعية فتبرز التغيّرات المناخية وما يرافقها من جفاف ونقص في المياه وحرائق وارتفاع درجات الحرارة التي تؤثّر على عملية إنتاج الأغذية وحفظها، بالإضافة إلى إنعدام أمن الطاقة والنزاعات، وعدم وجود حكومة وطنية قادرة على تأمين كلّ من: الحماية، والوعي الغذائي، والتمكين؛ وكلّها أمور تؤدّي بشكل من الأشكال إلى المجاعة.

3. الأمن الصحّي:

وهو ضمان الحدّ الأدنى من الحماية ضدّ الأمراض والضغوط النفسية والإصابات المختلفة، ومن تعريفات الأمن الصحّي ([8]) "هو السعي إلى تحرير الإنسان من كلّ التهديدات التي يمكن أن تؤثّر سلباً في سلامته الجسدية والعقلية والاجتماعية، وليس مجرّد تقديم الرعاية الصحّية التي تحميه من المرض والعجز فحسب.."؛ أي أنّ الصحّة ليست مجرّد الخلوّ من الأمراض، بل هي حالة اكتمال السلامة: الجسدية، والعقلية، والاجتماعية.

ويتحقّق الأمن الصحّي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسّسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي الصحّي: وهو امتلاك المعلومات الصحّية الوافية التي تمكّن من الاستجابة للتحدّيات والتهديدات الصحّية من ناحية كيفية التعامل مع كلّ من الملوّثات والضغوط النفسية والأمراض المختلفة ومعرفة طريقة تفادي الإصابة بها، واتّباع السلوكيات الصحيحة التي تدعم صحّة الفرد من ناحية النشاط البدني والنفسي والفكري والتغذوي ونظافة البيئة المحيطة.

- الحماية من كلّ من الأمراض واحتكار الأدوية والاحتيال، وهذا يتطلّب نظام رعاية صحّية فعّالًا، وكفاءات طبية وكفاية المراكز الطبية والصحّية وتوفّر للأمن الغذائي.

- التمكين من خلال تأمين قدرة الفرد على الوصول إلى الخدمات الصحية والعيش في بيئة صحّية، ولهذا الأمر علاقة وثيقة بالأمن الاقتصادي؛ فليست كلّ الخدمات الصحّية مجّانية، لذلك يعدّ الفقراء أكثر مَن يعانون من تداعيات عدم الحصول على هذه الخدمات ومواجهة سوء التغذية؛ ومن ناحية أخرى لتدهور الأمن الصحّي تأثير كبير على الأمن الاقتصادي؛ فوفقًا لمنظّمة الصحّة العالمية فإنّ المشكلات الصحّية تقود كلّ عام بـ 100 مليون شخص عبر العالم إلى الوقوع في براثن الفقر([9]) لما للأمراض من تأثير سلبي كبير في قدرة المصابين على مزاولة أعمالهم بالشكل المطلوب.

يعدّ إهمال تنمية الوعي الصحّي من أبرز العوامل الذاتية التي تهدّد الأمن الصحّي، لما لها من دور في تعريض صحّة الفرد ومَن يحيط به لخطر يمكن تفاديه بالاستجابة السريعة الواعية لها من خلال الوقاية أو العلاج في التوقيت المناسب، أمّا العوامل الموضوعية فتكمن في الأوبئة والتلوّث الواسع النطاق نسبياً والإهمال الحكومي للقطاع الصحّي، والتغيّرات المناخية التي تتسبّب بالفيضانات أو

[8] .3م؛ ص2021 خالد كاظم أبو دوح؛ الأمن الصحي؛ الناشر: مركز البحوث الأمنية/ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

[9] د. خديجة عرفة؛ الأمن الإنساني في ظل التغيرات المناخية.. تحديات متزايدة؛ الناشر: السياسة الدولية؛ تاريخ النشر: 2022.11.10؛ الرابط:

https://www.siyassa.org.eg/News/18422.aspx

الجفاف أو الإجهاد الحراري؛ حيث تتوقّع منظمة الصحّة العالمية ([10]) خلال الفترة من 2030م وحتى عام 2050م أن يتوفى 250 ألف شخص نتيجة للإجهاد الحراري، وسوء التغذية، والملاريا، والإسهال؛ كما أنّ تغير المناخ يتسبّب بانتشار الفيروسات والأمراض المعدية([11])، الفيروسية والطفيلية والجرثومية المنقولة عن طريق الحشرات أو الحيوانات أو الهواء أو المياه أو غير ذلك.

4. الأمن البيئي:

يعني الأمن البيئي ([12])"حماية الناس من الأذى الذي يسبّبه تدهور البيئة الطبيعية"، كما تمّ تعريفه ([13]) على أنّه:" المحافظة على النظام البيئي العام، ومنع ايّ أخطار تهدّد عناصر البيئة (المياه والهواء، والتربة)، أو صحّة الإنسان أو الحيوان أو النبات أو المحيط الطبيعي للبيئة على المستوى الإقليمي"؛ ويعدّ الأمن البيئي مسألة في غاية الأهمية للأمن الإنساني؛ لما له من دور في تحقيق الاستقرار ودعم كلّ من الأمن: الاقتصادي، والغذائي، والصحّي.

ويتحقّق الأمن البيئي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسّسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي البيئي: ويُعرف بأنّه ([14])"الشعور بالمسؤولية تجاه البيئة، والطبيعة، والقيام بجميع الممارسات التي تساعد على حمايتها والحفاظ عليها، وتوعية الآخرين حول نوعية الأخطار التي تسبّبها الممارسات البشرية الخاطئة، ومدى خطورتها..." ومن أجل تحقيق ذلك يتوجّب تنمية المعارف البيئية وكيفية المحافظة على البيئة ومكوّناتها ومنع تلوّثها وترشيد استخدام مواردها.

- الحماية من ويلات الطبيعة والتهديدات الناتجة عن الأضرار التي يتسبّب بها الإنسان تجاه الطبيعة في الهواء والمياه والتربة، وكذلك الحماية من الأخطار التي تتسبّب بها عناصر النظام البيئي الحية والجامدة؛ والحماية من أشكال التلوّث البيئي المختلفة: تلوّث الهواء، والتلوّث الضوئي، وإلقاء القمامة، والتلوّث السمعي، وتلوّث البلاستيك، وتلوّث التربة، والتلوّث الإشعاعي، والتلوّث الحراري، والتلوّث البصري، وتلوّث المياه.

---

[10] د. خديجة عرفة؛ الأمن الإنساني في ظل التغيرات المناخية.. تحديات متزايدة؛ الناشر: السياسة الدولية؛ تاريخ النشر: 2022.11.10؛ الرابط:

https://www.siyassa.org.eg/News/18422.aspx

[11] عماد حسن؛ دراسة: تغيّر المناخ يزيد من انتشار مسببات الأمراض المعدية؛ الناشر: DW؛ تاريخ النشر: 2022.08.16؛ الرابط:

https://www.dw.com/ar/دراسة-تغيّر-المناخ-يزيد-من-انتشار-مسببات-أمراض-تصيب-البشر/a-62810293

[12] بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ أبو ظبي؛ الطبعة الأولى 2009؛ ص105.

[13] د. ياحي مريم& د. العمرية بوقرة؛ الأمن البيئي في إطار تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي؛ الناشر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية/ ألمانيا- برلين/ 2021؛ ص92؛ الرابط:

https://democraticac.de/?tag=الأمن-الإنســـاني-في-ظل-التحديات-الع

[14] سناء الدويكات؛ مفهوم الوعي البيئي؛ الناشر: موضوع؛ الرابط:

https://mawdoo3.com/مفهوم_الوعي_البيئي

- التمكين: من خلال توفير ما يلزم ليكون المرء قادراً على تحقيق أمنه البيئي، عبر توفّر وسائط نقل القمامة ومعالجتها وحقّ الاعتراض على مصادر التلوّث في محيطه، وإمكانية الوصول إلى أدوات ووسائل النظافة المختلفة وتأمينها، والاستجابة للشكاوى المتعلّقة بالأمن البيئي.

يعدّ إهمال تنمية الوعي البيئي أو التقاعس عن حماية البيئة انطلاقاً من الذات والنظافة الشخصية وبحدود الإمكانيات المتاحة من أبرز العوامل الذاتية التي تهدّد الأمن البيئي؛ كما أنّ غياب الثقافة البيئية لدى المجتمع وإهمال المؤسّسات لحماية وتنمية البيئة، والتغيّرات المناخية والتلوّث الصناعي، تعدّ من العوامل الموضوعية الخطرة التي تهدّد الأمن البيئي للفرد.

5. الأمن الشخصي:

ويعرّف بشكل عام على أنّه حماية الإنسان من كلّ من: العنف الجسدي والأذى والحوادث، ومن جرائم السلب والسرقة والخطف والابتزاز والاحتيال، ومن الاضطهاد والتنمّر والمعاملة المُهينة سواءً أكانت صادرة من الدولة أو الأفراد. وتعدّ المرأة أكثر من تتعرّض لأشكال من العنف الأسري والممأسَس والعنف المباشر وغير المباشر، وتشير بعض التقارير ([15]) إلى أنّه في الميدان يعوّض الرجال عمّا يشعرون به من انعدام الأمن وفقدان السيطرة بالإمعان في عدوانهم على النساء؛ وهناك أيضاً عمليات الاتجار بالبشر والعمل القسري للذكور في ظلّ ظروف غير إنسانية، واستغلال النساء جنسياً وجسدياً والعمل في الملاهي الليلية، والاستخدام القسري للأطفال كمتسوّلين أو باعة جوّالين أو بشكل يؤدّي بهم إلى الاستغلال الجنسي.

ويتحقّق الأمن الشخصي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسّسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي بالأمن الشخصي: عبر تطوير المهارات الفردية والتدابير المناسبة لحماية الأمن الشخصي ومواجهة الأخطار، وتنمية الإدراك بالأخطار المحدقة في البيئة المحيطة من خلال امتلاك المعلومات عنها وتحليلها، وحلّ النزاعات الشخصية بطريقة سلمية. ويعتبر إهمال هذا الوعي من العوامل الذاتية التي تهدّد الأمن الشخصي.

- الحماية من كلّ مصدر خطر على سلامة الفرد.

- التمكين من خلال توفير ما يلزم لتحقيق الأمن الشخصي، وإزالة العوائق التي تمنع تحقيقه ما لم تتعارض مع الأمن العام، وإمكانية الحصول على الحماية والوصول إلى المصادر التي تعزّز الوعي بالأمن الشخصي.

ويعدّ الفساد في المؤسّسات واستبداد نظام الحكم والأيديولوجيات السلطوية المتطرّفة والنزاعات، والتغيّرات المناخية والكوارث الطبيعية، من أبرز العوامل الموضوعية التي تضعف الحماية والتمكين لتحقيق الأمن الشخصي.

[15] تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009/ تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، الناشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2009؛ الرابط:
https://arab-hdr.org/wp-content/uploads/2021/02/ahdr-report_2009-ar-full.pdf

6. الأمن السياسي:

من تعريفاته الشائعة الحماية من الاضطهاد والقمع السياسي، والقدرة على ممارسة الحقوق التي نصّ عليها "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية" ([16]) وميثاق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ([17]) والحماية من السياسات التعسّفية فيما يخصّ التفتيش والتنصّت والاعتقال والتعذيب والإعدام؛ وتشير معظم التجارب إلى أنّه لا يمكن أن يتحقّق الأمن السياسي للفرد إلّا في ظلّ أنظمة حكم ديمقراطية أو أنظمة تلتزم بعقد اجتماعي توافقي للشعوب التي تحكمها.

ويتحقّق الأمن السياسي بتوفّر مقوّمات يتعيّن على كلّ من الفرد نفسه والمؤسّسات الحكومية والمدنية تأمينها، وهي:

- الوعي السياسي المتمثّل بادراك الفرد لحقوقه السياسية وحقوق الآخرين في إطار الدستور أو العقد الاجتماعي للإقليم أو الدولة الديمقراطية التي يعيش فيها.
- الحماية من السياسات التعسّفية والأيديولوجيات السلطوية والمتطرّفة.
- التمكين من خلال توفّر الوسائل التي تمكّن الفرد من ممارسة حقوقه السياسية وحمايتها والدفاع عنها؛ كالانتخاب والاعلام والمنشورات والنقد والاحتجاج والتقاضي والتنظيم السياسي وغير ذلك.

وهناك مجموعة من العوامل التي تهدّد الأمن السياسي للفرد، وطالما تعرّض الإنسان إلى تحدّيات في سعيه للتعبير عن آرائه ومعتقداته وثقافته وتنميط حياته بها، وذلك بسبب التناقض الذي يبرز أحياناً بين سلوكيات البشر ومعتقداتهم وأهدافهم، رغم أنّ التناقض يعدّ نوعاً من أنواع قوانين الطبيعة استناداً إلى الديالكتيك.

أمّا بالنسبة للعوامل الذاتية فتتمثّل بعدم تنمية الوعي السياسي والتحرّر من التطرّف العقائدي الذي يفرض وصايته على الآخرين، ويمكن للإنسان أن يتحرّر منها بالتسامح وانتهاج الديمقراطية. أمّا العوامل الموضوعية التي تهدّد الأمن السياسي للفرد فتتمثّل بأنظمة الحكم الاستبدادية والمتطرّفة والمحتلّة.

- **خصائص الأمن الإنساني:**

يختلف الأمن الإنساني عن كلّ من الأمن القومي والأمن الوطني والأمن الدولي بمجموعة من الخصائص؛ أبرزها:

1. يشكّل الأمن الإنساني ركيزة أساسية لكلّ من الأمن القومي والأمن الوطني والأمن الدولي ومكملاً لها وعنصرًا أساسيًّا لوجودها؛ فمثلاً قد تكون الدولة آمنة، إلّا أنّ الأمن الإنساني للأفراد بداخلها

[16] الأمم المتحدة؛ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights

[17] الأمم المتحدة؛ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ الرابط:
https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights

يواجه تحدّيات خطيرة. حتى أنّه في العديد من المناطق كالشرق الأوسط لم تعد العلاقة بين الدولة وأمن الإنسان علاقة سليمة، كون الدولة تحوّلت إلى مصدر تهديد لأمن الانسان.

2. الإنسان هو محور الاهتمام الأساسي بصفة عامة.

3. ذو طابع وقائي ويعمل بشكل مسبق لمواجهة التهديدات التي تحيط بالأفراد؛ فكلّ وسيلة أو أداة تحقّق الأمن الإنساني ذات طبيعة وقائية بالدرجة الأولى، لذلك تعتبر الوقاية أفضل من العلاج.

4. أحد المصادر الرئيسية للتحرّر من الخوف والتسامح السياسي والتكافل الاجتماعي.

5. يشمل المجتمعات الغنية والفقيرة، والمتقدّمة والمتخلّفة.

6. التأثيرات على الأمن الإنساني ليست أحادية الاتجاه؛ فالتأثير في أحد أبعاد الأمن الإنساني يقود لتداعيات سلبية على الأبعاد الأخرى.

7. الأمن الإنساني ليس مرادفاً لحقوق الإنسان، كون حقوق الإنسان تشكّل أحد عوامل تحقيق الأمن الإنساني، والأمن الإنساني شرط لإرساء حقوق الإنسان.

8. فقدان الأمن الإنساني يمكن أن يكون من صنع الانسان نتيجة لاختيارات خاطئة، أو يمكن أن ينبع من قوى الطبيعة، أو قد يكون مزيجاً من الاثنين معاً.

استناداً إلى ما سبق يمكن تقديم تعريف عام للأمن الإنساني بأنّه: مجموعة من الإجراءات والتدابير التي يتّخذها ويديرها الراشدون من كلا الجنسين بشكل يضمن تحرّر الإنسان من الخوف والحاجة والأذى والجهل، والعيش في بيئة آمنة؛ وذلك من خلال تمتّع الإنسان بالوعي والحماية والتمكين، بشكل يشعره بالطمأنينة، وفي نفس الوقت يتحوّل إلى مصدرٍ للأمن في بيئته ومجتمعه وبلاده.

مهما يكن فلن يتمكّن أيّ إنسان من تحقيق أمنه الإنساني بشكل متكامل؛ لأنّه يبقى جزءًا من بيئته وقوانين الطبيعة التي لا يستطيع التحرّر منها، وعلى الرغم من ذلك يتوجّب على الإنسان أن يكون قادراً على تحقيق وإدارة المقوّمات التي يرتكز عليها أمنه الإنساني، وهي بالدرجة الأولى تنمية الوعي الذي يتعلّق بإرادة الفرد الراشد القادر على تحمّل مسؤولية ذاته ومسؤولية من يعيلهم، ومن ثم إدارة الاستجابة مع الحماية والتمكين اللذَين يجب أن يوفّرهما، إضافة إلى الفرد الراشد، كلّ من إدارة: المجتمع، أو الإقليم، أو الدولة؛ الحماية من خلال الوقاية وحلّ المشكلات والتمكين؛ من خلال تعزيز قدرة الناس على التصرّف نيابة عن أنفسهم ونيابة عن الآخرين.

- **وَضْع الأمن الإنساني في سوريا**

لم تكن سوريا قبل أزمتها في وضع يمكن تقييم الأمن الإنساني فيها بأنّه كان جيّداً؛ وسبب ذلك ليس لأنّها فقيرة بالموارد وإنّما بسبب العقلية التي أدارت وحكمت الدولة السورية منذ نشوئها بعد تحرّر المنطقة من الاحتلال العثماني؛ وقد انتقد تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009 ([18]) معظم الدول

[18] للمزيد انظر: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009/ تحديات آمن الإنسان في البلدان العربية، الناشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2009؛ الرابط:
https://arab-hdr.org/wp-content/uploads/2021/02/ahdr-report_2009-ar-full.pdf

العربية بخصوص حالة الأمن الإنساني فيها، حيث اعتبرت الدول العربية - بما فيها سوريا -كيانات مصطنعة، فشلت في تطوير الحكم الرشيد وتحقيق العدالة في توزيع الثروة بين مختلف الجماعات واحترام التنوّع الثقافي، وحمّل التقرير التيّار القومي العربي مسؤولية قمع التنوّع في البلدان، وصهر الهويات الأخرى المختلفة تحت سلطتها، وبحسب التقرير: فقد تسبّبت هذه السياسة بدفع أصحاب هذه الهويات إلى تحرير أنفسهم من نطاق الدولة القومية التي تستظلّها، واستجابت له أنظمة الحكم بفرض المزيد من: القيود، والسيطرة، والإقصاء، والحرمان، والتمييز؛ ومنح صلاحيات واسعة للأجهزة الأمنية التي تحوّلت إلى أسلوب ذرائعي لتوجيه السياسات الحكومية، الأمر الذي أدّى إلى إخفاق معظم المشاريع الخاصة بالأمن الإنساني؛ والسبب كما يرى الباحثون هو تأطير الدساتير بأيديولوجيات أو مفاهيم فقهية بشكل يسمح بانتهاك الحقوق باسم الأيديولوجيا أو المذهب، وتجلّى هذا الأمر بشكل واضح في الدستور السوري، الذي أخضع البلاد لأيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي وفرضها كأيديولوجية الدولة والمجتمع ([19]).

شهدت الظروف التي أعقبت اندلاع الأزمة السورية عام 2011م تفاقمًا في تدهور الوضع الإنساني في عموم مناطق الجغرافيا السورية، وتنامت أزمات التلوّث والتطرّف والتغيير الديمغرافي وتجارة المواد المخدرة وتفشّي الأمراض والهجرة، وفُقدت الحريات وشاع الفقر والبطالة والصراعات المحلّية، بشكل جعل الأمن الإنساني في سوريا شبه معدوم، أي أنّه بحكم الواقع المُعاش في الأزمة السورية فقد أصبح انعدام الأمن الإنساني قضية يعيشها معظم السوريين في مختلف المناطق، وأكّد تقريرٌ للأمم المتحدة ([20]) على أنّه "عانى ما لا يقل عن 12.9 مليون شخص في سوريا من انعدام الأمن الغذائي، ولا يزال الصراع من أكثر الصراعات فتكاً بالمدنيين حول العالم، حيث أودى بحياة 454 مدنيّ العام الماضي، من بينهم 88 امرأة و115 طفلاً. كما أنّ هناك أكثر من 7 ملايين نازح داخلياً..."؛ وأكّد تقرير منظمة الصحة العالمية WHO ([21]) على أنّ "النظام الصحّي في سوريا معطّل كون 65% من المستشفيات السورية و62% من مراكز الرعاية الصحية الأولية إما مغلقة أو تعمل جزئياً فقط..."؛ وتشير دراسة علمية ([22]) إلى أنّ سوريا تعاني من جفاف شديد تسبّب بتدهور القطاع الزراعي وتربية الحيوان، وصعوبة في تأمين مياه الشرب، وازدياد احتمال انتشار الفيروسات والأمراض وخاصة الكوليرا والتهاب الكبد والأمراض الالتهابية الأخرى.

وتشكّل الاضطرابات النفسية الناتجة عن تردّي الواقع المعيشي والخدمي وفقدان الشعور بالأمن والأمان إحدى تداعيات الأزمة السورية وأبرز مؤشّرات انعدام الأمن الإنساني، خاصة أنّه يعاني منها معظم السوريين، وبشكل خاص الذين تعرّضوا لأعمال عنف أو شاهدوها، أو مَن أُجبروا على النزوح

---

[19] نفس المرجع السابق؛ ص58.

[20] الأمم المتحدة؛ مسؤول أممي يصف الوضع الإنساني في سوريا بـ "السفينة الغارقة" مع تحول أنظار العالم إلى أزمات أخرى؛ الناشر: أخبار الأمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2024.03.22م؛ الرابط:
https://news.un.org/ar/story/2024/03/1129471

[21] World Health Organization (WHO); WHO marks 13 years of the Syrian crisis with renewed commitment and support; 14 March 2024; Link: https://www.emro.who.int/syria/news/who-marks-13-years-of-the-syrian-crisis-with-renewed-commitment-and-support.html

[22] OCHA; Syria: Drought - 2021-2024; Link:
https://reliefweb.int/disaster/dr-2021-000125-syr

عن ديارهم؛ ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية؛ يعاني شخص واحد من بين 10 أشخاص في سوريا من حالة صحية نفسية تتراوح بين الخفيفة والمعتدلة، بينما يعاني سوري واحد من بين 30 سورياً من حالة صحية نفسية وخيمة يمكن أن يكون لها أثرًا مدمّرًا في الحياة اليومية ([23]) وبحسب إحصائية للمنظمة؛ لا يتلقى 75% من الأشخاص الذين يعانون من حالات الصحة العقلية أي علاج على الإطلاق([24])؛ وتسبّبت الضغوط النفسية باضطراب في السلوك التوكيدي ([*]) للفرد واضطراب ما بعد الصدمة؛ وأكثر مَن يعاني من ذلك هم: النساء والفتيات والفتيان النازحين، وما يفاقم هذه الأزمة هو افتقار البلاد إلى الأطبّاء المختصّين في مجال الطبّ النفسي والعصبي.

وتبدو معظم الحكومات المحلّية عاجزة عن تأمين أبعاد الأمن الإنساني بالشكل المطلوب، بسبب الصراع على السلطة، حيث لا تزال العقوبات الدولية ممسكة بخناق النظام السوري وتشهد مناطق سيطرته حرب اغتيالات وتصفية حسابات؛ وفي المناطق المحتلّة من قبل القوات التركية ومرتزقتها في شمال وشمال غربي سوريا هناك غياب للاستقرار والأمن بسب عمليات التغيير الديمغرافي والانتهاكات شبه اليومية التي ترتكبها المجموعات المسلّحة المرتزقة؛ فهناك فوضى انتشار السلاح وغياب سلطة القانون ([*]) والاقتتال المستمرّ على النفوذ، حيث وصل الصراع بين مرتزقة ما يسمّى الجيش الوطني وتنظيم هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) إلى ذروته في النصف الثاني من عام 2023م.

أمّا مناطق شمال وشرق سوريا فتعاني من هجمات خلايا تنظيم داعش وما يشكّله مخيمَا "الهول وروج" من مصادر تهديد للمنطقة، بالإضافة إلى استمرار اعتداءات الدولة التركية والتي تسبّبت في بداية عام 2024 بتدمير واسع النطاق للبنية التحتية والمنشآت الخدمية، والتي تسبّبت بحرمان أكثر من مليونَي شخص من الماء والكهرباء، وذلك في انتهاك للقانون الإنساني الدولي بحسب تقرير للأمم

---

[23] World Health Organization (WHO); Mental health; Link: https://www.emro.who.int/syria/priority-areas/mental-health.html

[24] World Health Organization (WHO); WHO-supported mobile teams deliver mental health care in Syria; 14 October 2020; Link: https://www.emro.who.int/syria/news/who-supported-mobile-teams-deliver-mental-health-care-in-syria.html

[*] السلوك التوكيدي هو "قدرة الفرد على التعبير الملائم عن أي انفعال نحو الأشخاص بأي عاطفة ماعدا القلق، وأن انخفاض السلوك التوكيدي عند الفرد يعرضه للعديد من المشكلات التي تعوق توافقه النفسي والاجتماعي. وينعكس سلباً في عدة صور بدنية وسلوكية، فالفرد الذي يعجز عن التعبير عن مشاعره السلبية في المواقف التي تستوجب ذلك يشعر بعدم الرضا، ويزيد احساسه بالوحدة، والاكتئاب، والقلق، والقلق الاجتماعي، والصراع، والاضطرابات النفسية..."
انظر: أ.د. غسان حسين سالم وأحلام حسين ورة؛ اعداد مقياس لقياس السلوك التوكيدي لدى طلبة جامعة بغداد؛ الناشر: 2 (29جامعة بغداد- مجلة كلية التربية للبنات/ المجلد 2018).

[*] من الأمثلة الحديثة عن ذلك حادثة خطف متهمين بتفجير سيارة في سوق مدينة اعزاز بتاريخ 31 آذار 2024م من قبل مرتزقة "الجبهة الشامية" من سجن إعزاز ومن ثم اعدامهم بدون إجراء محاكمة قضائية بتاريخ 25 نيسان 2024م وبعد ذلك قاموا بحرق الجثتين والتمثيل بهما ورميهما في سوق المدينة، وسط عجز ما تسمى بالحكومة المؤقتة التابعة للدولة التركية عن فعل شيء...
محمد القاضي؛ أعزاز.. إعدام ميداني وحرق للجثث في المناطق الخاضعة لسيطرة تركي؛ الناشر: نورث برس؛ تاريخ النشر:2024.04.25م؛ الرابط:
https://npasyria.com/184878/

المتحدة ([25])، والذي أشار إلى أنّ 16.7 مليون شخص داخل سوريا بحاجة إلى المساعدات الإنسانية؛ حيث يواجهون مصاعب غير مسبوقة.

بغضّ النظر عن اختلاف الأوضاع بين المناطق السورية، إلّا أنّ البلاد تعاني من أزمات كثيرة، ولا يمكن لأيّة منطقة أن تنأى بنفسها عن هذه الأزمات. وفي إقليم شمال وشرق سوريا هناك مرونة أكبر في الاستجابة للأزمات وإدارتها على المستويَين الفردي والمؤسساتي، إلّا أنّ الأمن الإنساني معرّض للتقويض في أية لحظة؛ بسبب السياسة العدوانية التي تنتهجها الأنظمة والتنظيمات المناهضة للعقد الاجتماعي للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا تجاه المنطقة، بالإضافة إلى تداعيات التغيّر المناخي وتجارة المخدّرات، حيث أكّدت مجلة "فورين أفيرز" الأمريكية في تقرير لها ([26]) أنّ منطقة الشرق الأوسط "غارقة في مخدّر الكبتاغون" متّهمة النظام السوري بالمسؤولية المباشرة عن هذا الأمر.

- **الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا**

تعدّ مناطق شمال وشرق سوريا بشكل عام الأقلّ توتّراً مقارنة مع باقي المناطق السورية، وتمكّنت الإدارة الذاتية بالتعاون مع المجتمعات المحلّية من حماية المنطقة بشكل نسبي من الدمار وتقديم الخدمات لـ 5,771,000 مواطن([27]) وترسيخ السلم الأهلي والاستقرار السياسي بشكل نسبي في معظم مقاطعات شمال وشرق سوريا، وتكاد معظم الدراسات تتّفق على أنّ الفضل في تحقيق نسبة من أبعاد الأمن الإنساني، والتي لا تزال دون المستوى المطلوب، يعود إلى كلّ من مواردها والعقد الاجتماعي للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا وشراكة قوّاتها مع التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب؛ وعلى الرغم من ذلك فإنّ هناك ضعف يعتري مقوّمات الأمن الإنساني المتمثّلة بالوعي والحماية والتمكين.

بشكل عام هناك ضعف نسبي في الوعي بالأمن الإنساني، ولدى التواصل مع الكثيرين في شمال وشرق سوريا منذ سنوات تبيّن أنّ هناك خلطاً غير مقصود من قبلهم -في معظم الأحيان- بين كلّ من طموحاتهم الشخصية وموقفهم السياسي مع أمنهم الإنساني، والكثيرون ممّن يمتلكون القدرة على مواجهة تحدّيات الأمن الإنساني ويفكّرون بالهجرة بمزاعم البحث عن أمنهم الإنساني لوحظ أنّهم مُحرّضون بفعل اتجاههم السياسي أو قلقون بفعل الدعاية الموّجهة ضدّ المؤسسات السياسية والعسكرية لشمال وشرق سوريا من قبل كلّ من النظام التركي والسوري والإيراني وداعش وجماعة الإخوان

[25] مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة؛ لجنة الأمم المتحدة للتحقيق: " في سوريا كذلك، وقف إطلاق النار مطلب عاجل"؛ الناشر: الأمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2024.03.11م؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/press-releases/2024/03/un-commission-inquiry-syria-too-desperately-needs-ceasefire

[26] Vanda Felbab-Brown; The Middle East Is Awash in Drugs; Foreign Affairs; 11.04.2024; Link:
https://www.foreignaffairs.com/middle-east/middle-east-awash-drugs

[27] د. كسار العلي؛ تقييم مدخلات النظام الصحي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ 2024م؛ ص13.

المسلمين وبعض التنظيمات المحلّية، وتكفي مشاهدة القنوات التلفزيونية ووسائل التواصل الاجتماعي الرسمية الخاصة بتلك الأنظمة والتنظيمات لمعرفة حقيقة تلك الدعاية؛ بالإضافة إلى النقد الداخلي الخاصّ بنقاط ضعف الإدارة الذاتية ومواضع التقصير في سياستها الداخلية.

من ناحية أخرى يجد كثيرون صعوبة في معرفة كيفية الدفاع عن حقوقهم؛ بسبب تعدّد الجهات التي يمكن التقاضي لديها سواء المدنية أو الحكومية. وقادت معظم التحليلات في هذا الشأن إلى السياسة الأمنية التي كان يطبّقها النظام السوري قبل عام 2013م؛ حيث تمّ تقديم أمن الدولة ومن ثم الأمن القومي العربي على الأمن الإنساني للمواطنين، أي؛ الأمن الإنساني لم يكن له مكان في السياسة الداخلية للنظام، وكان يقع على عاتق الراشدين تأمين أمنهم الإنساني وأمن مَن يرعاهم دون الاعتماد على أي دعم حكومي، حيث تحوّلت الدولة إلى مصدر من مصادر تهديد الأمن الإنساني في شمال وشرق سوريا، فقد تم حظر المشاريع الصناعية والتجارية في شمال وشرق سوريا وفرض الاقتصاد الزراعي على المنطقة؛ ما دفع المواطنين أكثر إلى اعتماد الاقتصاد المنزلي لإدارة شؤونهم المعيشية، وقام النظام باستغلال موارد الطاقة في المنطقة لتطوير البنية التحتية الصناعية والتجارية والسياحية في المحافظات التي تشكّل معاقل رئيسية له في حلب والساحل وحمص ودمشق، الأمر الذي أجبر آلاف العائلات إلى الرحيل عن مناطقها للبحث عن مصادر دخل جديدة، خاصة في فترات الجفاف التي كانت تجتاح شمال وشرق سوريا، كما تمّ استبعاد بناء الأكاديميات في المنطقة التي تضمن تنمية الطاقة المعرفية للفئة الشابّة في المنطقة. وبالتالي؛ فإنّ السياسة التي اتّبعها النظام كانت بهدف تمكين سيطرته وسلطته على شمال شرق سوريا وباقي المناطق السورية، من خلال استراتيجية الإلهاء، أي؛ إشغال المواطنين بتأمين أمنهم الإنساني، وبشكل خاص الأمن الاقتصادي والغذائي والشخصي، وبالتالي؛ الخضوع لسلطة النظام من خلال ثنائية الخوف والجوع، فمعظم مَن كانوا يتّبعون مواقف معادية للنظام كان مصيرهم التعذيب الجسدي أو المعنوي إلى أجل غير مسمّى في السجون والحرمان من العمل. وبالتالي؛ لم يألف معظم المواطنين مقوّمات أمنهم الإنساني المتمثّلة بالوعي والحماية والتمكين، وهو ما كان له تأثير في البيئة الجديدة التي تشكّلت بعد عام 2014م إثر نشوء الإدارة الذاتية الديمقراطية التي كان يتعيّن عليها تنمية هذه المقوّمات، والتي يبدو أنّها عجزت عن ذلك لسببين: الأول عدم القدرة على استقطاب العدد اللازم من الكفاءات التي آثرت العديد منها الهجرة، بسبب تداعيات الأزمة السورية، أو اتّخذت موقفًا سياسيًا متشنّجًا تجاه الإدارة الذاتية، الأمر الذي تسبّب بعِبْء كبير على أصحاب الكفاءات العاملين في إدارة المنشآت الخدمية والبنى التحتية والموارد الطبيعية والبشرية تحت سقف الإدارة الذاتية، والسبب الثاني كثرة المعارك الدفاعية التي خاضتها ضدّ كل من النظامين التركي والسوري وداعش وجبهة النصرة وفصائل جماعة الإخوان المسلمين، والسعي المستمرّ لتلك القوى في خلق مشاكل اقتصادية وسياسية وأمنية واجتماعية في شمال وشرق سوريا، من خلال الحصار والعمليات العسكرية وتأليب المجتمعات المحلّية على الإدارة الذاتية وإثارة النعرات القومية والطائفية بينها، وتنفيذ عمليات تغيير ديمغرافي في المناطق المحتلّة من الشمال السوري من قبل جيش الاحتلال التركي.

استناداً إلى ما تم ذكره يمكن وصف الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا بأنه يمر في حالة استقرار حرج نسبي، ويحاول مواطنو الإقليم إيجاد توازن بين التحديات ومقتضيات أمنهم الإنساني، باتباع خيارات تقشفية واعتماد أكثر من مصدر دخل واحد واتباع الوسائل الأقل تكلفة؛ من جانبها

تحاول الإدارة الذاتية معالجة تداعيات سياسة الإهمال والتهميش التي مارسها النظام السوري على المنطقة منذ أكثر من خمسين سنة، وبنفس الوقت التعامل مع الأزمات التي تسببت بها الأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية وتداعيات التغير المناخي، بالإضافة إلى تدارك الأخطاء ونقاط الضعف التي تعانيها في إدارة عمليات الاستجابة للمتطلبات المتنامية للمجتمعات المحلّية، ومواجهة عمليات الفساد وأعمال الجريمة المنظّمة التي تستغلّ الظروف الناتجة عن محاولات زعزعة البيئة الأمنية لشمال وشرق سوريا.

- **التحدّيات التي تواجه الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا:**

أنتجت الأزمات السياسية والاقتصادية والأمنية التي يشهدها الشرق الأوسط عامة وسوريا خاصة مجموعة من التحدّيات والعوائق في مسار تأمين مقوّمات الأمن الإنساني وأبعاده الرئيسية، وبلغت مستويات جعلت أنظمة الحكم في معظم دول المنطقة عاجزة عن مواجهتها والاضطرار إلى اتّباع سياسة منع الأوضاع من تجاوز حافّة الهاوية، وهي سياسة تحاول الإدارة الذاتية اتّباعها في إقليم شمال وشرق سوريا؛ وهذا ما يتسبّب بمضاعفة الأعباء على المواطنين لضمان أمنهم الإنساني ومواجهة التحدّيات التي تعترض تحقيق أبعاده، بلا شكّ هناك تحدّيات كثيرة، ومن المفروض أن يتمّ التدرّج في مواجهتها بدءاً من أكثرها تأثيراً، واختيار أسلوب الاستجابة المناسب لها، لذلك سيتمّ تناول التحدّيات الأكثر بروزاً والتي تواجه كلّ بُعد من أبعاد الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا بالشكل التالي:

1. **الأمن الاقتصادي:**

كانت الزراعة تشكّل المورد الاقتصادي الرئيسي لمعظم سكان الإقليم، الذي يمتاز بأراضٍ خصبة، حيث تبلغ مساحة الأراضي القابلة للزراعة والمستثمرة فعلياً فيه حوالي 2,300,000 هكتار([28]) والمحاصيل الرئيسية التي يتم زراعتها هي: القمح والشعير والعدس والقطن والذرة الصفراء والكمّون، ومن الخضار: محصول البندورة، ومن الأشجار المثمرة شجرة الزيتون. وكانت تشكّل مصدر دخل لشريحة واسعة من المواطنين من نواحي الاستثمار، وتوفّر فرص العمل والتجارة، وسط غياب الاقتصاد الصناعي بسبب سياسات النظام السوري، وتدهورت الزراعة بشكل كبير بعد تعرّض المنطقة لموجات من ظاهرة الجفاف والتصحّر؛ بسبب تراجع الهطولات المطرية، الأمر الذي دفع بالمواطنين إلى البحث عن مصادر دخل أخرى.

يعتمد مواطنو إقليم شمال وشرق سوريا في الزمن الراهن على أكثر من مصدر دخل لتأمين وضعهم الاقتصادي، حيث يبلغ متوسّط الأجور التي يتقاضاها العاملون بشكل عام في مختلف القطاعات لمصدر الدخل الواحد حوالي ثلاثة دولارات في اليوم الواحد، وهو مبلغ لا يكفي للاستجابة لمختلف المتطلّبات المعيشية والصحّية والخدمية؛ وقد تكيّف معظم المواطنين مع هذه الحالة عبر اعتماد

[28] د. عبد الرحيم خليف؛ تقرير واقع القطاع الزراعي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ آذار 2024؛ ص6م- قامشلو.

عدد من التكتيكات؛ منها: التقشّف في المصاريف، ومزاولة مهن إضافية، والحفاظ على نظام التكافل العائلي، وتطوير الاقتصاد المنزلي بما يتناسب مع الظروف المستجدّة، ومن الأمور التي تدعم هذه التكتيكات هو استمرار نظام التكافل الاجتماعي في مجال تقديم الإعانة المالية بين المجتمعات المحلّية تحت مسمّيات: المساعدة والزكاة والصدقة والقرض الحَسَن، بالإضافة إلى الخدمات وفرص العمل في التعاونيات التي تقدّمها الإدارة الذاتية في حدود إمكانياتها.

من أبرز التحدّيات التي تواجه الأمن الاقتصادي للفرد في الإقليم هو:

1) عدم اعتماد قانون للعاملين في قطاعات الأعمال العامة والخاصة في شمال وشرق سوريا، وهو ما يشكّل مصدر قلق دائم للعاملين في هذه القطاعات.

2) ضيق نطاق فرص العمل المتوفّرة في المنطقة، نظراً لغياب المشاريع الاستثمارية المتنوّعة، والسبب -كما بات معروفاً لدى الجميع- هو المحاولات المستمرّة للأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية في خلق بيئة غير آمنة لاستثمار رؤوس الأموال وإقامة مشاريع اقتصادية، وهو ما تجلّى بشكل واضح في الهجمات التركية على شمال وشرق سوريا في مطلع العام 2024م وإطلاق التهديدات بشكل مستمرّ ضدّ المنطقة، بالإضافة إلى عمليات الابتزاز التي تمارسها خلايا تنظيم داعش ضدّ التجّار في بعض المناطق الريفية.

3) التغير المناخي؛ حيث لا تزال الزراعة وتربية المواشي مهنة تزاولها نسبة كبيرة من مواطني الإقليم، وتضرّر هذا القطاع بشكل كبير بسبب موجات الجفاف التي ضربت المنطقة، والذي أصبح تحدّياً جدّياً لمسيرة التنمية الاقتصادية؛ بسبب تهديده لمساحة كبيرة تشكّل 60% من المساحة الإجمالية القابلة للزراعة ([29]) وبلغ الأمر في أعوام 2021 و2022م مستويات تمّ فيها خلط الذرة الصفراء مع الطحين لتغطية الحاجة للخبز وصعوبة في تأمين العلف للحيوانات؛ الأمر الذي تسبّب بتزايد في معدّل البطالة في تلك الفترة؛ وكذلك بسبب الآفات الزراعية والحيوانية التي اجتاحت العديد من مناطق الإقليم، فمثلاً استنفرت هيئة الزراعة والري في الإدارة الذاتية ([30]) جهودها لمواجهة الأمراض التي ظهرت مؤخّراً في المحاصيل الاستراتيجية، مثل الصدأ والتبقّع وأمراض البياض الدقيقي وانتشار الحشرات وبشكلٍ خاصة حشرة السونة، وحدّدت آلية عمل الوحدات الإرشادية لتوجيه المزارعين لمكافحة هذه الأمراض في الحقول التي وصلت إلى مرحلة العتبة الاقتصادية (*).

4) انعدام الادّخار لدى معظم المواطنين بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة، لأنّ مردودهم المادي بالكاد يغطّي كفاف يومهم، وتبدو الأمور أصعب لدى الأفراد الذين يعيلون قاصرين أو مرضى أو

---

[29] نفس المصدر السابق؛ ص7.

[30] وكالة أنباء هاوار؛ توجيه من هيئة الزراعة والري لمكافحة حشرة السونة في إقليم شمال وشرق سوريا؛ الناشر: وكالة أنباء هاوار؛ تاريخ النشر: 2024.04.14م؛ الرابط:
https://hawarnews.com/ar/توجيه-من-هيئة-الزراعة-والري-لمكافحة-حشرة-السونة-في-إقليم-شمال-وشرق-سوريا/

* العتبة الاقتصادية: مبدأ اقتصادي، تم استخدامه في الدفاع عن الصحة النباتية، للتعبير عن الحمل الأقصى للطفيليات أو الحيوانات أو النباتات، التي يمكن أن يتحملها المحصول دون أن يكون له أي ضرر اقتصادي، أي "تكلفة التدخل يجب ألا تتجاوز قيمة الضرر الذي تسبب فيه الطفيلي"....

يعانون من أمراض أو حالة تمنعهم من مزاولة مهنة إضافية؛ وهذا ما يعدّ أحد العوائق الرئيسية لافتتاح مشاريع خاصة صغيرة تعزّز من الأمن الاقتصادي للفرد.

5) صعوبة تأمين الوقود وأسعاره العالية التي تؤثّر على المردود الاقتصادي في حقل الاستثمار، ما يعني وجود فجوة بين تكاليف الاستثمار والمردود.

إنّ ما يعزّز هذه التحدّيات هو ضعف الوعي الاقتصادي لدى المواطنين أو عدم تطويره على الأقلّ، حيث لا تزال ثقافة التواكل أو النزوع إلى الهجرة منتشرة لدى بعضهم، قد يكون لليأس النابع من استمرار تفاقم الأزمة السورية دورًا في ذلك، إلّا أنّ ثقافة مقاومة الظروف السلبية وإدارتها بحسب الإمكانيات المتاحة لا تزال هي السائدة بين عامّة الناس؛ من ناحية أخرى لا تمتلك الإدارة الذاتية حتى الآن خططاً واضحة لتأمين الحماية والتمكين لمواطني الإقليم، واستناداً إلى توصيات تقرير واقع القطاع الزراعي في شمال وشرق سوريا ([31]) يقع على عاتق الإدارة الذاتية بذل جهود أكبر لدعم للقطاع الزراعي، قد تكون التحدّيات الأمنية التي تواجهها تفوق قدرتها على تحقيق ذلك، وهذا ما يفرض عليها بذل جهود أكبر وغير اعتيادية للتعامل مع هذه التحدّيات، ومن الممكن تحقيق ذلك باختيار أصحاب الكفاءات الاستراتيجية القادرة على إدارة الدراسة والتحليل والاستجابة للأزمات المستجدّة خارج إطار حدود التوافق السياسي بين القوى السياسية لمكوّنات إقليم شمال وشرق سوريا، كون الأمر يتعلّق بالأمن الإنساني ومن ورائه الأمن الوطني لمكوّنات شمال وشرق سوريا.

2. الأمن الغذائي:

بسبب التحدّيات التي يواجهها الأمن الاقتصادي تخلّى الكثير من المواطنين عن عادة تخزين المونة الغذائية أو إلغاء بعض الأصناف؛ ورغم توفّر أصناف مختلفة من المواد الغذائية في الإقليم إلّا أنّ معظمها لا يخضع لرقابة صحّية دقيقة، وجرت محاولات من قبل الإدارة الذاتية لتدارك هذه المشكلة؛ وذلك من خلال إنشاء مخبر للمواد الغذائية في الحسكة، إلّا أنّه غير كافٍ لتغطية كامل أسواق شمال وشرق سوريا، ويعتمد الأمر على كفالة التجّار ومدى الوعي الغذائي لدى المواطنين وكفاءة عمل لجان المراقبة التموينية.

ويمكن تقييم الأمن الغذائي بأنّه دون المستوى المطلوب، إلّا أنّه يُعتبَر مقبولًا مقارنة بالظروف التي تمرّ بها المنطقة، وبإمكان غالبية المواطنين تأمين الحدّ الأدنى من احتياجاتهم الغذائية (**) في أوقات السلم، ولم تصدر حتى الآن أية تقارير تتحدّث عن كارثة مجاعة في إقليم شمال وشرق سوريا، حيث لم يشهد الإقليم حتى الآن أيّة مجاعة أو حالات سوء تغذية واسعة النطاق أو انعدام للمواد الغذائية في

[31] انظر: د. عبد الرحيم خليف؛ تقرير واقع القطاع الزراعي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ آذار 2024م- قامشلو.

** الاحتياجات الغذائية "Nutrient Requirements": هي أقل كمية من العناصر الغذائية يحتاجها الفرد للمحافظة على الوظائف الطبيعية وسلامة الجسم.
للمزيد انظر: أ.د. نهال محمد عبد المجيد وآخرون؛ الثقافة الغذائية؛ الطبعة الأولى/2015م؛ الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع/ الكويت؛ ص14.

الأسواق، ولا تكاد تخلو كلّ قرية أو منطقة ريفية من أحد أنواع الماشية، من أبقار أو أغنام أو ماعز، وتشكّل أجبانها وألبانها وصوفها ولحومها مصدر دخل لنسبة كبيرة من سكّان تلك القرى والأرياف، وبحسب إحصائية لعام 2022م.

ولا تزال المنظّمات الإغاثية والتكافل الاجتماعي تؤمّن المعونات الغذائية لعدد لا بأس به من المحتاجين، بالإضافة إلى الخدمات التي تقدّمها الإدارة الذاتية في سياق تأمين الغذاء.

من أبرز التحدّيات التي تواجه الأمن الغذائي للفرد في الإقليم هي:

1) التحدّيات التي تواجه الأمن الاقتصادي للفرد، وما يترتّب على ذلك من عدم قدرة كثيرين على تأمين الكمية الكافية من المواد الغذائية أو المواد التموينية.

2) عدم تطوير أو تنمية نظام الرقابة الصحّية ومعايير الجودة الخاصة بالإدارة الذاتية على مختلف المواد الغذائية التي تدخل الإقليم أو تُنتَج فيها.

3) صعوبة تأمين مادة الطحين والخبز وغاز الطهي والمحروقات؛ بسبب عدم قدرة الإدارة الذاتية على التغلّب على الظروف الأمنية والسياسية المفروضة على المنطقة، والتي تمكّنها من استثمار واسع النطاق لحقول النفط والغاز المنتشرة في إقليم شمال وشرق سوريا، وتوظيفها في تأمين الخدمات للمواطنين، وتطوير الثروة الزراعية وعمليات الإنتاج المختلفة؛ وبالكاد تكفي عمليات الإنتاج الحالية من حقول النفط والغاز لسدّ حاجة الاستهلاك المحلّي؛ وقد تسبّب القصف التركي الأخير على محطّات الطاقة في الرميلان بأزمة كبيرة في قطاع المحروقات بشمال وشرق سوريا؛ الأمر الذي دفع بالإدارة الذاتية إلى استيراد الغاز من خارج الإقليم.

4) صعوبة تأمين مياه الشرب في الكثير من المناطق لأسباب كثيرة منها: عدم قدرة الإدارة الذاتية على الاستجابة لهذه الأزمات بفعالية أكبر، بالإضافة إلى عدم قدرة الإنتاج المحلّي المتوفّر على تغطية احتياجات المنطقة وصعوبة استيرادها من الخارج لاعتبارات سياسية، بالإضافة إلى عدم وجود مشاريع جاهزة لاستجرار المياه من نهر دجلة إلى مقاطعة الجزيرة؛ كما ولعبت الدولة التركية دوراً هدّاماً في هذا السياق، حيث خلقت صعوبات في تأمين مياه الشرب لأكثر من مليون مواطن في إقليم الجزيرة بسبب قطعها محطة مياه علوك في سري كانييه/ رأس العين التي تحتلها منذ عام 2019م، بالإضافة إلى خفضها المُتعمّد لمنسوب مياه نهر الفرات؛ الأمر الذي تسبّب بأزمة كبيرة للعديد من الفلّاحين على امتداد النهر في شمال وشرق سوريا، والتسبّب بتوقّف توليد الكهرباء من سدّ الفرات، وقامت في مطلع هذا العام بقصف صوامع الحبوب وبعض المشاريع الصغيرة والمتوسّطة ومحطّات الغاز والنفط في منطقة الرميلان([32]).

[32] للاطلاع على التقارير الموثقة عن هذه الاعتداءات انظر:
هبة زيادين؛ القصف التركي يعيث خرابا في شمال شرق سوريا/ تضرر البنية التحتية الحيوية وملايين السكان بلا خدمات أساسية؛ الناشر: Human Rights Watch؛ تاريخ النشر: 2024.02.09م؛ الرابط:
https://www.hrw.org/ar/news/2024/02/09/turkiyes-strikes-wreak-havoc-northeast-syria
سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ 158 منظمة سورية تدين الاستهداف التركي للمنشآت المدنية في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ تاريخ النشر: 2023.12.28م؛ الرابط:

كما تسبّب تناقص الهطولات المطرية خلال السنوات الماضية بانخفاض مستوى المياه الجوفية والمسطّحات المائية والسدود التخزينية؛ الأمر الذي كان له تأثير كبير على قطاع الزراعة وتربية الحيوان، بسبب انخفاض المتاح من المراعي وتزايد تكاليف الأعلاف، وأشار تقرير إلى انخفاض الثروة الحيوانية عام 2022م مقارنة بالأعوام التي سبقتها وارتفاع أسعار منتجاتها، الأمر الذي يبدو أنّه كان له دور في الاعتماد أكثر على الدواجن:

	الأبقار	الأغنام	المداجن
العام	العدد (بالألف)	العدد (بالألف)	العدد
2022	122	1700	380
2021	143	2100	360
2020	150	3000	236
إحصائية للثروة الحيوانية في إقليم شمال وشرق سوريا ([33])			

وبحسب دراسة ([34]) فإنّ موجات الجفاف تعرّض الماشية للإصابة بمختلف أنواع الحمى كـ المالطية والقلاعية والزائلة والجدري، إلى جانب إصابتها بنقص الأملاح والديدان الكبدية ومرضي دودة الرأس والجرب وداء الباستوريلا...إلخ.

إنّ ما يعزّز هذه التحدّيات هو ضعف الوعي الغذائي لدى المواطنين أو عدم تطويره على الأقل، خاصة أنّ كثيرين من الذين هاجروا من القرى قد تخلّوا تقريباً عن ثقافتهم الغذائية (*) التي أنتجها تراكم تجارب مئات السنين التي كانت تشهد رخاء أحياناً وشظفاً أحياناً أخرى، وتوارثها جيل بعد جيل. بالإضافة إلى أنّ الإدارة الذاتية لم تُدخِل الأمن الغذائي في خططها الاستراتيجية بشكل مستقل، فكثيراً

https://stj-sy.org/ar/158-منظمة-سورية-تدين-الاستهداف-التركي-لل/

[33] د. عبد الرحيم خليف؛ تقرير واقع القطاع الزراعي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ آذار 2024م- قامشلو.

[34] تيم الحاج؛ الجفاف يهدد المجتمعات الرعوية في سوريا؛ الناشر: Carnegie Endowment for International Peace؛ تاريخ النشر: 30 أيار 2023م؛ الرابط:
https://carnegieendowment.org/sada/89848

* "مفهوم الثقافة الغذائية لا يختلف كثيراً عن المفهوم العام للثقافة. حيث إن ثقافة الفرد الغذائية عبارة عن موروث اجتماعي وعادات غذائية ترسخت في أذهان الأفراد وأصبحت جزءاً من شخصية هؤلاء الأفراد... ويمكن الحكم على ثقافة الفرد الغذائية من خلال السلوك الغذائي الذي يتبعه".
أ.د. نهال محمد عبد المجيد وآخرون؛ الثقافة الغذائية؛ الطبعة الأولى/2015م؛ الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع/ الكويت؛ ص204.

ما يتم إرفاقها بالأمن الاقتصادي أو تنمية الثروة الزراعية والحيوانية، وعلى الرغم من العلاقة التكافلية بينها إلّا أنّه لا يوجد نظام خاص بالأمن الغذائي يرتكز بشكل واضح على مقوّمات الوعي والحماية والتمكين.

3. الأمن الصحّي:

يتمتّع الأفراد في المناطق الحضرية بخدمات صحية وطبية أفضل نسبياً مقارنة بالمناطق الريفية والبعيدة عن المدن الرئيسية؛ ويعاني مواطنو الإقليم من صعوبة كبيرة في تحقيق أمنهم الصحّي؛ بسبب صعوبة تأمين الوقاية من الأمراض المختلفة؛ نتيجة عوامل موضوعية تتعلّق بالتغيّر المناخي وانتشار الأوبئة داخل البلاد أو القادمة من خارجها، والقصف التركي الذي استهدف العديد من المراكز الصحية والطبية في إقليم شمال وشرق سوريا مطلع هذا العام، وألحق أضراراً بالمرافق الطبية المستهدفة ([35]) بعد أن عطّلت إمدادات الأوكسجين لأكثر من 12 مستشفى خاصّ وعام، كما أدّت الغارات على 38 منشأة صحّية إلى تعطيل خدماتها؛ الأمر الذي فاقم خطر الأمراض المنقولة بالمياه؛ وعرّضت العمل المختبري الحيوي وخدمات الأشعة السينية للخطر. وحذّر تحالف منظّمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا من أنّ حجم الأضرار يفوق بكثير قدرة المجتمع الإنساني على مواصلة تقديم الخدمات الطارئة المنقذة للحياة. رغم ذلك لم تسجَّل أيّة موجات من الأوبئة واستمرّت إمكانية الوصول إلى الخدمات الطبية بشكل نسبي. ويتواجد في الإقليم عدد لا بأس به من المراكز الطبية والصحّية، ففي عام2023م بلغ عدد المستوصفات 147 مستوصفًا قدّم خدمات لـ 2,186,476 مواطنًا، وبلغ عدد المشافي العامة المؤهّلة 20 مشفىً، قدّم خدمات لـ 1,463,425 مواطنًا، وبلغ عدد المشافي الخاصّة المؤهّلة 59 مشفىً، قدّم خدمات لـ 167,549 مواطنًا ([36]).

ويلعب التكافل الاجتماعي دورًا مقبولًا في كثير من الأحيان في تأمين نفقات الرعاية الصحّية، بالإضافة إلى مجانية العديد من الخدمات الطبية العامة التي توفّرها الإدارة الذاتية في مجال الأمراض القلبية والعينية والكلوية وغيرها والمخابر المختلفة، رغم أنّ أعدادها لا تغطّي كامل الإقليم. كما ويزداد التوجّه نحو التحوّل إلى الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء، الأمر الذي من شأنه أن يحدّ من التلوّث الهوائي والسمعي وخاصة في المدن.

من أبرز التحدّيات التي تواجه الأمن الصحّي للفرد في الإقليم هي:

1) التحدّيات التي تواجه الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي للفرد.

[35] OCHA/relief web; Situation Report #3, January 26th, 2024: Escalation of Hostilities Targeting Critical Civilian Infrastructures in Northeast Syria; 29 Jan 2024; Link: https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/situation-report-3-january-26th-2024-escalation-hostilities-targeting-critical-civilian-infrastructures-northeast-syria

[36] انظر: د. كسار العلي؛ تقييم مدخلات النظام الصحي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ 2024م.

2) النقص النسبي في عدد المراكز الصحّية التخّصصية على مستوى الإقليم، فمثلاً بحسب الدراسة التي نشرها تحالف منظّمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا عام 2024م ([37]) لا تزال مقاطعة الجزيرة (التي تُعدّ أكبر مقاطعة في الإقليم) بحاجة إلى 1065 طبيبًا و1543 ممرضًا و50 مركزًا صحّيًا لتحقيق الأمن الصحي بشكل كامل نسبياً، فهناك مشفيان عامّان فقط اختصاص الأمراض القلبية في مقاطعتَي الجزيرة وكوباني، و4 مشافٍ خاصّة في مقاطعتَي منبج والرقة ([38]) وهناك مشفى عامّ واحد فقط في مقاطعة الجزيرة للأمراض العينية، ومشفى خاصّ واحد في مقاطعة منبج؛ ويوجد 7 مراكز غسيل كلية عامة في مقاطعات كوباني والرقة ودير الزور ومنبج والطبقة، ولا توجد مشافٍ خاصة؛ وتوجد 3 مراكز تخصّصية لمرض تلاسيميا في مقاطعات الرقة ودير الزور ومنبج، ولا توجد مراكز خاصة. أمّا بالنسبة لمراكز الرعاية النفسية ومراكز الأورام ومعامل الأدوية فيفتقر الإقليم إليها.

3) التلوّث؛ يتعرّض المواطنون لمعدّلات كبيرة من التلوّث الهوائي والسمعي في عدد كبير من مدن الإقليم؛ بسبب اعتماد معظمهم على مولّدات الطاقة الكهربائية العاملة بمحرّكات الاحتراق الداخلي لتأمين الكهرباء، وتفاقمت هذه المشكلة بعد تدمير القصف التركي لمحطّة التوليد الحرارية في السويدية بريف الرميلان في مطلع هذا العام، وتعطيل عمل المحطّة الكهرومائية في سدّ الفرات بعد خفض منسوب نهر الفرات والتي عرضت بعض المناطق المحاذية للنهر إلى انتشار بعض الأمراض كالكوليرا والالتهابات المعوية؛ حيث تمّ احتواؤها بالتعاون بين المجتمعات المحلّية ومؤسّسات الإدارة الذاتية المعنية. كما أنّ تناقص الهطولات المطرية وتنامي معدّلات الجفاف خاصة في فصل الصيف، تسبّب بتزايد معدّل الملوّثات الجوّية المتنوّعة في الهواء؛ مثل الغازات الضارّة والعوادم والغبار والجزيئات الصلبة الدقيقة.

4) الضغوط النفسية؛ يتعرّض مواطنو الإقليم لضغوط نفسية كبيرة بسبب الصعوبات التي تعترض الواقع المعيشي والخدمي وفقدان نسبي للشعور بالأمن والأمان، بسبب ما يشاهدونه من مشاهد العنف على وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، والتهديدات المستمرّة بالاعتداء على المنطقة من الأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية، وما يترتّب على ذلك من مخاوف من فقدان الممتلكات ومصادر الرزق والنزوح وفقدان الأهل، بالإضافة إلى عدم امتلاك الإدارة الذاتية لخطّة واضحة واستراتيجية لمواجهة تداعيات هذه الضغوط؛ فهناك فجوة بين احتياجات الصحّة النفسية للسكان وبين تقديم خدمات وتدخّلات الصحّة النفسية، بسبب قلّة عدد اختصاصيّي الصحّة النفسية، حيث يوجد 4 أطباء نفسيين فقط في الإقليم([39])، 2 في مقاطعة الجزيرة و2 في مقاطعة الرقة، مع وجود نقص في أدوية العلاج النفسي. ولدى التجوّل على عدد من العيادات في مدينة قامشلو والحسكة يلاحَظ اكتظاظها بالمرضى والمراجعين، وقد يتطلّب الأمر عدّة أيام للحصول على دور لمقابلة طبيب، ولدى سؤال أحد الأطباء المختصّين في الأمراض القلبية عن مدى مراعاتهم للضغوط النفسية في معاينة مرضاهم، أكّد أنّهم يركّزون بالدرجة الأولى على نتائج الاختبارات المخبرية والتصوير الطبقي

[37] نفس المرجع السابق؛ ص32

[38] انظر نفس المرجع السابق.

[39] نفس المرجع السابق؛ ص17.

المحوري، والرنين والمقاييس التي تقيس حالة القلب في لحظة المعاينة، ويتمّ التدخل العلاجي استناداً إليها، ونفس الأمر بالنسبة لأمراض المفاصل والأمراض الداخلية، ما يعني أنّه لا يوجد اهتمام كافٍ بالعلاج النفسي، أي؛ أنّ السبب الحقيقي وراءها قد يكون نفسيًا وليس عضويًا، خاصة أنّ هناك علاقة بين الأعراض النفسية، كالاكتئاب والقلق، والأعراض الجسدية غير المبرّرة طبياً مثل تصلّب العضلات والصداع وآلام الظهر وارتفاع أو انخفاض الضغط الدموي والقرحة وغير ذلك، حيث أنّ هناك انعدامًا نسبيًا في الاختصاصات المتعلّقة بالاضطرابات السيكوسوماتية(*). وقد تمّ بذل جهود مشتركة بين الإدارة الذاتية ومنظّمة الصحة العالمية لدعم الجمعيات والمنظّمات المهتمّة بإعادة التأهيل النفسي والدعم النفسي، لكن على الرغم من ذلك لم تتكلّل هذه الجهود بسدّ الفجوة في الصحّة النفسية.

5) التغيّر المناخي، تعدّ موجات الحرارة والجفاف من أبرز الظواهر الجوّية المتطرّفة التي يشهدها شمال وشرق سوريا، وتتسبّب بمضاعفات خطيرة لمرضى القلب والأوعية الدموية والشعب الهوائية، بالإضافة إلى خلقها لظروف مساعدة لانتشار الأمراض الفيروسية المختلفة؛ وما يفاقم هذه المشكلات هي الصعوبات التي تعترض تأمين غاز الطهي والطاقة الكهربائية اللازمة لعمليات التكييف وحفظ المواد الغذائية وفلترة المياه وضخّها.

إنّ ما يعزّز هذه التحدّيات هو عدم قدرة المواطنين على مواءمة وعيهم الصحّي مع الواقع المُعاش، فمساعي تأمين الاحتياجات المعيشية وغلاء الأسعار والتلوّث العام الخارج عن نطاق سيطرتهم وعدم توفّر الطاقة الكهربائية على مدار اليوم يدفعهم إلى التخلّي عن بعض الحذر الذي يفرضه عليهم وعيهم الصحي، أو يدفعهم إلى عدم التقيّد الكامل بالإجراءات والتدابير الصحّية التي تقي من تدهور وضعهم الصحّي. من ناحية أخرى هناك صعوبة في تأمين الحماية والتمكين بالشكل المطلوب؛ كون تزويد كلّ مقاطعة بحاجتها من المراكز الصحّية التخصّصية والمخابر وعيادات الأشعة قد يفوق طاقة الإدارة الذاتية؛ بسبب التهديدات المستمرّة من قبل الأنظمة والتنظيمات المناهضة لها، إلّا أنّ هذا لا يمنع وضع خطط استراتيجية بالتعاون مع المنظّمات الصحّية الدولية والمؤسّسات الصحّية في البلدان غير المناهضة للإدارة الذاتية، مثل فرنسا والولايات المتحدة وهولندا ومصر والسعودية والإمارات وغيرها، لتأمين المساعدة أو جزء من التمويل والخبرات والحماية، إلّا أنّ ما يبعث الأمل لتجاوز هذه المعضلة هو وجود كلّيتَي طبّ في جامعتَي روجآفا والشرق، ويمكنهما تأمين الكوادر الطبّية اللازمة للإقليم على المدى البعيد، وسط الحاجة إلى تأسيس المزيد من الكلّيات ومدارس التمريض والمعاهد الصحّية الأخرى، ولا يزال الإقليم بحاجة إلى: 3699 طبيبًا، و3274 ممرضًا، و139 مركزًا صحيًا بحسب تحالف منظّمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا، وذلك لتأمين الحماية والتمكين بكفاءة لتحقيق الأمن الصحّي للفرد؛ ورغم أنّ الظروف التي يعيشها مواطنو الإقليم أفضل نسبياً من باقي مناطق البلاد؛ إلّا أنّ الأمن الصحّي يحتاج إلى مزيد من الدعم والمساندة.

* الاضطرابات السيكوسوماتية (أي النفسية / الجسدية) تعني باختصار أن الفرد لديه العديد من عوامل الإجهاد النفسي؛ والتي تنعكس بدورها على الجوانب الجسدية.. فتظهر في صورة مرض مثل: قرحة المعدة، أو الشعور بالغثيان أو حتى البرود الجنسي، وقرحة الاثني عشر وقرحة القولون والربو الشعبي بل وارتفاع ضغط الدم، وقصور الشرايين التاجية وغيرها...
للمزيد انظر: د. محمد حسن غانم؛ الدليل المختصر في الاضطرابات السيكوسوماتية؛ الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة/2015م؛ بلا رقم طبعة.

4. الأمن البيئي:

تفتقر البيئة في إقليم شمال وشرق سوريا إلى التنوّع الحيوي؛ بسبب عوامل تتعلّق بكلّ من: التغيّر المناخي، وتسييس النظام التركي لقضية المياه العابرة للحدود التركية إلى سوريا، وعدم وجود بنية تحتية خاصّة بالمشاريع البيئية وتنمية البيئة، بسبب إهمال النظام السوري في فترة سيطرته على المنطقة، وما ترتّب على ذلك من تقلّص الاقتصاد الريفي وارتفاع معدّلات النزوح من الريف إلى المدينة؛ الأمر الذي تسبّب بعبء ثقيل على الإدارة الذاتية؛ خاصة أنّ قضايا البيئة تشكّل إحدى الركائز الرئيسية لعقدها الاجتماعي.

هناك مجموعة من العوامل في البيئة المحيطة بالفرد والتي يمكن أن تلحق الأذى به بشكل من الأشكال، فمثلاً يواجه السكّان في مدن إقليم شمال وشرق سوريا نسبة تلوّث أعلى بكثير من الريف، بسبب نمط حياة المدينة الطارئة التي فرضتها ظروف الأزمة السورية، وبما أنّ الإقليم يفتقر إلى الاقتصاد الصناعي، وتنحصر آثار أنشطة معالجة النفط وتصفيته بشكل نسبي في مناطق محدّدة، تعدّ معظم الملوّثات والنفايات في المنطقة نابعة من مصدرين رئيسيّين؛ الأوّل: محرّكات الاحتراق الداخلي المستخدمة في مركبات النقل وعمليات توليد الطاقة الكهربائية، والثاني: مخلّفات المواد المستهلكة على اختلاف أنواعها. وتبدو مسألة نقل النفايات إلى مكبّات مخصّصة من قبل البلديات المحلّية تحت السيطرة بشكل نسبي، إلّا أنّ التلوّث الذي تصدره محرّكات الاحتراق الداخلي يصعب السيطرة عليه، خاصة مع تزايد الطلب على الطاقة الكهربائية وتنامي النشاط التجاري في المنطقة وتحوّل السيارة إلى إحدى الوسائط المطلوبة في الحياة اليومية.

بشكل عام لم ترقَ السياسة البيئية للإدارة الذاتية على أرض الواقع إلى مستوى الأسس النظرية في عقدها الاجتماعي، والذي يضمن تحقيق الأمن البيئي للفرد في إقليم شمال وشرق سوريا، ولا تزال دون المستوى المطلوب وفقاً للمعايير العالمية؛ بسبب افتقارها إلى الإمكانيات الكافية للحدّ من مظاهر التلوّث البيئي. على الرغم من ذلك هناك جهود تبذلها هيئة البيئة في الإدارة الذاتية الديمقراطية ([40]) من خلال عمليات التشجير وحملات التوعية والنظافة ومواجهة مخالفات البناء وبناء المنتزهات، إلّا أنّ الأمر يتطلّب المزيد.

ومن أبرز التحدّيات التي تواجه الأمن البيئي في الإقليم هي:

1) التحدّيات التي تواجه الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي والأمن الصحّي للفرد.

2) الجفاف، يعدّ الجفاف أحد العوامل المعطِّلة لتوسيع رقعة الغطاء النباتي وتكثيفه، وأدّى إلى تراجعه في السنوات الماضية، بالإضافة إلى تسبّبه بتزايد نسبة الأتربة والجُسيمات الدقيقة في الجوّ.

3) الموقف العدوانيّ للدولة التركية تجاه إقليم شمال وشرق سوريا، فقد تسبّب تخفيضها لمعدّل تدفّق نهر الفرات بتدهور البيئة المحاذية على امتداد النهر، وأثّر سلباً على عمل المحطّات الكهرومائية

[40] AANES MEDIA؛ مشروع تحليل مياه شمال وشرق سوريا ... أبرز مشاريع هيئة البيئة للعام 2024؛ تاريخ النشر: 2024.01.21م؛ الرابط:
https://aanesgov.org/ar/?p=10098

في سدود النهر، وتجفيفها لنهر الخابور ومعظم الأنهار الصغيرة التي كانت تدخل شمال سوريا، بالإضافة إلى قصفها المتعمّد للبنية التحتية ومحطّات الطاقة وما تسبّب به من تلوّث بيئي.

4) ضعف الإمكانيات المالية للإدارة الذاتية لتنفيذ المشاريع البيئية وتنمية البيئة، ولا تزال خططها تدور حول الإجراءات الإسعافية لاحتواء التدهور البيئي ومنع انتشاره بمعدّلات أكبر، بالإضافة إلى تأثير بعض قراراتها على البيئة؛ مثل فتح المجال لاستيراد عدد كبير من السيّارات، وعدم وجود محطّات لتدوير وتحلية المياه ومعالجة النفايات، ولم تتوسّع في عمليات الإكثار من الغابات الاصطناعية، وعدم اتّخاذ التحوّل إلى الطاقة الشمسية بشكليها الكهرو الحراري والكهروضوئي كاستراتيجية في تأمين قطاع الطاقة؛ لتقليل الاعتماد على محرّكات الاحتراق الداخلي لتوفير حاجة المنطقة من الطاقة الكهربائية.

على الرغم من امتلاك غالبية سكان الإقليم لوعي بيئي ناتج عن ثقافتهم الريفية، إلّا أنّهم يواجهون ظروفاً تفوق قدرتهم على صون أمنهم البيئي ومواجهة الأذى الذي يمكن أن يتعرّضوا له في بيئتهم وخاصة سكان المدن؛ وقد تحوّلت العديد من مصادر التلوّث إلى مصدر رزق للكثيرين ويمتلكون خيارات قليلة أو شبه معدومة لاستبدالها، وسط ظروف معيشية صعبة تمرّ بها المنطقة؛ لدرجة أنّ نسبة كبيرة من المواطنين عاجزون عن ترميم منازلهم؛ من ناحية أخرى تعجز الإدارة الذاتية ومؤسّسات المجتمع المدني المحلّية عن تأمين الحماية والتمكين لتحقيق الأمن البيئي، ولا تبدي المنظّمات الدولية المعنية أيّ تعاون فعّال مع الإقليم؛ ففي فصلَي الصيف والشتاء يعاني المواطنون من صعوبة في تأمين حاجتهم من نواقل الطاقة المستخدمة في التكييف والتدفئة والإنارة من مازوت وغاز وكهرباء، وتصعب الوقاية من التلوّث الهوائي، وأحياناً يمكن ملاحظة بقاء القمامة لأكثر من يوم حتى يتم ترحيلها، حيث تتجمّع عليها الحشرات والكلاب الشاردة ونبّاشو القمامة، وتعاني العديد من الطرق من الحُفر والاهتراء؛ وأحياناً تبقى الحيوانات النافقة التي دهستها السيارات على الطرق لأيام وسط لا مبالاة العابرين والمؤسّسات المعنية بإزالتها، ولا توجد قوانين للحدّ من التلوّث السمعي والبصري، وفي حال وجود قرارات ذات صلة فإنّها لا تنفّذ بالشكل المطلوب. بلا شكّ إنّ ما يبعث الأمل لدعم الأمن البيئي في الإقليم هو استمرار الإدارة الذاتية في اعتبار تنمية البيئة إحدى ركائزها الرئيسية، ولا تزال تمضي في مشاريعها ولو بوتيرة بطيئة.

5. الأمن الشخصي.

بشكل عام يبدو الأمن الشخصي مصاناً نسبياً في إقليم شمال وشرق سوريا؛ نظراً لتعدّد الجهات التي تقدّم الحماية والدفاع فيها، فمثلاً بالنسبة للمرأة هناك جهاز أمني وتنظيم عسكري ومؤسّسات مدنية حقوقية ذات صفة اعتبارية خاصّة بها (أساييش المرأة، ووحدات حماية المرأة، وبيت المرأة، وغيرها)، وهناك تطوّر نوعي في عمل قوى الأمن الداخلي؛ وفَرَضَ العقد الاجتماعي للإدارة الذاتية لإقليم شمال وشرق سوريا ظروفاً ثقافية وسياسية واجتماعية أدّت إلى إدارة المجتمعات المحلّية لشؤونها في مناطقها ضمن أنظمة إدارية تحت مسمّى "الإدارة الذاتية للمقاطعة" بعيداً عن السلطوية الحزبية التي عانى منها السوريون في فترة سيطرة النظام السوري، وهو ما تسبّبت بانخفاض نسبة خطاب الكراهية النابع من

التطرّف القومي والديني والمذهبي؛ الأمر الذي أجبر أصحاب هذا التطرّف إلى العمل سرّاً كخلايا مناهضة للإدارة الذاتية ولم يعد بمقدورهم فرض وتطبيق أفكارهم على عامّة الناس؛ من ناحية أخرى لعب الكومين وكذلك المجالس المحلية دوراً في تحقيق السلم الأهلي، ولا يزال الإقليم شبه خالٍ من شبكات الجريمة المنظّمة، كلّ ذلك انعكس إيجاباً على الأمن الشخصي للفرد؛ لذلك يمكن القول بأنّ الأمن الشخصي مصان نسبياً في الوسط الاجتماعي، إلّا أنّه قد تبرز حالات معينة يتهدّد فيها الأمن الشخصي بدوافع الثأر أو تصفية حساب أو التعرّض للاحتيال أو لإهمال وظيفي؛ أو أن تشاء الأقدار أن يتواجد المرء في مكان معرّض لحدث خطير من خلال نزاع ما لدوافع شخصية أو سياسية، أو عملية قصف أو تفجير، أو كارثة طبيعية، أو حادث مروري أو حادث عرضي بسبب إهمال في عمل أجهزة إنفاذ القانون التابعة لمؤسّسات الإدارة الذاتية أو عدم كفاية القرارات التشريعية والتنفيذية؛ وقد يعرّض الفرد أمنه الشخصي للخطر من خلال التعامل مع المواد المخدّرة أو اتّباع أيديولوجيات مناقضة للثقافة المجتمعية أو مناهضة للسلم الأهلي المؤطّر بالعقد الاجتماعي، والتي يمكن أن تدفعه إلى ارتكاب أعمال خطيرة تعرّض حياته أو حياة الوسط الاجتماعي للتهلكة. لذا؛ يمكن القول أنّ مقوّمات الأمن الشخصي لمواطني الإقليم يواجه مجموعة من التحدّيات، أبرزها:

1) الجانب الشخصي في التحديات التي تواجه الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي والأمن الصحّي والأمن البيئي للفرد.

2) ضعف الوعي بالأخطار المحدقة بالأمن الشخصي في البيئة المحيطة.

3) صعوبة التواصل بين الفرد وأجهزة إنفاذ القانون؛ إمّا بسبب الموقف السياسي للفرد أو بسبب الإهمال الوظيفي من قبل بعض من العاملين في تلك الأجهزة.

4) العمليات المسلّحة التي تنفّذها الأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية والتي لا تفرق بين الإدارة الذاتية ومواطنيها، ومعظم الضحايا في العمليات التي نفّذت كانوا من المدنيين؛ حتى أنّه في المناطق المحتلّة في عفرين وكري سبي/ تل أبيض وسري كانييه/رأس العين لا يزال مَن تبقّى من السكان الأصليين يتعرّضون لعمليات اعتقال تعسّفية بتهمة العمل سابقاً في إحدى مؤسسات الإدارة الذاتية ([41]).

5) عدم كفاية قرارات وقوانين الإدارة الذاتية للاستجابة للشكاوى أو احتواء المخالفات: المرورية، أو البناء، أو عمليات الاستيراد، أو التموينية، أو صيانة البنية التحتية... إلخ.

[41] للاطلاع على بعض التقارير التي توثق هذه الحالات انظر:
سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ عفرين: اعتقال ما لا يقل عن 73 شخصاً بينهم 5 سيدات خلال شباط 2020؛ تاريخ النشر: 2020.03.06م؛ الرابط:
https://stj-sy.org/ar/عفرين-اعتقال-ما-لا-يقل-عن-73-شخصاً-بينهم-5-س/
المرصد السوري لحقوق الإنسان؛ بتهمة التعامل مع "الإدارة الذاتية" سابقاً.. اعتقال مواطنين اثنين من قبل الاستخبارات التركية والشرطة العسكرية بريف عفرين؛ تاريخ النشر: 2024.03.28م؛ الرابط:
https://www.syriahr.com/بتهمة-التعامل-مع-الإدارة-الذاتية-ساب-5/708176/

6. الأمن السياسي:

هناك إشكالية كبيرة في مفهوم الأمن السياسي؛ بسبب الإشكالية التي تعتري مفهوم السياسة، ولدى مقاربة السياسة كظاهرة اجتماعية فبالإمكان تعريفها على أنّها "تحقيق تطوّر المجتمع من خلال إدارة شؤونه بحرية، وتأمين رقي الفردانية فيه"([42]) أي إدراك المجتمع لذاته وهويته فكراً وممارسة، وتطويره إيّاهما ودفاعه عنهما، ويسري هذا الأمر على جميع أفراد المجتمع، وتشكّل الدوغمائية والتطرّف في المعتقَدات مصدراً للكثير من المشكلات؛ بسبب عدم قدرة صاحبها على فهم التطوّرات السياسية الحاصلة والاستجابة لها بشكل مناسب.

وتعتبر معظم التنظيمات والأشخاص الذين لا يؤيّدون العقد الاجتماعي للإدارة الذاتية لإقليم شمال وشرق سوريا لدوافع أيديولوجية بأنّهم معرّضون للاضطهاد السياسي؛ وكثيراً ما تعرّضت الإدارة الذاتية للنقد من منظّمات حقوقية استناداً إلى تقاريرهم. بشكل عام يتعلّق الأمن السياسي في كيان سياسي ما بمدى شرعية هذا الكيان، وفي حالة الإدارة الذاتية تتمّ إثارة الكثير من الجدل حولها، فهي كيان شرعي بالنسبة لمعظم المجتمعات المحلّية استناداً إلى عقدها الاجتماعي وما تقدّمه من خدمات وحماية لمواطنيها، واستجابة المواطنين لقراراتها والالتزام بقوانينها والتماس العون منها؛ أمّا بالنسبة لمواطني الإقليم المؤيّدين لكلّ من النظام السوري والتركي والإيراني وتنظيم داعش وجماعة الإخوان المسلمين والقاعدة وهيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) والمجلس الوطني الكردي وباقي التنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية، فهم يعملون جاهدين على استبعاد الشرعية عنها وممارسة أنشطة من شأنها أن تزعزع استقرار المنطقة طالما أنّها تضر بالإدارة الذاتية؛ أمّا بالنسبة للمجتمع الدولي فيتعامل مع الإدارة الذاتية كجهة فاعلة غير حكومية (الجهات الفاعلة من غير الدول) ([*]) وتتعامل معها في إطار المنظّمات الدولية والتحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش.

ما يهم في الأمر هو أنّ قوانين الإدارة الذاتية طالما أعلنت التزامها بمواثيق حقوق الإنسان وأدرجت ذلك في عقدها الاجتماعي، وسجّلت نقاطًا كثيرة في مجال السلم الأهلي وضمان تمتّع جميع المكوّنات بثقافتها والتعلّم بلغاتها وحرية التعبير عن الرأي والمعتقد([43]) وتأسيس أحزاب. على الرغم

---

[42] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية: القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ المجلد الخامس؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014؛ ص31.

[*] على سبيل المثال ورد ذكر هذا الأمر في تقرير أممي: مفوّضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان؛ مداخلة السيد باولو بينهيرو رئيس لجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية في الدورة الرابعة والخمسون لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة؛ الناشر: الزمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2023.09.22م؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/statements/2023/09/statement-paulo-pinheiro-chair-independent-international-commission-inquiry

[43] من بعض المواد الواردة في العقد الاجتماعي:
المادة6: كل اللغات الموجودة في جغرافية شمال وشرق سوريا متساوية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، التعليمية، الثقافية؛ ومن حق كل شعب أو تجمع ثقافي أن ينظّم حياته ويسيّر أموره بلغته الأم.
المادة13: القرارات التي تمس بالمكونات بشكل مباشر يتم اعتماد مبدأ التوافق أساساً لها.
المادة 29: التمثيل العادل لجميع المكونات في مؤسسات الإدارة الذاتية الديمقراطية حسب ديموغرافية المقاطعات.
المادة 60: للمجموعات والمكونات الثقافية والإثنية والدينية الحق في تسمية وتشكيل تنظيماتها ومؤسساتها الديمقراطية والحفاظ على ثقافاتها. ولا يحق لأي شخص أو مكون أن يفرض عقيدته وفكره وثقافته على الغير بالإكراه.

من ذلك لا يمكن اعتبار الأمن السياسي مصاناً في إقليم شمال وشرق سوريا، فالعديد من سكّان الريف في مقاطعة دير الزور تلقّوا تهديدات من قبل داعش بسبب تأييدهم للإدارة الذاتية، والكثير من المتعصّبين للأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية يشكّلون تهديداً للأمن السياسي لمعظم سكّان الإقليم لعدم امتلاكهم مشروعًا ديمقراطيًا، والانتهاكات التي يرتكبها كلّ من النظام التركي والسوري وداعش وجماعة الإخوان المسلمين في المناطق المحتلة أو المناطق التي يسيطرون عليها تُعتبَر مؤشّرًا قويًا على هذا الأمر، وما يثير الدهشة أنّ معظم النقد الذي تتعرّض له مؤسّسات الإدارة الذاتية تستند في جوهرها إلى إجراءات الإدارة الذاتية لحماية أمن المنطقة، إلّا أنّ كثيراً ما يتم الخلط بين النقد النابع من موقف سياسي مناهض للإدارة الذاتية والموقف السياسي النابع من النقد البنّاء لهذه الإدارة، والسبب يكمن في ضعف الوعي السياسي بشكل عام، فمعظم المناهضين للإدارة الذاتية لم يتمكّنوا من تشكيل كيان معارض ديمقراطي قادر على التعبير عن مواقفهم السياسية بشكل موضوعي ولا يخدم الأنظمة والتنظيمات المناهضة لمجتمعات الإقليم، رغم أنّ الكثيرين منهم يعيشون تحت مظلّة الإدارة الذاتية ويمارسون أنشطتهم السياسية بحرية؛ وبالمقابل لم تتمكّن الإدارة الذاتية من تهيئة مناخ سياسي يحقّق ذلك. وبالتالي؛ هناك إشكالية كبيرة في مفهوم الأمن السياسي، كما أنّ هناك صعوبة في تحليل مقوّماته المتمثّلة بالوعي والحماية والتمكين نظراً لتعقد المشهد السياسي في المنطقة، وبدون تحقيق الاستقرار الكامل في المنطقة لا يمكن تقديم أيّة تقييمات دقيقة عن الأمن السياسي.

- **الخلاصة والمقترحات:**

يعدّ نظام الدفاع الذاتي لحماية وجود الإنسان جوهر مفهوم الأمن الإنساني، وكيفما يستحيل على الكائنات الحيّة مواصلة حيواتها من دون مأكل أو توالد، فمُحال عليها الاستمرار بالحياة في حال غياب الدفاع الذاتي أيضاً، ولا يشكّل الكفاح المسلّح الآلية الوحيدة للدفاع الذاتي؛ بل هناك آليات أخرى كثيرة منها الوعي والمجتمعية والأخلاق، كون الأخطار لا تتمثّل فقط بوجود عدوّ غاشم مسلّح، إنّما هناك الاستغلال وقمع الحقوق والاحتكار والتسلّط والجهل والوهم والمخدّرات والتطرّف... إلخ.

وبغضّ النظر عن تأثير الأيديولوجيات والبروباغندا؛ يعدّ الأمن الإنساني المحدّد الرئيسي لسلوك الإنسان وطريقة تفكيره، فكيفما اتّجه اتجهت معها مواقفه، ويعدّ انعدام الأمن الإنساني شرطًا رئيسيًا لقيام الثورات؛ وتشير التجارب أحياناً إلى أنّه قد تخضع آمال الإنسان لتأثير أوهام بفعل وعود أيديولوجية أصبحت في "خبر كان"، ويجد أمنه الإنساني وأمن مَن يعيلهم بقيام سلطة الأيديولوجيا التي يؤمن بها حتى لو تعرّض إلى أخطار ومآسٍ في سبيلها، فمثلاً معظم الذين تمّت مقابلتهم من عناصر تنظيم داعش كانوا مقتنعين تماماً بأنّ نجاح "مشروع الخلافة" الخاص بالتنظيم كان سيأتي بالخير الوفير للبشر؛ لذلك برّروا ما تحمّلوه من مشاقّ وما ارتكبوه من أعمال وحشية بحق البشر في سبيلها؛ وتكاد معظم الدراسات تتّفق على أنّ الفقر والظلم أو التظلّم يعدّان سببين رئيسيّين كامنين وراء الانضمام إلى الجماعات المتطرّفة، تماماً وسببين رئيسيين لاندلاع الثورات، إلّا أنّ المفارقة تكمن في أنّ الجماعات المتطرّفة تلبس لبوس الثورة. وبينما تنتهج الأنظمة الاستبدادية سياسة التجويع والتجهيل

للاطلاع على مزيد من المواد انظر: وكالة أنباء هاوار؛ العقد الاجتماعي الجديد للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا؛ تاريخ النشر: 2023.12.13م؛ الرابط:
https://hawarnews.com/ar/العقد-الاجتماعي-الجديد-للإدارة-الذاتية-الديمقراطية-لإقليم-شمال-وشرق-سوريا/

والتخويف لإخضاع الشعوب التي تحكمها، وفي المقابل تعمل الأنظمة الديمقراطية بشكل معاكس وتنتهج سياسة تنمية الوعي والحماية والتمكين لضمان استمرارها. من ناحية أخرى باتت معظم الدعايات التجارية تركّز في عمليات التسويق على خلق تصوّر عن منتجاتها بشكل لا يضرّ بأحد أبعاد الأمن الإنساني، وكثيراً ما يتمّ تداول كلمات التوفير والصحّة والبيئة والأمان في عمليات الترويج.

يعدّ الأمن الإنساني أحد عناصر التخطيط الاستراتيجي، ويعتبر قضية مثيرة للجدل بالنسبة للأيديولوجيات المختلفة، ويختلف منظوره من إنسان إلى آخر، فمثلاً قد يجد أحدهم أمنه الاقتصادي في تطبيق العلوم الشرعية على حياته، بينما يتّجه آخرون إلى العلوم الوضعية، وقد يصدف أن يجد أحدهم أمنه الاقتصادي من خلال مزاولة مهنة ما. ومهما يكن الأمر، فإنّ الأمن الإنساني يعدّ قضية وجودية للفرد ويتبع ما تملي عليه قناعاته في حدود حقل تفكيره لتحقيق أبعاد أمنه الإنساني لتأمين حياته أو ينساق وراء وعود بتحقيقها، بحسب ما تتوفر من مقوّمات: الوعي، والحماية، والتمكين وفقاً للجغرافيا السياسية والاقتصادية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان، لذلك تعدّ النسبية شرطًا رئيسيًا في تقييم مدى تمتّع المرء في جغرافية ما بأمنه الإنساني.

استناداً إلى هذا الأمر يمكن اعتبار مواطني الإقليم قادرين على الاستجابة المحدودة للتحدّيات التي تواجه أمنهم الاقتصادي والغذائي والشخصي، وصعوبة في الاستجابة للتحديات التي تواجه أمنهم الصحي والبيئي والسياسي؛ ويتوقّف معدّل الاستجابة على مستوى الحالة التي تسمح بها الظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية التي تمر بها المنطقة، فهي جيّدة مقارنة مع المناطق السورية الأخرى، وضعيفة مقارنة مع المعايير الدولية للأمن الإنساني.

ويعدّ الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا انعكاساً لحالة التنمية البشرية(*) المتدهورة في بعض جوانبها والمتوقّفة في جوانب أخرى بسبب مجموعة من عوامل ذاتية وموضوعية تم التطرّق إليها في سياق البحث، والتي يصعب في تقييمها الركون إلى الإحصائيات والبيانات لكثرة العقبات والتحدّيات التي تواجهها؛ لذلك ومن أجل رفع معدّل الاستجابة للتحدّيات التي تواجه الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا يتوجّب من حيث المبدأ تحقيق ومن ثم تنمية مقوّماته المتمثّلة بالوعي والحماية والتمكين؛ وفي حالة مجتمعات الإقليم وبحكم التجربة التي عاشتها مجتمعات المنطقة منذ عقد من الزمن، يعدّ الانفتاح على كلّ من: المعرفة ومبادئ الديمقراطية والالتزام بالأخلاق، عوامل رئيسية في تنمية هذه المقوّمات وتحقيقها، وهي أمور يتعيّن على الإنسان الراشد والمؤسّسات التي تدير شؤونه القيام بها، كلٌّ بحسب حجم مسؤولياته، واستناداً إلى ما تمّ رصده على أرض الواقع؛ فهناك أمور يتعيّن تأمينها بتضافر جهود الإنسان والمجتمع والمؤسّسات، وأبرزها:

1. يتعيّن على الإدارة الذاتية تأمين جميع الوسائل والأدوات اللازمة لتنمية الوعي المعرفي في شتّى المجالات، ويتعيّن على المواطنين الانفتاح عليها، فهي شرط رئيسي لإدراك العالم من حولنا والتفاعل معها بصورة دقيقة ومفهومة؛ وهذا من شأنه أن يدعم أبعاد الأمن الإنساني.

* طرح برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لأول مرة مفهوم "التنمية البشرية" في تقرير التنمية البشرية لعام 1990م، جاء فيه: "التنمية البشرية عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس..." وتتركز الخيارات الأساسية في ثلاثة، هي أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة...

2. يعدّ الكومين بمثابة خط الدفاع الأوّل عن الأمن الإنساني، وتراجع الاهتمام بالكومين بعد تمأسس الإدارة الذاتية، رغم أنّها تشكل إحدى ركائزها، قد تسبّب بانخفاض التفاعل والتواصل بين الكومين والمجتمع الذي يدير شؤونه، لذلك يتعيّن رأب الصدع الحاصل بين الكومين والمجتمع.

3. الإدارة الذاتية كيان إداري أكثر من كونه سياسي، والعقد الاجتماعي الذي تعتمده هو ميثاق اجتماعي سياسي وليس وثيقة حزبية، وهي حقيقة يصعب استيعابها من قبل المتأثّرين بدعاية الأنظمة والتنظيمات المناهضة للإدارة الذاتية، ويبدو أنّ الإدارة الذاتية من جانبها لم تولِ الاهتمام الكافي لإيصال هذه الحقيقة إلى هذه الشريحة من المجتمع، ويتعيّن على الإدارة بذل ما يلزم لإيصال هذه الحقيقة وتوفير مناخ لبروز معارضة ديمقراطية تعتمد على النقد البنّاء.

4. يعدّ الإهمال الوظيفي مشكلة يعاني منها معظم بلدان العالم، ومؤسّسات الإدارة الذاتية ليست بمنأىً عنها، وبالمقابل هناك الكثير من المواطنين يهملون دورهم الرقابي؛ ويتعيّن توفير عوامل الإدارة الرشيدة للمؤسّسات القادرة على الاستجابة البنّاءة لمختلف الشكاوى والنقد والملاحظات والمقترحات.

5. تعدّ الموارد البشرية الجيش الذي يمكنه مواجهة كلّ من: غوائِل الطبيعة، والتحدّيات التي تواجه أمن البلدان؛ وهناك الكثير من الموارد البشرية في الإقليم إلّا أنّها لم تُستثمَر بالشكل المطلوب، وتركّزت معظم عمليات تنميتها على التنمية الفكرية الفلسفية والسياسية الطابع؛ ولم يتم التركيز كثيراً على تنمية الجانب الإبداعي لهذه الموارد في المجال التطبيقي وفقاً لنهج الحماية الذاتية، والتي بدورها استندت فقط على تطوير الجانب القتالي ومواجهة هجمات الحرب الاعلامية، والكثير من الذين لم يستطيعوا التأقلم مع الواقع آثروا الهجرة أو الانعزال؛ لذلك يتعيّن تنظيم هذه الموارد في مراكز أبحاث متخصّصة وتوفير الظروف المناسبة لتنميتها وتحوّلها إلى مصدر طاقة للتنمية والتطوير والإبداع والبناء وإدارة الموارد الطبيعية والعمليات الإنتاجية وتطوير البنية التحتية.

6. لوحظ أنّ الكثيرين يستثمرون أموالهم في المطاعم والتجارة العامة، وتجد الإدارة الذاتية صعوبة في الإشراف على تنفيذ المشاريع، والكثير من الأفكار المبدعة لا تزال حبيسة رؤوس أصحابها، وحتى لو توافقت الأطراف الثلاثة على مشروع معيّن يبقى القلق من النتائج هاجساً لديهم؛ بسبب قلّة التجارب وعدم وجود تعويض للخسائر المحتملة أو بسبب الجشع؛ ويبدو من المفيد الاستفادة من تجارب الشعوب في انطلاقاتها، ومن بينهم الشعب الإنكليزي، فلدى تحليل انطلاقة نهضته الصناعية في القرن التاسع عشر، يمكن ملاحظة تضافر جهود ثلاثة أطراف في ذلك؛ وهي الحكومة وصاحب رأس المال وصاحب الفكرة؛ وفي إقليم شمال وشرق سوريا هناك الكثير من المجالات الاستثمارية التي يمكن أن يربح فيها الجميع، كمجال الطاقة الشمسية بشقّيها الكهروضوئي والكهروحراري، وتدوير النفايات والمياه الملوّثة، وتأسيس المزارع المغلقة، وما أمكن من الصناعات التجميعية وغير ذلك. إنّ تحوّل معادلة "الحكومة وصاحب رأس المال وصاحب الفكرة" إلى ثقافة اقتصادية في الإقليم عبر مناقصات ثلاثية الأطراف، من شأنه أن يساهم في تحقيق الأمن الإنساني لمواطني الإقليم.

7. تشكّل الديمقراطية ضمانة للسلم الأهلي، وهي التي تكفل التعايش السلمي بين مختلف المعتقدات السياسية والدينية المسالمة، طالما بقيت مصدراً للطمأنينة، وهذا ما يشكّل وسيلة ردع قوية

في مقاومة مختلف التهديدات التي تستهدف الإقليم، لذلك يتوجّب استمرار الاهتمام بتطبيق المبادئ النظرية للعقد الاجتماعي على أرض الواقع. ويجب الإدراك بأنّ الديمقراطية التي تحافظ دوماً على حيوية وانتعاش الوعي السياسي واليقظة الأخلاقية لدى المجتمعات، هي ساحة الحلّ الحقيقي للقضايا دون اللجوء إلى الحرب.

8. هناك مشكلتان رئيسيتان تؤرّقان الكثير من المواطنين؛ وهي صعوبة تأمين تكاليف العلاج والسكن، والكثير من العائلات باتت تتجه إمّا إلى الاستدانة أو الهجرة أو انخراط أحد أفرادها في أعمال محظورة أو تشكيل تكتلات عائلية شبيهة بالعشائر وتنصيب أكثرهم ثراء زعيماً، وهذا يتناقض في بعض جوانبه مع القيم العشائرية العريقة، إلّا أنّه سلوك طبيعي لالتماس الحماية والدعم، ومؤشّر على عجز المؤسّسات المختلفة عن الاستجابة الكاملة لاحتياجات المواطنين، لذلك يتوجّب إيجاد برنامج للرعاية خاص بهما، ويتعيّن على الإدارة والمجتمع تقديم التمويل والدعم اللازم.

المصادر والمراجع.

1. تيم الحاج؛ الجفاف يهدد المجتمعات الرعوية في سوريا؛ الناشر: Carnegie Endowment for International Peace؛ تاريخ النشر: 30 أيار 2023م؛ الرابط: https://carnegieendowment.org/sada/89848

2. خالد كاظم أبو دوح؛ الأمن الصحي؛ الناشر: مركز البحوث الأمنية/ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- 2021م.

3. د. خديجة عرفة؛ الأمن الإنساني في ظل التغيرات المناخية.. تحديات متزايدة؛ الناشر: السياسة الدولية؛ تاريخ النشر: 2022.11.10م؛ الرابط: https://www.siyassa.org.eg/News/18422.aspx

4. سماح عبد الله؛ مفهوم الأمن الإنساني؛ الناشر: المجلة الاجتماعية القومية؛ المجلد53/العدد3/أيلول 2016؛ الرابط:
https://jns.journals.ekb.eg/article_205011_3711573205cee9f51a41c4c8fec4500f.pdf

5. عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية: القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ المجلد الخامس؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014.

6. د. عبد الرحيم خليف؛ تقرير واقع القطاع الزراعي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ آذار 2024م- قامشلو.

7. العقد الاجتماعي للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا.

8. أ.د. غسان حسين سالم وأحلام حسين ورة؛ اعداد مقياس لقياس السلوك التوكيدي لدى طلبة جامعة بغداد؛ الناشر: جامعة بغداد- مجلة كلية التربية للبنات/ المجلد 29 (2) 2018.

9. د. كسار العلي؛ تقييم مدخلات النظام الصحي في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: تحالف منظمات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا/ 2024م.

10.د. محمد حسن غانم؛ الدليل المختصر في الاضطرابات السيكوسوماتية؛ الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة/2015م؛ بلا رقم طبعة.

11.أ.د. نهال محمد عبد المجيد وآخرون؛ الثقافة الغذائية؛ الطبعة الأولى/2015م؛ الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع/ الكويت.

12.هند فؤاد؛ الأمن الإنساني؛ المفهوم والعلاقات والأبعاد؛ الناشر: المجلة الجنائية القومية، المجلد63، العدد2، يوليو 2020؛ الرابط: https://ncj.journals.ekb.eg/article_316783_2d08880faca24e6b56398ae96f8f4abe.pdf

13. د. ياحي مريم& د. العمرية بوقرة؛ الأمن البيئي في إطار تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي؛ الناشر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية/ ألمانيا- برلين/ 2021؛ ص92؛ الرابط: https://democraticac.de/?tag=الأمن-الإنســـاني-في-ظل-التحديات-الع

- **تقارير:**

1. الأمم المتحدة؛ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ الرابط:
https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights

2. الأمم المتحدة؛ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights

3. الأمم المتحدة؛ مسؤول أممي يصف الوضع الإنساني في سوريا بـ "السفينة الغارقة" مع تحول أنظار العالم إلى أزمات أخرى؛ الناشر: أخبار الأمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2024.03.22م؛ الرابط:
https://news.un.org/ar/story/2024/03/1129471

4. تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009/ تحديات آمن الإنسان في البلدان العربية، الناشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2009؛ الرابط: https://arab-hdr.org/wp-content/uploads/2021/02/ahdr-report_2009-ar-full.pdf

5. سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ 158 منظمة سورية تدين الاستهداف التركي للمنشآت المدنية في شمال وشرق سوريا؛ الناشر: سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ تاريخ النشر: 2023.12.28م؛ الرابط:
https://stj-sy.org/ar/158/لل-التركي-الاستهداف-تدين-سورية-منظمة-

6. سوريون من أجل الحقيقة والعدالة؛ عفرين: اعتقال ما لا يقل عن 73 شخصاً بينهم 5 سيدات خلال شباط 2020؛ تاريخ النشر: 2020.03.06م؛ الرابط: https://stj-sy.org/ar/عفرين-اعتقال-ما-لا-يقل-عن-73-شخصاً-بينهم-5-س/

7. اللجنة الدولية للصليب الأحمر؛ الأمن الاقتصادي؛ الرابط:
https://www.icrc.org/ar/what-we-do/ensuring-economic-security

8. مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة؛ لجنة الأمم المتحدة للتحقيق: " في سوريا كذلك، وقف إطلاق النار مطلب عاجل"؛ الناشر: الأمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2024.03.11م؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/press-releases/2024/03/un-commission-inquiry-syria-too-desperately-needs-ceasefire

9. المرصد السوري لحقوق الإنسان؛ بتهمة التعامل مع "الإدارة الذاتية" سابقاً.. اعتقال مواطنين اثنين من قبل الاستخبارات التركية والشرطة العسكرية بريف عفرين؛ تاريخ النشر: 2024.03.28م؛ الرابط:
https://www.syriahr.com/708176/5-ساب-الذاتية-الإدارة-مع-التعامل-بتهمة/

10. منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)/ المؤتمر الإقليمي الخامس والعشرون للشرق الأدنى؛ الأمن الغذائي والتوعية بالتغذية على نطاق الأسرة؛ الناشر: منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)/ بيروت- 2000.03.24م؛ الرابط:

https://www.fao.org/3/X4212a/X4212a.htm

11. مفوّضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان؛ مداخلة السيد باولو بينهيرو رئيس لجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية في الدورة الرابعة والخمسون لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة؛ الناشر: الزمم المتحدة؛ تاريخ النشر: 2023.09.22م؛ الرابط:
https://www.ohchr.org/ar/statements/2023/09/statement-paulo-pinheiro-chair-independent-international-commission-inquiry

12. هبة زيادين؛ القصف التركي يعيث خرابا في شمال شرق سوريا/ تضرر البنية التحتية الحيوية وملايين السكان بلا خدمات أساسية؛ الناشر: Human Rights Watch؛ تاريخ النشر: 2024.02.09م؛ الرابط:
https://www.hrw.org/ar/news/2024/02/09/turkiyes-strikes-wreak-havoc-northeast-syria

- **المراجع الأجنبية.**

1. *OCHA/relief web; Situation Report #3, January 26th, 2024: Escalation of Hostilities Targeting Critical Civilian Infrastructures in Northeast Syria; 29 Jan 2024; Link:*
https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/situation-report-3-january-26th-2024-escalation-hostilities-targeting-critical-civilian-infrastructures-northeast-syria

2. *OCHA; Syria: Drought - 2021-2024; Link:*
https://reliefweb.int/disaster/dr-2021-000125-syr#:~:text=Related%20Disasters-,Disaster%20description,water%20response%20plan%20of%20September%202021.%20(ECHO%2C%2018%20Jul%202022),-Severe%20drought%20is

3. *Vanda Felbab-Brown; The Middle East Is Awash in Drugs; Foreign Affairs; 11.04.2024; Link:*
https://www.foreignaffairs.com/middle-east/middle-east-awash-drugs

4. *World Health Organization (WHO); WHO marks 13 years of the Syrian crisis with renewed commitment and support; 14 March 2024; Link: https://www.emro.who.int/syria/news/who-marks-13-years-of-the-syrian-crisis-with-renewed-commitment-and-support.html*

5. *World Health Organization (WHO); Mental health; Link:*
https://www.emro.who.int/syria/priority-areas/mental-health.html

6. *World Health Organization (WHO); WHO-supported mobile teams deliver mental health care in Syria; 14 October 2020; Link:*

https://www.emro.who.int/syria/news/who-supported-mobile-teams-deliver-mental-health-care-in-syria.html

- **قواميس وموسوعات.**

1. *بول روبنسون؛ قاموس الأمن الدولي؛ ترجمة ونشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ أبو ظبي؛ الطبعة الأولى 2009.*
2. *ويكيبيديا؛ الموسوعة الحرة.*
3. *موسوعة موضوع.*

- **تقارير إخبارية.**

1. *AANES MEDIA؛ مشروع تحليل مياه شمال وشرق سوريا ... أبرز مشاريع هيئة البيئة للعام 2024؛ تاريخ النشر: 2024.01.21م؛ الرابط: https://aanesgov.org/ar/?p=10098*

2. *عماد حسن؛ دراسة: تغيّر المناخ يزيد من انتشار مسببات الأمراض المعدية؛ الناشر: DW؛ تاريخ النشر: 2022.08.16؛ الرابط:*
https://www.dw.com/ar/دراسة-تغيّر-المناخ-يزيد-من-انتشار-مسببات-أمراض-تصيب-البشر-a-62810293

3. *محمد القاضي؛ أعزاز.. إعدام ميداني وحرق للجثث في المناطق الخاضعة لسيطرة تركي؛ الناشر: نورث برس؛ تاريخ النشر: 2024.04.25م؛ الرابط: https://npasyria.com/184878/*

4. *وكالة أنباء هاوار؛ توجيه من هيئة الزراعة والري لمكافحة حشرة السونة في إقليم شمال وشرق سوريا؛ الناشر: وكالة أنباء هاوار؛ تاريخ النشر: 2024.04.14م؛ الرابط:*
https://hawarnews.com/ar/توجيه-من-هيئة-الزراعة-والري-لمكافحة-حشرة-السونة-في-إقليم-شمال-وشرق-سوريا

5. *وكالة أنباء هاوار؛ العقد الاجتماعي الجديد للإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا؛ تاريخ النشر: 2023.12.13م؛ الرابط: https://hawarnews.com/ar/العقد-الاجتماعي-الجديد-للإدارة-الذاتية-الديمقراطية-لإقليم-شمال-وشرق-سوريا*

تنظيم داعش والايديولوجية

د: أحمد سينو

مقدّمة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ بحثًا ودراسة عن تنظيم داعش أمر بالغ الأهمية، دولياً وإقليمياً، وخاصة للإدارة الذاتية الديموقراطية في شمال وشرق سوريا، لأنّها مثّلت الهدف المباشر لتنظيم داعش، أو كما جاء على لسان قادة داعش، أنّ منطقة شرق الفرات مثّلت الهدف القريب لتطبيق أيديولوجيته عندما اشترط الزرقاوي على أسامة بن لادن قبول هذه الاستراتيجية شرطاً للمبايعة؛ بمعنى أن يكون شرق الفرات هدفًا لتنظيم داعش بالسيطرة أولاً لأنّها - ووفق منظورهم - ولاية البركة مركز الكرد والآشوريين والسريان والإيزيديين وغيرهم، ومن أولويات داعش تحريرها كهدف قريب. والهدف الآخر هو البعيد، ألا وهو محاربة الولايات المتحدة.

ونعلم جيّدا أنّ مراكز البحوث والإعلام في العالم قد تناولت موضوع داعش، وبشكل متكرّر، دون أن تضيف الكثير، ولكن بسبب الأحداث العاصفة والوحشية صار تنظيم داعش ظاهرة عالمية، وإن وجدها البعض ظاهرة محدودة، إلّا أنّها وبسبب امتدادها للفكر الجهادي المتطرّف، وكونها أحد تجلّياته السلفية التي اعتمدت العنف والقتال نهجاً، فقد خطفت الأبصار عالميا، كونها ظاهرة متحوله عن الجهادية السلفية السابقة التي مثلتها القاعدة إلى سلفية جهادية من نوع مختلف أكثر وحشية وعنفاً.

لقد تناولت كل المراكز البحثية والاستراتيجية في العالم، موضوع تنظيم داعش، وكل من زاوية اهتمامه وأجندته، ولأنّ شرق الفرات ومكوّناته من العرب والكرد والسريان والآشوريين كانوا هدفاً أيديولوجياً واستراتيجياً لدى داعش فقد أثار ذلك اهتمامنا، بل إنّ أولى اجتماعات أبو بكر البغدادي كانت في مدينة الحسكة نفسها بشكل سري وغير معلن، وكانت طبيعة عملياته والتحضير لها تقتضي ذلك، وهذا يعني أنّنا معنيون أكثر بتناول هذا الأمر بالدراسة وتبيان خطر هذا التنظيم المسمّى بـ"داعش "؛ لأنّنا هدفه المباشر وقاعدته الإيديولوجية في تنفيذ حلمه بإقامة دولته.

تعتبر حقبة احتلال العراق 2003 م من المراحل الهامة التي انتقلت وتطوّرت خلالها الإيديولوجية الجهادية، وجمعت بين مفهوم محاربة "العدو البعيد المتمثّل بالولايات المتحدة الامريكية والغرب، و"العدو القريب" الذي مثّل الكرد والشيعة وكل المكونات غير المسلمة في أرض سوريا والعراق وخاصة شمال وشرق سوريا؛ أي معظم الاراضي الواقعة شرق الفرات.

بقيت مجتمعات الشرق الأوسط متموّجة ومتقلّبة في غليان داخلي مستمرّ، وفشلت الأيديولوجية القومية المغلقة في تحقيق الاستقرار والأمن الداخلي والقائمة على الاستبداد وإلغاء الآخر، كما فشل شكل دولها في تحقيق الأمن الاقتصادي، أو كما يعود إلى طبيعة الأنظمة الحاكمة التي تستند في حكمها على الجيش والقوة العسكرية كما هو حال العراق وسوريا (مسرح أحداث داعش والتنظيمات الجهادية الأخرى، وساهمت التدخّلات الإقليمية والدولية في تحوّل هذه الفوضى العارمة إلى أزمات ضمن هذه الدول، ممّا أدّى لخلق حروب أهلية وحروب طائفية، هيّأت الظروف المناسبة لظهور داعش وشقيقاتها؛ إثر تزاوج الفكر القومي المغلق مع الفكر السلفي الجهادي المسدود المتمثّل بتنظيم داعش.

ومخاطر هذا التنظيم لم تقتصر على مكان محدّد بل اعتُبر تنظيماً عابرًا للحدود؛ أي أنّه لا توجد حدود يمكن أن يقف عندها، فشكّل تهديدًا عالميًا يضرب كلّ مكان، من خلال استغلال الفضاء الإلكتروني ووسائل الإعلام للوصول إلى شرائح واسعة في مناطق مختلفة من العالم.

على الرغم من أنّ قوات سوريا الديمقراطية مع التحالف الدولي تمكّنت من القضاء على داعش في سوريا، وقد كلّف القضاء عليه أرواح الآلاف من المقاتلين والمقاتلات من قوات قسد، ولذلك يُعتبَر منع عودة التنظيمات الجهادية والفكر المتشدّد وحماية قوات قسد واجبًا دوليًا.

إلّا أنّ هذا التنظيم قد أثبت أنّه يشكّل حالة مائية، له القدرة على أخذ شكل وحيّز المكان الذي يتواجد فيه، ولكنّه يبقى محافظًا على خصائصه، وداعش الذي يتشكّل ضمن المجتمعات ما أن تجفّ منابعه من أرض حتى يبرز في مناطق أخرى وبشكل جديد، ولذلك كان من المهم الوقوف على مستقبل تنظيم داعش ودراسة العوامل التي تساعد على تجدّده، كلّ ذلك يساهم في محاربة التطرّف والإرهاب من خلال اجتثاثه بالطرق والوسائل المناسبة.

1- الحركات الجهادية السلفية التي مهّدت لظهور داعش:

وهنا لن نوغل كثيراً في الحركات الجهادية السلفية ولا في الفكر السلفي الجهادي وتعريفه، وإنّما نشير إلى الحركات أو الجماعات المسلّحة التي مهّدت لظهور تنظيم داعش، والتي ترافقت - في غالبيتها - حول شخصية "أبو مصعب الزرقاوي" ونشاطاته وتحرّكاته المختلفة. واسمه الحقيقي أحمد فاضل خلايلة، ولقب "الزرقاوي" نسبة إلى مدينة الزرقاء الأردنية، شارك في تسعينات القرن العشرين في قتال القوات الروسية بأفغانستان بمنطقة خوش، واتّخذ لقب "أبو مصعب " بعد انضمامه إلى مجموعة التوحيد والهجرة السلفية التي يترأّسها "أبو محمد المقدسي"، وبعد جلاء القوات الروسية من أفغانستان عاد مرة ثانية إلى مسقط رأسه الأردن مؤسّساً جماعة جهادية بالتعاون مع "أبو محمد المقدسي" عرفت باسم "بيعة الإمام" وقد ظهرت شخصية "الزرقاوي" القوية من خلال المرافعات التي دافع فيها عن نفسه ومنهجه أمام المحكمة الأردنية، بعدما تم كشف أمره، ويعود "الزرقاوي" مرة أخرى إلى أفغانستان ويتمكّن من تكوين شبكة من الأنصار، مستغلّاً علاقاته القديمة مع "بن لادن وأبي قتادة الفلسطيني وأبي عبدالله المهاجر"[1]

[1] أحمد حمي، السرداب الأسود ص28 – ط قامشلو 2018م

وبعد تنفيذ القاعدة لتفجيرات 11 أيلول 2001م بقيادة "بن لادن" وتعرّض أفغانستان للغزو الأمريكي، تعرّضت قاعدة "الزرقاوي" للقصف من قبل الطائرات الأمريكية التي كانت السبب في رحيله من أفغانستان والتوجّه نحو الأراضي الإيرانية، حيث قدّم له الإيرانيون كل العون والمساعدة من سكن ودعم مادّي من قلب الدين حكمتيار.

المصالح المشتركة التي قربّت بين عناصر القاعدة السنّية وايران الشيعية هي العداء للولايات المتحدة وإسرائيل، وقد استغلت إيران هذا الجانب على أكمل وجه من خلال التمدّد فيما بعد في عدّة دول عربية، وقد شنّت الولايات المتحدة الأمريكية حملة إعلامية على ايران بعد توصّلها لمعلومات استخباراتية بوجود "الزرقاوي" ورفاقه بإيران، فكان الردّ الإيراني الاضطراري اعتقال قسم من رفاق "الزرقاوي" وطرد بعضهم الآخر وإرجاعهم إلى بلدانهم؛ وهذا الأمر أفشل معظم خطط "أبو مصعب الزرقاوي"[2] لم يهدأ "الزرقاوي"، بل ظلّ ماضياً في خططه الاستراتيجية.

التجأ "الزرقاوي" إلى مدينة السليمانية في جنوب كردستان، وتمكّن من تأسيس شبكة جهادية عالمية، وأسّس قواعد له في سوريا وجنوب العراق، واستفاد كثيراً من وجوده في أراضي كردستان نتيجة الدعم والمساعدة التي قدّمتها له جماعة أنصار الإسلام بزعامة "الملا كريكار" وبعد تعرّض العراق للاحتلال الأمريكي تحوّل هذا البلد إلى تربة خصبة وقاعدة مركزية للتنظيمات الجهادية التكفيرية.[3]

لعبت سياسة الرئيس العراقي صدام حسين دوراً محورياً في نشوء مثل هكذا تنظيمات، وذلك عن طريق زرع بذور الطائفية المذهبية والعرقية بتحويل الدولة من النموذج العلماني إلى النموذج الديني، من خلال إغلاق الملاهي الليلية ومحلّات القمار، بعد قناعته التامّة بأنّ الولايات المتحدة الأمريكية لن تتهاون معه بعد حصارها للعراق و رغبتها بإنهاء حكمه على العراق، فقام الرئيس العراقي صدام حسين بوضع شعار "الله أكبر" على العلم العراقي، و "صدام" هو نفسه من طبّق الآيات القرآنية في قتاله للشيعة والكرد، بتطبيق سورة الأنفال عليهم بعد انتفاضتهم ضدّه.

ويُساق الأمر ذاته على الرئيس التركي أردوغان عندما غزا عفرين بآية قرآنية (والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين).

لذلك نشطت التنظيمات والحركات الراديكالية بالعراق من خلال استقطاب المتطوعين والجهاديين من سوريا والدول العربية والإسلامية لقتال القوات الأمريكية، وربّما كان ذلك بإيحاء من الدولة العراقية نفسها، حتى أنّ غالبية الضباط والمنتمين لحزب البعث الحاكم ينتهجون السلوك الديني الجهادي، والذي حوّل العراق إلى تربة خصبة جاذبة للتنظيمات السلفية الجهادية، والتي جاءت من كل حدب وصوب، وولد من جوفها تنظيم (داعش) الإرهابي؛ فالبعث الحاكم الذي فقد سلطته أراد من خلال هؤلاء الجهاديين استرجاع هيبته.[4]

---

[2] حسن أبو هنية ومحمد أبو مازن، ص 40 ط عمان 2015م

3 تشارلز ليستر، تحديد معالم الدولة الإسلامية، ص 4 ط. الدوحة 2014م

4 فواز جرجس، داعش إلى أين، ص 74 ط بيروت 2016

كلّ ما سبق هيّأ الظروف المناسبة لـ"لزرقاوي" لتنفيذ ما كان يخطّط له، فبعد احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية قرّر الزرقاوي القتال ضدّها، خاصة بعد هيمنة الشيعة على العملية السياسية في العراق وتصاعد النفوذ الإيراني، معتمداً على مرجعية شيخه "أبي عبدالله المهاجر" خاصة فيما يتعلّق بمسألة وأولوية قتال العدو القريب والذي يقصد فيه المرتدّين من الأنظمة الحاكمة العربية، ومسألة تكفير الشيعة؛ فكلّ تكتيكاته المعتمدة على العنف كان قد استقاها من كتاب "فقه الدماء" لأبي عبدالله المهاجر و ضمن حاضنته الاجتماعية السنية.[5]

وفي سنة 2003 م أطلق الزرقاوي على جماعته اسم "جماعة التوحيد والجهاد" من خلال إصدار البيانات والعمل على خلط الأوراق، بإشعال الحرب الطائفية بين السنّة والشيعة بهد ف تشكيل الجيش الإسلامي، ولعلّه من أسباب تزايد أعداد المتطوّعين لدى جماعة التوحيد والجهاد أخطاء السياسة الأمريكية التي ارتكبت حول تسريح الجيش العراقي وإلغائه، وتقديم مكوّن على آخر، وتشكيل الشيعة لفرق الموت، واجتثاث البعث، وتدمير البنية التحتية المدنية والعسكرية، والتمدّد الإيراني عبر الهيمنة على القوى السنية.

ومن الملاحَظ أنّه بالرغم من الخلافات القائمة بين الزرقاوي وأسامة بن لادن حول أولوية استهداف العدو القريب المتمثّل بالشيعة والكرد، إلّا أنّ الوجود الأمريكي في العراق قد قرّب بينهما؛ فأسامة بن لادن يؤكّد على محاربة العدو البعيد المتمثّل بأمريكا والدول الأوربية الغربية، فالهدف قد أصبح واضحاً، وهذا الذي دفع بالزرقاوي أن يقدّم يمين الولاء والطاعة لـ "بن لادن" وتأسيس قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين عام 2004م.[6]

فالمقدرة القتالية والأسلوب التكتيكي الذي برع به الزرقاوي، وفقدان تنظيم القاعدة لعدد من قادته الميدانيين الكبار كـ "أبي حفص المصري" واعتقال "أبو زبيدة ورمزي بن الشيبة وخالد شيخ محمد"؛ كل هذه الأسباب كانت من العوامل التي جعلت من تنظيم القاعدة يعترف بأسلوب وطريقة "الزرقاوي" الاستراتيجية.

وفي عام 2005م في رسالة من "أيمن الظواهري" إلى "أبو مصعب الزرقاوي" يحدّد فيها أهداف تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في أربعة أهداف؛ وهي:

1- طرد القوات الأمريكية من العراق.

2- تكوين دولة إسلامية في العراق، وهو ما تحقق عام 2006م.

3- امتداد المواجهة الجهادية إلى الدول المجاورة للعراق، وهو ما حصل إبّان الأزمة السورية، وهو ما ظهر وتأكّد خلال الوثيقة التي سمّيت بـ " وثيقة القاعدة للعام 2020 "والتي بيّن فيها "الزرقاوي" نقل مرحلة الجهاد إلى مساحة أكبر.[7]

4- محاربة اسرائيل، وهذا ما لم يحصل أبداً.

---

5 فواز جرجس، المصدر نفسه، ص 76

6 حسن أبو هنية، تنظيم الدولة الإسلامية، ص 33 ط عمان 2015م

7 أحمد عبد الرحمن، داعش من الزنزانة إلى الخلافة، ص 13

وقد استمر الزرقاوي في سياسته القائمة على الشحن الطائفي، فعمل على تأسيس "فيلق عمر" عام 2005م لمحاربة الشيعة في العراق والوقوف بوجه "فيلق بدر" الشيعي، وكان طموحه إنشاء إمارة سنّية لجذب العناصر السنية المسلّحة إليها، فأعلن عن تأسيس "مجلس شورى المجاهدين" عام 2005 م، وتنازل عن القيادة لصالح "عبدالله رشيد البغدادي" وبعد ثلاثة أشهر تم قتل "أبو مصعب الزرقاوي" من قبل الطيران الحربي الأمريكي.[8]

إذاً؛ سياسة التهميش والإقصاء التي مورست في العراق قد جعلت المكوّن السني يتشدّد أكثر ويتوجّه نحو إقامة دولة بِهُويّة إسلامية من خلال "حلف المطيّبين" الذي يضمّ الحركات والمنظّمات والجماعات المنضوية تحت سقف "مجلس شورى المجاهدين" وبعض زعماء العشائر السنية، كلّ هذه العوامل قد هيّأت الظروف لظهور تنظيم (داعش).

خلّف "الزرقاوي" في إمارة التنظيم "أبو حمزة المهاجر" الذي أعلن اندماج تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين مع تنظيم (داعش) في العراق[9]، ومع الإعلان عن تنظيم (داعش) في العراق بزعامة "أبو عمر البغدادي" وفشله نتيجة سياسته ضد المدنيين أدّى إلى انعزال في الصحراء العراقية، فلجأ إلى التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين في الأسواق والجوامع؛ لذلك حدث انفصال بين قيادة التنظيم و فصائله[10]، أرسل "أبو حمزة المهاجر" رسالة إلى "بن لادن" يؤكّد فيها العهد على الولاء لأمير القاعدة "بن لادن" واعتبار تنظيم بلاد الرافدين تابعًا لتنظيم قاعدة الجهاد.[11]

2- داعش، النشوء والبدايات:

يرتبط نشوء (داعش) بالغزو الأمريكي للعراق 2003م وانتقال تنظيم القاعدة إليها، إضافة إلى التحضيرات التي قام بها "صدام حسين" الذي بدأ يستشعر الخطر الأمريكي، ولكي يتصدّى لأي احتمال قادم استعان بالمرجعية الدينية، لكي يستثمر في ذاكرة وتراث المجتمع العراقي، ولضمان التعبئة الجماهرية، إضافة إلى دور المخابرات السورية والتركية في نشوء التنظيم.[12] عندما نقول (داعش) فهي اختصار للدولة الإسلامية في العراق والشام، (وهي حركة إرهابية مسلّحة تتبنّى الفكر السلفي الجهادي التكفيري، وهي تنطلق من مبادئ الوهابية، وتهدف لتشكيل الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية في العراق وسوريا)[13]، وبدأت بالتشكّل مع إعلان (داعش) في العراق 2006م. وكان قد خلق "الزرقاوي" للبغدادي الأرضية التنظيمية للدولة[14]، واستفاد "أبو بكر البغدادي" من استقطاب "الزرقاوي" لضبّاط من الجيش العراقي، حيث كان يعاونه نائبان عراقيان؛ الأول "أبو على الانباري" الذي كان يحمل رتبة (لواء) في الجيش ويعتبر من أبناء الموصل، والثاني "أبو مسلم التركماني" الذي

8 حسن أبو هنية، المرجع السابق، ص 25
9 أبي سفيان عمرو أحمد سادات الشيخ أبي زياد محمد محمود يعقوب النوبي – المرجع السابق ص 44
10 حمزة المصطفى عبدالعزيز الحيص سيكولوجيا داعش ص 9
11 عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية الجذور التوحش المستقبل، ص 196 ط1 بيروت
12 تنظيم الدولة الإسلامية الازمة السنية ص47
13 سيد رضا - مرجع سابق - ص46، 47
14 هشام الهاشمي- مرجع سابق - ص39،36

يحمل رتبة (مقدّم) في جهاز المخابرات العراقية، وهو من الأقلّية التركمانية[15]، إنّ ضمّ داعش للعديد من ضبّاط الجيش العراقي السابق قد جعل الكثير من الأساليب الوحشية التي كان يتّبعها نظام البعث تظهر في سلوكيات رجال البغدادي[16]، كما أنّ "الزرقاوي" كان قد أسّس الهيكل التنظيمي للدولة، وحافظ "أبو عمر" على هذا الهيكل عند تولّيه الإمارة[17]، وأدّى إعلان ما تسمى بالدولة الإسلامية لظهور خلاف مع تنظيم القاعدة؛ حيث اعتبرت القاعدة جزءًا من تنظيم الدولة، وهذا ما يؤكّده زعيم تنظيم داعش "أبو عمر البغدادي" في شريط مصوَّر؛ إذ يقول: "ما القاعدة إلّا فئة من فئات (داعش)." رغم عدم رضا "بن لادن" عن إعلان ما تسمى بالدولة الإسلامية إلّا أنّه بقيت العلاقات مع دولة الخلافة ولكنها تميّزت بالفتور، وكان "جمال إبراهيم اشتيتوي المصراتي" الرجل الثالث في التنظيم قد أصدر مقالة في 2006م، وذكر أنّ سبب الخلاف هو أنّ القاعدة تتحفّظ على تسمية الدولة، ويقترح بدلًا عنها تسمية الامارة واستبدال مصطلح "أمير المؤمنين" باسم "أمير"[18] وكانت (داعش) تقود هذه الحرب الخفية حول شرعية الدولة باللجوء لتبرير قيام الدولة من حقائق مستمدّة من الكتاب والسنّة.

وعند إعلان ما تسمى بالدولة الإسلامية انحلّت الحركات الجهادية في العراق ومن ضمنها "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" والتحق زعيمها "أبو حمزة المهاجر" ب(داعش) في العراق[19]، وأعلن الولاء لها وبايعتها العديد من العشائر والقبائل في إقليم الأنبار، والعديد من السنّة في مختلف أصقاع الأرض من أتباع المنهج السلفي الجهادي[20]، ومع إرساء قواعد (داعش) في العراق، من تشكيل الوزارات والسيطرة على مساحة 80% من العراق سيطرت على محافظات "صلاح الدين وديالى والموصل" وأيضا كان لها أتباع في مختلف المناطق من "بغداد إلى لأنبار وكركوك" وغيرها من المدن. التزمت دول العالم الصمت إزاء تأسيس (داعش) ولم تبدِ أيّة ردّة فعل، باستثناء هيئة العلماء المسلمين التي اعترضت على (داعش) واعتبرتها تجزئة للعراق[21]. في 2006م كانت (داعش) قد بدأت تفقد قاعدتها الشعبية في المجتمع السنّي، نتيجة لاعتمادها الإرهاب وإثارة الخوف في النفوس لضمان الولاء[22]، كما أنّ استثمارها في كسب مشروعيتها من خلال محاربة الشيعة بدأ يفقد تأثيره، فمشروعه "الدولة" كان يستهدف المجتمع السنّي أيضا؛ فباستهدافه علماء الدين وناشطين ضد الاحتلال الأمريكي وسياسيين أو ضباطاً في الجيش العراقي، والتعرّض للجيش العراقي والأجهزة الأمنية وغيرهم ممّن يكون على قائمة القتل اليومية للتنظيم، وفرض القوانين والأحكام المتشدّدة وعلى المرأة بشكل خاص وتطبيق أحكام قاسية عليها، وأيضا استباحة دماء من يخالفهم قد جعل التنظيم يفقد ترابطه مع المجتمع السنّي.

15عبد الباري عطوان - مرجع سابق - ص78
16 فواز جرجس - مرجع سابق - ص 154
17 هشام الهاشمي - مرجع سابق - ص39
18 حسن أبو هنية، د. محمد أبو رمان - مرجع سابق - ص52
19 سيد رضا - مرجع سابق - ص50
20 هشام الهاشمي - مرجع سابق - ص24
21 سيد رضا - مرجع سابق - ص 50، 55
22 محمد أبو رمان، حسن أبو هنية - عاشقات الشهادة - ص124

إنّ لجوء البغدادي إلى اغتيال زعماء العشائر التي ترفض الخضوع له قد ساهم في تشكّل النقمة في نفوس الشعب، بتشكّل كتائب الصحوة من أبناء العشائر التي كانت مهدّدة من قبل "أبو عمر البغدادي"، تخلّت عدّة زعامات قبلية عن القتال في صف "الزرقاوي" وقاتلت مع الصحوات[23].

الصحوات تشكّلت في عام 2006م؛ إذ وضع "ديفيد بيترايوس" استراتيجية لمحاربة (داعش)، من خلال إرسال 30 ألف جندي من الأمريكيين لإعادة الانتشار، وليصل عدد الجنود الأمريكيين إلى 160الف جندي، بالإضافة إلى فصائل من العشائر السنّية تحت مسمّى "الصحوات" وبلغ عدد عناصرها 100ألف، والتي تمكّنت إلى حدّ كبير من إضعاف (داعش).

في هذه الفترة انكفأت (داعش) عن التوسّع ولجأت لاستراتيجية "الزرقاوي" بشنّ العمليات الانتحارية، وشكّلت خطرًا على المباني الحكومية، وكان أخطرها الهجمة على وزارة المالية في 2009م في أغسطس/آب[24].

وعمد "أبو عمر البغدادي" في هذه المرحلة إلى إثارة حمية الرجال للجهاد، من خلال استحضار ما تتعرّض له النساء من اعتداءات في السجون العراقية، ومنها خطاب في يوليو/تموز2009 م العز بصيانة الدين والعرض[25]، ولكن التنظيم كان قد بدا بالإحياء واستعادة مناطق نفوذ وسيطرة، وأعلن عن الوزارة الثانية للدولة، بإمارة "أبو عمر البغدادي" في سبتمبر/أيلول 2009م[26].

إثر مقتل "أبو عمر البغدادي" و"أبو حمزة المهاجر" في (19/ابريل/نيسان /2010) بعملية مشتركة للقوات الامريكية والعراقية، انتخب مجلس شورى (داعش) " أبو بكر البغدادي[27]" زعيمًا للدولة الإسلامية، وتولّى "عبد الله الحسني القرشي" وزارة وأصبح نائبًا له، استكملت أمريكا انسحابها في (13/ديسمبر /كانون الأول/2011)[28]، حافظ التنظيم على بنيته التنظيمية وكان بعد تولّي "أبو بكر البغدادي" الذي كان أكثر سرية وارتيابًا واتخذ إجراءات أمنية ومنها أنه استفاد من خطأ سلفه "البغدادي"، وكانت تكتيكاته القتالية أكثر شراسة[29]، فالقادة الجدد أكثر تشدّدا والتزاما بالسلفية الجهادية وحافظ على مؤسساته الإعلامية.

وتمكّن التنظيم من استعادة القاعدة الشعبية له، خاصة مع زيادة النفوذ الإيراني والشيعي في العراق، وانتشار الفساد والبيروقراطية في مؤسسات الدولة العراقية[30]

---

23 عالم داعش - س44 ، 45 ، 43

24 حسن أبو هنية ، محمد أبو رمانة مرجع سابق ص 48، 55

25 عبد الباري عطوان مرجع سابق ص 124

26 حسن أبو هنية ، د.محمد أبو رمان مرجع سابق ص55

27 أبو بكر البغدادي: وهو إبراهيم عواد البدري السامرائي، ولد في سامرء1971، تخرّج من الجامعة الإسلامية، وحصل على الإجازة والماجستير والدكتوراة من نفس الجامعة، نشأ في أسرة تتبنّى السلفية الجهادية، كان البغدادي قد شكّل جيشًا يُعرَف بـ"أهل السنّة" وانضم مع مجموعته للمجلس الاستشاري للمجاهدين وبقي فيه إلى أن إعلان الدولة الإسلامية في العراق، ارتبط بروابط جيّدة مع "أبو بكر البغدادي". للتوسّع أكثر يمكن مراجعة "كتاب سيد رضا داعش النشاة الأهداف"

28 سيد رضا ، مرجع سابق ص48

29 حسن أبو هنية، د. محمد أبو رمانة، مرجع سابق ص 55

30 عبد الباري عطوان، مرجع سابق ص 82

ويُضاف لهذه الاسباب تدنّي مستوى الدخل والتدهور الاقتصادي في بلد متخم بالثروات الباطنية، وتهميش السنّة، وانتشار البطالة بين الشباب[31]، وتخلّي الحكومة العراقية عن معظم المقاتلين في الصحوات والذين هم من السنّة وتدرّبوا على يد القوات الامريكية، وشاركوا في المعارك ضد (داعش)، وعدم استيعابهم في وظائف، كلّ ذلك خلق نوعًا من النقمة، مضافًا لذلك الذخيرة الثقافية المتمثّلة بالنقمة على الشيعة والتي عمّقها موقف الحكومة العراقية الرافضة لضمهم لصفوفها[32]، وبلغ التدهور في العلاقة بين حكومة العراق التي تحمل الطابع الشيعي، والمجتمع السنّي ذروته في أعوام (2013م - 2014م) واعتبرت المساجد واللجوء إلى الذخيرة الإسلامية للبحث عن الخلاص وإيجاد حلّ للأزمات التي تعصف بالشباب، وفي 2013م كان العنف الطائفي قد عصف بالعراق، و(داعش) استعادت مكانتها بين صفوف سنّة العراق، واجتذبت المقاتلين[33].

وكان الوضع السوري الذي بدأ بالتأزّم مع اندلاع ثورات ما يسمى بـ"الربيع العربي" التي تحوّلت لاحقًا لربيع المنظمات الإرهابية الجهادية السلفية وفي مقدّمتها تنظيم (داعش) في العراق، والذي سارع بالدخول إلى الساحة السورية باسم (نصرة أهل السنّة)[34]، لأنّ الظواهري ألقى كلمة (عز الشرق أوله دمشق) وتتضمّن الكلمة دعوة للجهاد في سوريا، فمبدأ "القاعدة" الذي يقوم على الانتشار في الأراضي التي تشهد فوضى وضعفًا في القبضة الأمنية مما يهيئ البيئة المناسبة لانتشار فكرها المتشدّد، سارع رجال القاعدة للتوجّه إلى سوريا؛ فكان لـ"أبو محمد الجولاني" الذي كان في العراق أن يطرح على "أبو بكر البغدادي" خطّة للجهاد في سوريا، أعلن "أبو بكر البغدادي" تشكيل جبهة النصرة، ومن ثم أعلن "أبو محمد الجولاني" زعيمًا للتنظيم[35] وفي الحالة السورية لابدّ لنا من ذكر دور الدولة السورية ومخابراتها في إنشاء "القاعدة" في العراق؛ فعند وقوع الغزو الأمريكي كانت سوريا نقطة عبور رئيسية للمقاتلين الجهاديين للعراق، واعتمدت على عناصر من السلفيين لتجنيد وإرسال الشباب للعراق، وذلك لكي تتخلّص من السلفيين على أرضها، وأيضا لخلق ضغط على القوات الأمريكية؛ فلا تعود لمحاولة إسقاط أنظمة دكتاتورية أخرى.

مع بداية الثورة السورية حاول النظام تسخير السلفية لخلق عدوّ مرفوض دوليًا لمحاربته، كما أنّ ممارسات النظام وإصداره عند بداية الأزمة في 31أيار 2011 م عفوًا عن سجناء صيدنايا من الإسلاميين المتشدّدين الذين انخرطوا في المعارضة المسلّحة، وبرز ضمنهم ثلاث شخصيات تولّت قيادة فصائل إسلامية مسلحة، وهم "زهران علوش" مؤسس لواء الإسلام، و"حسان عبّود" (أبو عبد الله الحموي) قائد حركة أحرار الشام، و"عيسى الشيخ" قائد لواء الصقور[36].

مع بداية الأزمة السورية عمدت تركيا إلى جمع التكفيرين من جميع بقاع الأرض وتدريبهم تحت إشراف القوات العسكرية والأمنية التركية وإرسالهم إلى سوريا للإطاحة بالنظام السوري، وأيضا لكي

31 محمد أبو رمانة وحسن أبو هنية، عاشقات الشهادة ص55
32 عبد الباري عطوان، المرجع السابق ص82
33 عبد الباري عطوان، المرجع نفسه ص 88
34 سيد رضا، المرجع السابق، ص48
35 أبي سفيان عمرو ومجموعة مؤلفين، مرجع سابق ص46
36 حسن أبو هنية ، د. محمد أبو رمان الدولة السنية ص 75، 78 77

تحارب بهم الكرد[37]. فقد نجح تنظيم القاعدة في إنشاء ثلاثة معسكرات لتدريب المقاتلين الجهاديين في تركيا، وتقع في مناطق مختلفة؛ فأحدها يقع في مدينة "كرمان" قرب إسطنبول، والثاني يقع في "أوزمانيا" التي تقع قرب القاعدة الأمريكية المشتركة في عدنان، والثالث في "سان ليلورفا" في أورفا في جنوب غرب تركيا[38].

كما كان للولايات المتحدة دور في تدعيم داعش؛ حيث حاولت إعداد جماعات ممّا كان يُدعى المعارضة المعتدلة من أجل محاربة داعش، وخصّصت إدارة أوباما 500 مليون دولار لتدريب الجنود من المعارضة السورية التي اعتبرتها الولايات المتحدة غير متطرّفة، ولكنّ أعداداً كبيرة من أولئك المقاتلين انشقّوا والتحقوا ب(داعش)، خاصة أنّ المشروع الذي كان قد طرح نفسه بديلا عن النظام كان قد بدأ بالتآكل في ظل الفساد وعدم وجود ولاء وطني[39].

تمكّنت داعش من نشر خلاياها في المجتمع السوري وخاصة بين السنّة؛ لأنّ الاستثمار الطائفي اعتبر ورقة رابحة، وخاصة في ظل الوحشية التي تعامَل بها النظام مع الثورة السورية، وإعلامه الذي حاول إعطاء طابع طائفي للصراع، ويُعتبَر الوضع الاقتصادي وانخفاض أو انعدام مستوى الدخل من عوامل توفّر آلاف الشباب العاطلين عن العمل، والذين هم في القرى وعلى أطراف المدن، حيث العشوائيات التي تحمل مشكلات عقود من إهمال الدولة، ولديهم استعداد أيديولوجي لتقبّل الفكر السلفي الجهادي، وكل كل ذلك قد ساعد التنظيم.

خلال سنتين من الانتشار وتشكيل خلايا نائمة، وظل العمل السري في سوريا عامًا كاملًا، ففي تسجيل صوتي في أيار مايو 2014 يذكر الظواهري أنّه قد تم الاندماج في المجتمع السوري، الأمر الذي ساعد على انتشار "النصرة" وبناء تحالفات مع فصائل إسلامية، لتجنّب لفت انتباه أمريكا لوجود "القاعدة"، وعند إعلان "النصرة" انضم إليها عدد من الفصائل، منهم عناصر من فيلق "التوحيد" في حلب و"لواء داوود" في القلمون وإدلب، وكان عدد منهم معتقلًا لدى النظام وأفرج عنهم في 2012م. ومنهم "عواد المخلاف" الذي أصبح أميرًا على الرقة، و"أبو أثير العبسي" عضو في مجلس شورى داعش ورئيس اللجنة الإعلامية[40].

وفي 2012م. كانت الكتائب الاسلامية تسيطر على المشهد السوري، وكان لتنظيم "القاعدة" أيضًا مكان على ساحة المنظّمات الجهادية السورية، وكان قد أسّس فرعًا له في سوريا وهو "جبهة النصرة" الذي كان قد تأسّس بأمر من "البغدادي" ولكنّه يحمل الانتماء والولاء للقاعدة. وتمكّنت "جبهة النصرة" من الاندماج في المجتمع، كما تمكّنت من جذب المنظّرين الجهاديين العالميين، وأيضًا توجّه إليها مقاتلون جهاديون أجانب، كما تشكّلت لها شبكة تمويلية، وفي ديسمبر 11/ كانون الأول 2012 أدرجت الولايات المتحدة "النصرة" على قائمة الإرهاب[41].

37 سيد رضا سيد رضا ص 198

38 سونر جاغابتاي، تركيا وداعش مصالح متبادلة واستدعاء موحد لتاريخ الخلافة، جريدة العرب، العدد 10696 - 2017م

39 عبد الباري عطوان، مرجع سابق، ص 30،30

40 د. فواز جرجس مرجع سابق ص 161،162

41 حسن أبو هنية ، د. محمد أبو رمان الازمة السنية ص 81،82

في نيسان /أبريل 2013 وفي إحدى التسجيلات الصوتية التي عرضتها قناة "شموخ الإسلام" أعلن "البغدادي" (داعش) في العراق والشام، وأعلن ضمن هذا التسجيل انضمام جبهة النصرة على الرغم من أنّ جبهة النصرة كانت قد رفضت البيعة[42]، وعند إعلان دولة الخلافة رفض الجولاني الدمج فقال في بيان: (أنا الجولاني لا أقبل الدمج، ولم أبايع أبا بكر البغدادي، وأنّني أبايع أيمن الظواهري)

الظواهري أصدر بيانًا قال فيه: (هذا الدمج غير صحيح ويجب أن يرجع "البغدادي" إلى العراق، و"الجولاني" إلى الشام)

عند إعلان ما تسمى بالدولة الإسلامية في العراق استاء تنظيم القاعدة، وكان هناك نوع من الخلاف الخفي ولكنه لم يظهر للعلن، ولكن مع إعلان داعش كان التغيير هو الخلاف الذي كان أكثر حدية ودخل في مرحلة سفك الدماء والاقتتال مع النصرة التي رفضت البيعة واستمر الخلاف، وخلال عامين سيطر داعش على مساحات واسعة في سوريا وخاصة في شمال وشرق سوريا[43]، فرض التنظيم سيطرته على مناطق واسعة من سوريا وسيطر على مدينة الرقة في 14يناير/كانون الثاني ر2014وتمدّد وفرض سيطرته على مساحة كبيرة من العراق، ومنها الموصل في 10يونيو/حزيران 2014 وتلاها في 29يونيو حزيران 2014 إعلان دولة الخلافة وتعيين "أبو بكر البغدادي" خليفة للمؤمنين[44].

3-الهيكل التنظيمي والإداري لدى داعش:

يتفوّق تنظيم (داعش) على غيره من التنظيمات الجهادية على مستوى الهرم التنظيمي، من ناحية الفعالية الإدارية يعتمد على النواحي التنظيمية التي تعود إلى مؤسسة الخلافة الإسلامية التقليدية، من خلال مناظرات الفقه الإسلامي السلطاني الذي يعمل بمبدأ الغلبة والقوة والإمارة، بالتوازي مع الأشكال التنظيمية الحديثة لمفهوم الدولة المعتمد على القوة العسكرية والمخابراتية، والتوجّه الأيديولوجي البيروقراطي، فبعد سيطرة التنظيم على مدينة الموصل ازداد عدد عناصره أضعافًا مضاعفة، فكان لا بدّ من تقسيم وتوزيع المهام والوظائف، ويأتي الخليفة على رأس الهرم في هذا النظام.

1 – الخليفة: من شروط الخلافة - حسب النهج الإسلامي- يجب أن يكون الخليفة متبحّراً في العلم الشرعي، ويكون نسبه قريشياً، وسليم الحواس، وله حقّ الطاعة والولاء بعد اختياره من قبل مجلس الشورى وأهل الحلّ والعقد التي تكون قراراتها غير ملزمة، كون "الزرقاوي" قد رسّخ مبدأ البيعة والطاعة، واحتفظ بصلاحيات واسعة له حق إعلان الحرب، فتنظيمه عسكري شديد السرية من الناحية الأمنية[45].

2 – مجلس الشورى: مهمّته وضع السياسات العامة للدولة، ويتّخذ القرارات في الظروف الصعبة، عدد أعضائه 9 إلى 11 عضوًا، يختارهم "البغدادي" بتزكية من الأمراء والولاة، يقدّم الرأي والمشورة "للبغدادي" في قرار الحرب والسلم حسب التراث السياسي الإسلامي، لكن قراراته غير

42 سيد رضا مرجع سابق ص48
43 سيد رضا مرجع سابق ص 46
44 عاشقات الشهادة مرجع سابق ص128
45 حسن أبو هنية، تنظيم الدولة، ص 31 ، 32 مركز الجزيرة، ط. عمان 2014م

ملزمة لأنّ الشورى تنحصر بالأمور التنظيمية التي لم يرد لها نصّ في القرآن والسنّة، يتمتّع المجلس الشرعي داخل مجلس الشورى بوضع خاص بسبب طبيعة التنظيم الدينية، ويكون برئاسة "البغدادي" ويتكوّن من ستّة أعضاء، ومهمته مراقبة التزام بقية المجالس بالضوابط الشرعية، وترشيح خليفة جديد في حال وفاة الخليفة[46].

3 – أهل الحلّ والعقد: ويتكوّن من الأعضاء والأمراء والعلماء والقادة ووجوه الناس، ويجب أن يكونوا أصحاب رأي وأمانة وحكمة وتدبير المصالح، ويتمتعوا بالعدالة وهؤلاء يسمّون بـ"أهل الشورى".

4 – الهيئة الشرعية: تُعتبَر من أهمّ عواميد تنظيم الدولة بسبب طبيعته الدينية، وأول من تولّى هذا المنصب هو "أبو أنس الشامي"، ومهمة الهيئة إصدار الكتب والرسائل ومراجعة خطابات البغدادي والبيانات وتحليل الأفلام والأناشيد والمواد الاعلامية للتنظيم، ومهمة الهيئة تنقسم إلى قسمين؛ الأولى: تهتم بتنظيم القضاء والمحاكم الشرعية، والقيام بوظيفة الحسبة وإقامة الحدود. بينما الثانية: وظيفتها الإرشاد والتجنيد ومتابعة الإعلام، ويتكوّن أكثريتهم من العرب والأجانب وبالذات المكوّن العربي الخليجي[47].

5 – الهيئة الإعلامية: من المعروف أنّ تنظيم داعش من أكثر التنظيمات التي استغلّت الآلة الإعلامية بكلّ حرفية ومهارة، فمن خلال وسائل التواصل تمكّن التنظيم من نشر ايديولوجيته السلفية الجهادية التي سهّلت له تجنيد العناصر، ويعتبَر الجهاد الإلكتروني من أهم الركائز التي اعتمد عليها، وكان يعتمد على العديد من المؤسّسات مثل "الفرقان والاعتصام وأعماق والبتّار ودابق" الإعلامية، و"الخلافة وأجناد والغرباء" للإنتاج الإعلامي، و"الإسراء" للإنتاج، و"الصقيل والوفاء ونسائم" للإنتاج الصوتي[48].

وكان لكل ولاية وكالة كوكالة "أنباء البركة والخير"، والتنظيم أصدر مجلات مثل "دابق والشامخة"، وإذاعات مثل "البيان" في الموصل وأخرى في الرقة، وهناك من كان يقوم بعملية الترجمة باللغة الروسية والانكليزية وإصدار بيانات بهذه اللغات، وهناك من كانت مهمته اختراق المواقع والمنتديات الإلكترونية[49].

6 – بيت المال: اعتمد التنظيم على مصادر متنوّعة في تمويل مشروع دولته، من خلال شبكة من الناشطين والتبرّعات والهبات والزكاة والفدية مقابل إطلاق سراح المخطوفين من الأجانب والمكوّنات الأخرى وخاصة من الكرد، سواءٌ المسلمون منهم أو الإيزيديون من أبناء الجزيرة وشنكال ومن السريان والأشوريين[50] ومن الثروات النفطية في العراق والحسكة وديرالزور، ومن عمليات فرض

46 عبدالحليم موسى، الأساليب الإقناعية، ص 16 مجلة امارابك عدد 4ط. 2018م
47 أحمد كامل رأوي، الدولة الاسلامية راية سوداء، ص 6 مركز حرمون اسطنبول 2017م
48 عبدالباري، الدولة الاسلامية الجذور التوحش، ص 197 ، 200 ط بيروت 2015 م
49 أحمد عبدالمجيد، الاساليب الإقناعية لتنظيم داعش، ص 93مجلة الباحث الاعلامي العدد31
50 أحمد عبدالمجيد، الاساليب الإقناعية لتنظيم داعش ص 90 مجلة الباحث الاعلامي عدد31

الضرائب على التجّار والمزارعين والصناعيين والأموال الحكومية، وكان "البغدادي" يشرف بنفسه على إدارة بيت المال[51].

7 – المجلس العسكري: تنظيم داعش تنظيم عسكري هدفه التمدّد والتوسّع والسيطرة على الأراضي عن طريق العنف والقوة، والمجلس العسكري غير متعلّق بعدد محدّد من الأعضاء، فعدد الأعضاء متعلّق بقوة التنظيم وتوسّعه وضعفه ونفوذه، فعدد الأعضاء من 9 إلى 13 عضواً، وقائد المجلس هو نائب "الزرقاوي" و"الزرقاوي" يحتفظ بالمنصبَين، والمجلس يتألّف من قادة القواطع، وكلّ قاطع يتكوّن من ثلاث كتائب، ويتراوح عدد عناصر الكتيبة الواحدة بين 300 و 350 مقاتلاً، والكتيبة تنقسم إلى سرايا، وكل سرية تضم 50 - 60 مقاتلاً، والمجلس يضمّ هيئة أركان وقوات اقتحام واستشهاديين وقوات الدعم اللوجستي والقنص والتفخيخ، ومن قياداته "أبو عمر الشيشاني"[52].

8 – المجلس الأمني: ويضم عناصر الأمن والاستخبارات وعناصر الأمن الشخصي لـ"لزرقاوي" وتأمين أماكن إقامته ومواعيد تنقّلاته، ومراقبة الولاة وعمل الأمراء الأمنيين في الولايات والقواطع والمدن، والإشراف على تنفيذ أحكام القضاء واختراق التنظيمات المعادية، والإشراف على الوحدات الخاصة من انغماسين بالتنسيق مع المجلس العسكري[53].

9 – القسم الإداري: المناطق التي تتم السيطرة عليها من قبل التنظيم يتم تقسيمها إلى ولايات كما كانت معروفة في حقبة الخلافة الإسلامية، ويترأّسها مجموعة من الأمراء، ويصل عدد الولايات التي تقع ضمن هيمنة التنظيم إلى 16 ولاية، نصفها في العراق والنصف الأخر في سوريا[54]، وأحياناً الولاية تقسم إلى قواطع وتضم المدن، فمثلاً "ولاية حلب" انقسمت إلى قاطعَين، هما قاطع "منبج" وتتبع لها منبج وجرابلس ومسكنة، وقاطع "الباب" ويتبع لها الباب ودير حافر، والسلطة فيها يمثّلها الوالي الذي يساعده مجموعة من المسؤولين يحملون صفة أمير وأمير عسكري وشرعي أمني[55].

نلاحظ أنّ التنظيم في البداية كان كما التنظيمات الجهادية الأخرى، هيكليته من الداخل بسيطة، ودخل في طور التكوين والتقدّم بعد تأسيس "جماعة التوحيد والجهاد" وبعدها تشكيل الوزارات، وتقسيم الدولة إلى ولايات، وتعيين ولاة ومساعدين له في كل ولاية، والاعتماد على القيادات المحلية من الناحية العسكرية والأمنية والاقتصادية، وتمتّع بمقدرة فائقة في توزيع المهام والأدوار بين العنصر المحلي والأجنبي. وبذلك نستطيع القول أنّ تنظيم داعش طوّر نفسه من الصيغة الهرمية إلى تنظيم أفقي واسع بقيادات ميدانية تتمتّع بالاستقلال الداخلي والقدرة على الحركة في كل مكان، كما أوروبا وخاصة في سوريا والعراق.

4-أساليب داعش في كسب المقاتلين:

51 نجلاء مكاوي وهيثم سمير، تنظيم الدولة... بنية الخطاب، ص 45 ، 47 مركز صناعة الفكر 2016م
52 تشارلز ليستر تحديد معالم الدولة ص 16 ط . معهد بروكنجز الدوحة 2014م
53 نجلاء مكاوي هيثم سمير المرجع السابق ص 41 مركز صناعة الفكر 2016 م
54 هأواردجيه شاتز الدولة الاسلامية التي عرفناها ص 2 10، مؤسسة راند 2016 م
55 نجلاء مكاوي هيثم سمير المصدر نفسه ص 42 ، 43

منذ بروز تنظيم (داعش) على مسرح الأحداث في الساحة العراقية والسورية عمل بكلّ إمكاناته على كسب البيئة الداخلية والخارجية، من خلال استخدام أسلوب الترويج وسياسة التدرّج، بالاعتماد على منابر رسمية كالمؤسسات الإعلامية مثل "الاعتصام والفرقان والحياة"، ومنابر رديفة مثل مؤسسة "البتّار" ومجلة "دابق والشامخة والغرباء للإعلام وعبوة لاصقة وترجمان" ومهارته بتقنيات إخراج اللون والرموز[56].

فالسياسة الإعلامية التي انتهجها التنظيم جعلت القيادة تعمل على التخلّي عن الأهداف الحقيقية التي كانت تنادي بها للجهاد كالعدالة الاجتماعية ونصرة المظلوم، واستبدلتها بجهاد ملوّث هجين تجمع بين الحق والباطل، مستغلّة شعارات الشريعة ونصرة المسلمين لخداع أنصارها بهذه الشعارات البرّاقة المعتمدة على الفتاوي الدينية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكل هذا التضليل سيكون له جوانب ارتدادية سلبية على الشعوب الإسلامية بعد معرفة الأنصار والمتعاطفين لحقيقة دولة الخلافة المزعومة.

فالقنوات الدعائية حقّقت نجاحات كبيرة ومتقدّمة كآلة تابعة لداعش في غسل الأدمغة وصناعة المتطرّفين، من خلال بثّ الرعب في النفوس من جهة، وكسب الشباب والأطفال والنساء من جهة أخرى، فالمنضمّون الجدد للتنظيم كانوا يخضعون للتدريب النفسي قبل التدريب العسكري من قبل الخبراء والمتخصّصين لنزع أي حس وعاطفة إنسانية من قلوبهم وعقولهم، واستبداله بالتعطّش لقطع الرقاب وهدر الدماء البريئة، فيتحوّلون إلى ضباع متوحّشة[57].

فالتنظيم وبطريقة مقصودة يصوّر الاسلام المعتدل الممارَس في البلدان الإسلامية على أنّها ممارَسات موضوعة تم ابتداعها منذ عشرات السنيين، بينما يدّعي التنظيم أنّ الممارَسات الوحشية كقطع الرؤوس وعمليات الصلب والاعدام ما هي إلّا عودة إلى جذور الإسلام والتطبيق الصارم للشريعة، فهذه السياسة طبّقها الأمويون والعباسيون ضد معارضيهم؛ فـ"الحجّاج" صلب "عبدالله بن الزبير" وكذلك عمليات القتل التي نفّذها الامويون بحق الشيعة، وفيما بعد أعمال القتل التي نفّذها العباسيون ضد بني أمية.

فتنظيم الدولة كان يعتمد في عمليات التجنيد على الشباب الذين يتمتّعون بسجلّات نظيفة ومن أعمار مختلفة لكلا الجنسين، بينما تنظيم القاعدة كان يركّز في تجنيده على عناصر إرهابية سبق لها أن اشتركت في القتال في مناطق النزاع[58].

فمنذ عام 2015م تمكّن التنظيم من تجنيد 20 ألف مقاتل في سوريا، ويعود ذلك إلى المهارة الدعائية التي يتمتّع بها أعضاؤه من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، ممّا مهّد له توسيع نطاقها من الداخل وتحوّله إلى عنصر جذب عالمي؛ فـ 80 % من عناصره تم تجنيدهم عبر وسائل

56 أحمد عبدالمجيد الأساليب الإقناعية ص 43، 88 ،95 مجلة الباحث الإعلامي العدد31
57 مجلة اماراباك الدولية للعلوم ص 21 22 27 المجلد الأول العدد 4 ط. 2018م
58 صالح الرقيب الدولة الاسلامية داعش ص 50 ،52 ط. غزة 2015 م

التواصل، فلديه 90 ألف صفحة باللغة العربية و40 ألف صفحة بلغات أخرى، من خلال ابتزاز الشباب عاطفياً ومادياً[59].

فالمناطق التي كانت تقع تحت سيطرة التنظيم يستخدم فيها أساليب متنوّعة للسيطرة على الشباب والنساء، من خلال استغلال مناطق الصراع الطائفي لتجنيد هؤلاء الشباب، والذين يعتبرون أنفسهم مضطهدين ومقهورين ومحرومين من الخدمات خاصة أبناء القرى والمدن، الذين يتصوّرون بأنّ التنظيم هو المخلّص والموطن الأنسب للثأر والانتقام، والتنظيم كان يجنّد من كل عائلة شابًّا، أمّل مَن كان يرفض يتعرّض لعقوبة قاسية وهي الإعدام، وكان داعش يمنح مقاتليه راتباً شهرياً يُقدَّر بـ 500 دولار للمقاتل المحلّي، بينما المقاتل الأجنبي كان يتقاضى 800 دولار، وقد وصل عدد هؤلاء الأجانب إلى 27 ألف مقاتل قادمين من 86 دولة، نصفهم من دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويعود سبب قدومهم إلى إحياء التنظيم فكرة الخلافة الجاذبة لهم، ويعود الفضل لوسائل التواصل[60].

والتنظيم يتبع سياسة ربط الخلافة كدولة له بالخلافة الأولى وحقبة نشر الرسالة الإسلامية، من خلال إطلاق تسميات إسلامية تاريخية على كتائبه وأفواجه لجذب الشباب إلى صفوفه؛ مثل كتيبة "دابق"، (كونها تمثّل البلدة التي شهدت معارك طاحنة بين المسلمين والروم، وتنبّأ الرسول فيها بهزيمة الإمبراطورية الرومانية وانهيارها)، و"جيش الخلافة والعسرة وكتائب عائشة بنت أبي بكر"... الخ، واعتمد التنظيم على خطباء المساجد وأساتذة الجامعات والمعاهد الإسلامية والعلمية في حملته الدعائية في الشحن العاطفي والديني وإصدار الفتاوي وتبرير أعماله من خلال استغلال الآيات القرآنية بالدعوة للجهاد وتكفير المعارضين لنهجهم وخاصة الكرد؛ فهؤلاء وعبر منابرهم وإعلامهم المسموم لعبوا دورًا بارزًا في تشويه الصورة الدينية والوجودية للكردي على أرضه التاريخية، وهؤلاء المعمّمين الذين يغطّون أعمالهم بعباءة الدين هم أنفسهم كانوا لسان حال الحكومات البعثية والأتاتوركية التي مارست ولاتزال تمارس سياسة الاضطهاد العنصري والتمييز القومي[61]

حتى الأطفال الذين لا يعرفون الكذب والخداع والحقد ويعتبرون زينة الحياة الدنيا، كما وصفهم الله في القرآن الكريم، لم ينجوا من براثن تنظيم داعش، وأطلق عليهم أشبال الخلافة، وهم من أبناء المقاتلين في التنظيم أو يعيشون في دور للأيتام أوتم أخذهم من عوائلهم قهراً وغصباً، كما فعلوها مع عوائل الكرد الإيزيديين، وكان يزجّ بهؤلاء الأطفال في برامج تدريبية ونفسية وميدانية ويشجّعهم على حضور إعدامات قطع الرؤوس والرمي بالرصاص الحي ويقوم بإحاطتهم بأعلام التنظيم السوداء التي تعبّر عن حقده الأسود، وهناك عوامل مشتركة بين داعش و"نمور التاميل" السريلانكية؛ فـ"التاميل" يعتمدون على أسلوب الدعاية لجذب الطلاب وتجنيدهم، بينما داعش يزرع داخل الأطفال روح المنافسة ليكونوا مؤهّلين للتدريب العسكري ضمن تنظيمات فرعية يطلق عليها اسم "نادي الأشبال"[62].

ومن الإغراءات التي جذبت فئة الشباب للانضمام للتنظيم هو الزواج أو ما عُرف بـ"جهاد النكاح" من السبايا والمعتقلات قسراً، وخلق التنظيم لنفسه صورة رومانسية على الشبكة العنكبوتية لتجنيد

59 هيثم سمير تنظيم الدولة بنية الخطاب ص 29 ، 94 مركز صناعة الفكر 2016 م
60 تشارلز ليستر تحديد معالم الدولة الاسلامية ص 14 مركز بروكنجز الدوحة 2014 م
61 أحمد عبدالمجيد المرجع السابق ص 92 مجلة الباحث الاعلامي العدد 31
62 عبدالباري عطوان الدولة الاسلامية جذور التوحش ص 198 ط س 2015م

الفتيات القاصرات والنساء، فالتنظيم كسب الرأي العام واستمال الأنصار، وسيطر على مناطق شاسعة، واستقطب الخبراء والتقنيين والمنتديات الإلكترونية والمجلات والمراكز السمعية والبصرية، وأسلوب التضليل ورفع الشعارات البرّاقة، واستخدام تغريدة الهاشتاغ الأكثر رواجاً على بثّ دعاياته، ويقدّر مراقبون عدد حساباته على تويتر بـ 12 ألف حساب، واستخدام الأشرطة الوثائقية التي تبيّن أسلوب إدارته للحياة في المناطق التي يسيطر عليها للإيحاء بأنّ الامن مستتب وبأن السكان راضون عن هذه الإدارة[63] كل تلك الأمور ساهمت في نجاح التنظيم وتجنيده لخلاياه المتعدّدة .

ب-أيديولوجية داعش:

1-أهم المرتكزات الفكرية لدى داعش:

إنّ الأفكار والقيم والثقافة لا تتكوّن من فراغ، بل هي نتاج لقيم وأفكار مغروسة في البنى الاجتماعية، وكلّ الأفكار تتكوّن من ظروف واقعية، والفكر هو تعبير عن واقع ارتبط بخبرات حسية مُعاشة، والأفكار تتوالد من المخزون الثقافي للمجتمعات، سواء كانت سلبية أم إيجابية، والفكر الإسلامي له نظمه الخاصة الناتجة عن ظروف تاريخية، وتختلف تفسيرات النصوص الدينية من اعتدال أو تشدّد والخروج ممّا هو متعارف من سلوك عبادي أو فكري، وداعش الذي يتبنّى الفكر السلفي الجهادي يقوم على العنف، ويفسر الدين بدون أن يرجع للاختلاف في الظروف المكانية أو الزمانية[64]، (وينطلق داعش من أسس فكرية تؤسّس القاعدة لممارساته الوحشية، وهناك من فسّر داعش بأنّه مزيج من التنظيم السلفي الجهادي العنيف والسري، والبعثية العراقية المهزومة، والواجهة السُنّية مشتّتة الكيان)[65]

وفيما يلي سيتم عرض المرتكزات الأيدلوجية لداعش:

المرتكزات الفكرية:

يقوم تنظيم داعش على الأيدلوجية، والتيارات السلفية على الجذور الأيدلوجية نفسها، ومن أهم هذه المرتكزات الفكرية:

الحاكمية:

داعش يستمد مفهوم الحاكمية من الحركات السلفية الجهادية التي سبقته، واستخدمت تراث الأمّة الإسلامية وثقافتها للتخلّص من الاستعمار[66]، فالحاكمية تقوم على (تحكيم الشريعة الإسلامية وتطبيقها تطبيقًا مُحكمًا مثلما كان عليه الحال في دولة المدينة)[67].

وتقوم الحاكمية على أسس ملكية الله المطلقة للكون، والعبودية المطلقة لله، ويجب عدم الخضوع لأي أمر ليس لله، وأنّ الله استخلف الإنسان، وهذا الاستخلاف يتطلّب وجود منهج وشريعة وضوابط

63 صلاح حيدوري تنظيم الدولة رؤية من الداخل ص 59 ط س بيروت 2017م
64 د. معتز الخطيب العنف المستباح ص 8،9 ط1 القاهرة 2017م
65 معتز الخطيب المرجع سابق ص195
66 هشام أحمد جعفر الابعاد السياسية لمفهوم الحاكمية ص 29 ط مصر 1995م
67 عبد الباري عطوان المرجع سابق ص19

من حكم الله، ولا يجوز للمستخلف أن يعارض الخليفة ووجود يوم للحساب يتم ضمنه تحديد الثواب والعقاب، ومن هنا كان رفض كلّ الانظمة الحديثة للدولة، واعتبار نظام الحكم الذي يستوجب أن يكون على الأرض هو الخلافة[68].

وهو من أبرز المفاهيم التي تقوم عليها أيدلوجية داعش، وهي تقوم على عدم قبول الأحكام التي لا ترتبط بالكتاب والسُّنّة، وتعتبر الحكام الذين يحكمون بناء على قوانين وضعية كفّارَا، ويرتبط هذا المفهوم بـ"سيد قطب" وقبله "المودودي"[69]، و ضمن هذا المفهوم يرى أنّ العبودية لله هي ركن أساسي للإسلام من خلال شهادة لا إله إلّا الله، ويرى "قطب" أنّ شهادة التوحيد تدلّ لغويا على لا حاكمية إلّا لله، ولا شريعة إلّا لله، ولا سلطان لأحد على أحد، لأنّ السلطان كلّه لله[70]

ويتم الانطلاق من الحاكمية إلى تكفير واسع يشمل كلّ الحكّام وكلّ مَن يرضى بحكمهم، وتكفير مَن لا يكفّرهم؛ وبالتالي تصبح دار الاسلام كلّها دار ردّة ويجب الحرب بها، وهنا تكون الاستعانة بفريضة الجهاد لتبرير ما يقومون به من قتل[71] ولتسويغ القتل يلجؤون "للاستباحة" وهدر دماء ومال مَن اعتبروهم كفارا، وبنظر "أبو ناجي" إنّ العنف ضروري لقتال أهل الصليب وأعوانهم من المرتدّين وجندهم، (فلا مانع من إراقة دمائهم، بل نراه أوجب الواجبات[72]. وترى كتابات داعش أنّ قتال المرتدّين عن الإسلام مقدّم على قتال الكفّار، ويعتبر كل مَن يخالف داعش وشرائعه من الكفار[73]

الولاء والبراء:

هناك من اعتبر أنّ أول من استخدم مفهوم "الولاء والبراء" هم الخوارج، وذلك بإظهار الولاء لأعضاء الجماعة وتبرؤوا من الغرباء عنهم[74] يعتبر ابن حنبل مفهوم الولاء والبراء بدعة دينية فهو يذكر "أنّ الولاية بدعة والبراءة بدعة دينية ..... فاحذروه " في حين يلجأ "ابن تيمية" الذي يتبع المذهب الحنبلي[75] ويستخدم مفهوم "الولاء والبراء" لمحاربة البدع الدينية وللحفاظ على المسلمين من الممارسات غير الإسلامية، وهي - بحسب ابن تيمية- على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله[76].

ولاحقا يطوّر سليمان بن عبد الله (1786-1818) هذا المفهوم ليس فقط لمحاربة البدع بل للتكفير، ويأخذ المفهوم فيما بعد لاعتباره من أسس الإسلام، وتُساق المسوّغات الشرعية والبحث في الكتاب، وهذا يوضّحه "ابن عتيق" وهو من علماء الحنابلة باستخدامه الآيات القرآنية "قد كانت لكم أسوة حسنة

68 هشام احمد عوض المرجع سابق ص125
69 عبيزة أيوب رسالة ماستر مضامين الدولة الإسلامية ص67 جامعة بومرداس 2016م
70 معتز الخطيب المرجع سابق ص204
71 صالح حسين الرقيب الدولة الإسلامية نشأتها- حقيقتها ص 96ط2 غزة 2015م
72 رول مير السلفية العالمية الحركات ط1 بيروت ص124 2014م
73 رول مير المرجع سابق ص 128، 126
74 عبيزة أيوب المرجع سابق ص67
75 رول مير المرجع سابق 126،128
76 عبيزة أيوب المرجع سابق ص 67

في إبراهيم والذين معه إذ قالوا نحن براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدأوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده[77].

ولاحقا يتم توظيف مفهوم "الولاء البراء" في الحركات الجهادية السلفية، والتي تعتبرها ركيزة فقهية للحركات السلفية الجهادية، وهي تقوم على (الالتزام المطلق بالجماعات المسلمة الموحّدة، والبراء من الكفّار والمشركين والمرتدّين)[78].

وبحسب "جهيمان العتيبي" الولاء لعبادة الله والتبرّؤ من الشرك والمشركين و"إظهار العداوة لهم" ويحدد "العتيبي" ثلاث مراحل: وهي التبرّؤ من الشرك وأتباعه، وذلك يكون من خلال الهجرة، وثم القتال للوصول للحكم.

أمّا المقدسي؛ وهو أكثر مَن توسّع في "الولاء والبراء" ويُعتبَر الأب الروحي "للزرقاوي" وهي تكون علّة التبرّؤ من الشرك وأتباعه والولاء لله[79].

إذًا؛ فالولاء من أسس خطاب (داعش)، ويقوم على موالاة أهل السنة والجماعة للمؤمن الملتزم بدينه ونصرته نصرة كاملة، "والبراء من الكفّار والمرتدّين ومعاداتهم عداوة وبغضاء كاملَين" وكان من إصدارات (داعش) فيديو بعنوان " إليكم يا بني قومي اخرجوا من جزيرة العرب" وفيه يؤكّد على الهجرة لدولة داعش، والبراء من بلاد الجزيرة.

الجهاد:

يُعتبَر الفكر الجهادي من أركان داعش، وهومن المفاهيم الأساسية في الخطاب الأيديولوجي، وهو مُستمَدّ من المرجعيات السلفية الحنبلية وابن تيمية، وتؤكّد اجتهاداته الفقهية على الدعوة للجهاد دفاعًا عن الإسلام، وأيضا مقاومة السلطة السياسية والدينية في سبيل الله، وتؤسّس (داعش) على عقيدة الجهاد في سبيل الله، وترتبط بالجهاد مفردات "كالتكفير والتغيير الراديكالي"[80].

والجهاد بحسب داعش يكون لعودة الإسلام، ويعتبر بالنسبة لداعش غاية وعبادة مطلوبة، واعتبر الجهاد فريضة غائبة، فهي كفريضة الصلاة والصيام، ويقول "أبو مصعب": "يعتبر الجهاد فرض عين على كل مسلم". خاصة أنّهم يعتبرون كلّ مَن يختلف عنهم أو لا يبايعهم كافرًا ومرتدًّا وتجب محاربته، فاستباح المال والدم، والجهاد يكون بحدّ سيف مسلّط على الرقاب (فالجهاد ما هو إلّا شدّة وغلظ وإرهاب وتشريد وإثخان) ويصف جميع منظري الجهادية الرسول محمد (الذي بُعث بالسيف بين يدي الساعة) ويستعملون حديث "لقد جئتكم بالذبح"[81].

77 رول مبير المرجع سابق ص30
78 عبد الباري عطوان المرجع سابق ص10
79 رول مبير المرجع سابق ص 133
80 عبيزة أيوب المرجع سابق ص68
81 معتز الخطيب المرجع سابق ص212، 213

يستمدّ أيضًا من تاريخ الصراع بين قريش والمسلمين وما أُنزِلت من آيات تحضّ على الجهاد، ومن الآيات التي تبيح القتال "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله" وتحضّ سورة الانفال على القتال العنيف، مع الإشارة إلى أنّه من أصل 41 إشارة للجهاد هناك 10 إشارات ذات مفهوم عسكري،

الآية ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ وفي ذات السورة يعتبَر أنّ الذين يستشهدون في سبيل الله سيدخلون الجنة، وهذه التعاليم نجدها في تنظيم داعش وأفكاره التي يتبنّاها[82].

وكلّ ما سبق من فكر جهادي قد عزّز عنف داعش والإرهاب الذي مثّله من صور صادمة لمواد إعلامية يتم فيها قطع الرؤوس، والتفنّن في أساليب القتل من غرق وحرق، وذلك يدخل في إطار الجهاد

- تكفير "الفرق الضالّة والروافض" ومعاداتهم:

ويحكم داعش بالردّة على الفرق التي يعتبرها ضالّة ورافضة، ويرى بوجوب محاربتهم، لأنّ "كفر المرتدّ أغلظ من الكفر الأصلي" والطوائف التي صنّفها داعش مرتدّة هي الطوائف الباطنة الكافرة، كالنصيرية والدروز والاسماعيلية والقاديانية والبهائية والبابية، وغيرها من الفرق" التي اعتبر أنّ خطرها لا يقل عن خطر اليهود والنصارى"[83].

تعتبر مسألة تكفير الشيعة من الأمور المؤكّدة في الجهادية السلفية، فقد اعتبر "محمد بن عبد الوهاب" الطائفة الشيعية مبتدعة ومنافقة، ويزرعون الفرق في الدين، وقد اختزل وجهة نظره في رسالة الردّ على الرافضة، وربط أبو قتادة الفلسطيني بين قتال الرافض وعقيدة "الولاء والبراء" ويرى أنّ فِرَق الرافضة هي فِرَق ضالّة يجب اعتبارهم كفّارًا ومنافقين[84].

وهو من مرتكزات داعش والأسس التي بنى عليها؛ حيث رفض "الزرقاوي" مبايعة القاعدة حتى تم الاتفاق على محاربة الشيعة باعتبارهم (الروافض) وقد قال عنهم أنّهم "شرّ مَن تحت أديم السماء"[85]

و"أبو عمر البغدادي" أيضا حارب الروافض، وكان قد ذكر في خطابه "إنّي على بيّنة من ربّي؛ الشيعة طائفة شرك وردّة" وهناك العديد من إصدارات داعش المرئية بعنوان" سلسلة لماذا بايعت دولة الخلافة لقتال الروافض والمرتدّين"[86].

- إقامة الخلافة الإسلامية:

جعل داعش إقامة الخلافة فريضة لإقامة حكم الله، وبحسب عبد السلام فرج الذي قال: (فبعد ذهاب الخلافة نهائياً عام 1924م، واقتلاع احكام الإسلام كلها واستبدالها بأحكام وضعها كفار.. أصبحت حالتهم هي نفس حالة التتار)، و"أبو مصعب السوري" الذي يصف سقوط الخلافة بقوله: (سقطت الخلافة رسميا في عام 1924م بعد ان بدأت مرحلة الذبول منذ مطلع القرن التاسع عشر، وماتت فعليًا

82 عبد الباري عطوان المرجع سابق ص 162
83 نجلاء مكاوي ومجموعة مؤلفين المرجع سابق ص144
84 عبيزة أيوب المرجع السابق ص70
85 نجلاء مكاوي ومجموعة مؤلفين المرجع السابق ص 154
86 عبيزة أيوب المرجع السابق ص7

مع مطلع القرن العشرين. وكانت الدولة الصليبية قد قضمتها من أطرافها ثم تقاسمت إرثها إلى أن أعلن سقوطها).

وكل الحركات السلفية ترى بأنّه بعودة الخلافة يستقيم الإسلام وتعود للأمه قوّتها ومنها يكون المشروع الجهادي لإعادة دار الإسلام وتوسّعه لتعلن الخلافة الراشدة، وبحسب ابن حنبل (ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا عليه، برًّا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين) ومن هنا كان اللجوء لحدّ السيف لنشر داعش لأيدولوجيته وتنفيذه المجازر، ولمّا كانت (داعش) دون تعيين الخليفة، أثار هذا منظري داعش، فقالوا لما تكون هناك بيعة من المسلمين لأحد إلّا آل البيت، وهذا ما حصل في مبايعة البغدادي بنسبه القرشي، فسيكون عندها إمامًا وخليفة للمسلمين وبالتالي تجب الطاعة له[87]، وهذا المبدأ الذي انطلق به داعش تكفير "المخالفين" واعتبرهم خارجين على الإمام ويجب قتلهم، وكان "البغدادي" قد قال عند إعلان الخلافة: (لانترك السلاح حتى يحكم الشرع)[88].

وهي من المفاهيم الحديثة في الفكر السلفي الجهادي وتقسيم المناطق (لدار إسلام ودار حرب) واعتبرها داعش من ركائزه الفكرية، وهو ينطلق من مبادئ "الحاكمية والولاء والبراء" وبناء عليه تحوّل دار الإسلام لدار أمن وسلام، وأمّا البلاد فهي تتحكم لغير الله فهي دار كفر؛ وبالتالي يُستباح الدم والمال فيها وهي دار حرب مادام لا عهد بينها وبين المسلمين، ويجب قتالهم لإخضاعهم لدين الاسلام، ووجوب الهجرة من دار الحرب لدار الإسلام[89].

ويردّ هذا المفهوم لسيد قطب الذي قسّم العالم ثنائيًا لدار إسلام؛ حيث يعتبر البلد الذي يطبّق الشريعة بدار سلم ويحافظ فيه على السلم والأمن، ويعتبر البلد الذي يطبّق القوانين الوضعية دار كفر، فيه يُستباح الدم والمال[90].

- التوحّش وفقه الدماء:

وتخلو مراجع داعش من مفهوم الجاهلية التي تنظر للدولة الحديثة على أنها الأوثان المعاصرة، وظهر هذا المفهوم مع "المودودي" لينتقل بعدها لمنهجية "سيد قطب" ويرافق الحركات السلفية المعاصرة، أمّا داعش الذي تخلّى عن مفهوم الجاهلية ليتبنّى مفهومًا جديدًا ومفردات أكثر عنفًا وإرهابًا، وهو التوحّش أو فقه الدماء.

التوحّش:

والتوحّش مفهوم مصدره "ابن خلدون" ويقصد به السمة السابقة للعمران البشري، فهو يرى أنّ البشرية كانت في فوضى، وهنا تكون الحاجة إلى نظام أو سلطة لضبط الانفلات ويصفها بقوله: "نعيش قانون الغاب بصورته البدائية ويذكر أنّ الاخيار وعقلاء الأشرار يتطلّعون مَن يدير هذا التوحّش)

87 نجلاء مكاوي ومجموعة مؤلفين المرجع السابق ص180، 181
88 عبد الباري عطوان المرجع السابق ص 209، 210
89 نجلاء مكاوي ومجموعة مؤلفين المرجع سابق ص143
90 معتز الخطيب المرجع سابق ص 200، ط.215

ويرى أنّ الحلّ يكون بدولة الخلافة لنشر الأمن وحلّ مشكلات المجتمع، ويقوم على رفع مستوى الإيمان للمجتمع المتوحّش لإنشاء مجتمع مقاتل[91].

وفي كتاب إدارة التوحش لأبي بكر الناجي يحدّد فيه أعداء الأمّة الإسلامية بروسيا وأمريكا، ثم يخلص إلى أنّ العدوّ الأول هو أمريكا، وأيضا يعتبر الأنظمة خاضعة للدول العظمى، وأنّها تخالف عقيدة مجتمعاتها، وهو يعود بأصل المشكلات في العالم الإسلامي إلى اتفاقية "سايكس بيكو" وسقوط الخلافة وظهور الدولة القومية[92].

ويبيّن الكاتب الاستراتيجية العسكرية التي يجب اتباعها وهي تمرّ بمرحلتين؛ هما: مرحلة الإنهاك (شوكة النكاية)، ومرحلة الفتح أو (شوكة التمكين)، وثم يكون بناء الدولة وإدارة المجتمع وتنظيم الجانب العسكري والاستخبارات والأمن بشكل مفصّل، ويرى "الناجي" أن الجهاديين يجب أن يكونوا متوحّشين، ويدعم ذلك بالإشارة إلى أنّ نجاح الخلافة العباسية كان سببه عنف العباسيين ولين الآخرين ومحافظتهم على دمائهم، ويسوق "أبو بكر الناجي" ضمن الكتاب البراهين التي تستند لتاريخ الصحابة والرسول لتحريض المقاتلين على العنف[93].

- فقه الدماء:

ويُعتبَر كتاب "فقه الدماء" لأبي عبد الله المهاجر هو الدستور الأساسي لداعش، و يعتبَر الكتاب إعلانًا يؤسّس للعنف الطائفي وغير الطائفي المفتوح، وأبو المهاجر يتجاوز منظّري السلفية من ابن تيمية وابن حنبل ومحمد عبد الوهاب ليرجع لمصادر فقهاء الشافعية كالشافعي وأبي حنيفة والمالكي، ويتضمّن الكتاب عشرين مسألة[94].

كما أنّه ضمن "فقه الدماء" ينظر إلى الأنظمة الحديثة على أنّها قد بلغت حدّ الكفر والردّة، ويجب قتالها وضمن مسائل الكتاب تبرير العمليات الاستشهادية فهي إجازة فقهية لقتل المشركين، وقتل المسلمين ممّن لا يجوز قتلهم، وإجازة العمليات الانتحارية وبها يتم قتل من لا يجب قتلهم، وهو كلّه تبرير وردّ على المعترضين لما يقوم به "الزرقاوي" من قتل المدنيين من شيعة وسُنّة ويظهر المفهوم إلى "الأسلمة" أي الأنا المسلمة والآخر الكافر، ومن بداية الكتاب إلى نهايته يكون إحلال القتل وإباحة قطع رؤوس الكفّار المحاربين، وأيضا قتل أسرى الكفار[95].

ويشمل الكتاب مبادئ الردع والتصدّي أو حتى العقاب، ويضمّ كلّ الأفعال في المجتمع بدءًا من الزنا واللواط أو الاتصال حتى الاجتماعي بين الجنسين ومرورًا بالسفور إلى الإفطار أو ترك الشعائر أو الاستماع للموسيقا أو التدخين وغيرها....

ولتوصيف كتاب "فقه الدماء" نذكر قول الباحث الأردني محمد أبو رمانة حول الكتاب" لو قلبناه من أوّله لآخره فإنّ رائحة الدم تفوح من الكتاب، ولن يعجز أحد على اتباع هذا التنظيم عن أن يجد بين

91 حسن ابة هنية د. محمد أبو رمانة المرجع السابق ص179
92 فالح عبد الجبار القاعدة العودة إلى الماضي نسخة الكترونية (دون ذكر الصفحة)
93 عبد الباري عطوان المرجع سابق ص 162، 163
94 صلاح عبد الجبار المرجع سابق نسخة الكترونية
95 حسن أبو هنية د. حسن أبو رمانة المرجع سابق ص 182، 138

دفّتَي هذا الكتاب ما يسوّغ شرعًا لأيّ عمل يريد أن يقوم به، لأنّه أوجد المسوّغات ووظّف الآراء الفقهية التي تتناسب مع التحوّلات والتغييرات مع طبيعة التنظيمات"[96].

1- الخلاف الأيديولوجي بين داعش والقاعدة:

إنّ كلًّا من القاعدة وداعش يحملان الفكر التكفيري السلفي المتشدّد، ويؤمنان بقيام الخلافة، إلّا أنّ الخلاف يكون في أن القاعدة تقوم على تيّارين سلفيّين، وهي تأثّرها بالإخوانية والسلفية الحركية والمدرسة الوهّابية، وحتى قبل 2003 كان تيّار الإخوان فيها حاضرًا، أمّا بعد 2003 فكانت السيطرة للفكر الوهّابي، وداعش الذي يعتبر الجيل يعتمد بشكل أساسي على الفكر الوهّابي السلفي الدموي[97]. الخلافات الأيدلوجية بين التنظيمَين كانت تنعكس على العلاقة السياسية وتتأثّر بها، فمفهوم الخلافة الذي تجسّد بوضع سياسي فتح المجال لظهور الاختلافات الفكرية على السطح؛ فالقاعدة إن لم تسيطر على ارض محددة، فقد عبرت الحدود ووزّعت نشاطها في مناطق مختلفة، ولم تؤسّس أرضًا ثابتة كدولة أو خلافة. خلافًا لداعش الذي سيطر على بقعة وأعلن الخلافة الإسلامية فيها، رغم أنّ "بن لادن" كان قد نصح القاعدة بالانتظار لإعلان الخلافة حتى يضعف العدو الأكبر الولايات المتحدة[98]، وبالتالي رفضت القاعدة إعلان خلافة داعش، فهي اعتبرت أنّ "البغدادي" قد تسرّع بإعلان الخلافة دون التمكين، وأنّ البيعة كانت ناقصة فاقتصرت فقط على شورى العراق ولم تشتمل المسلمين كافّة، وأنّ "أبا بكر" شخصية مجهولة ليست معلومة، وغيرها من النواقص التي اعتبرتها غير متوفّرة لدى البغدادي وفقًا للكتب الشرعية، واعتبرت كلّ بيعة أُعطيت للبغدادي باطلة وخاصة من التيارات الجهادية[99] ورفضت أيضًا مطالبة داعش بمبايعة الخليفة "البغدادي" وتكفير مَن يرفض البيعة، و يذكر "المقدسي" في رسالة لعناصر داعش (دعوا التخيير بين البيعة والقتل) في إشارة إلى عدم فرض البيعة للخليفة وتكفير وقتل كل مَن لا يبايع وعدم تكفير الكلّ واتخاذهم أعداء لرفض البيعة، وينصح التدرّج للوصول للهدف، وهو (داعش)[100]، وفي رسالة مفتوحة موقّعة من 126 شخصية دينية ردًّا على داعش يذكر (أنّ الخلافة تتطلّب إجماع المسلمين)[101]، وبالتالي ترفض فرضها من تنظيم أو شخص، وتفاعل الخلاف الأيديولوجي والسياسي بين الطرفين؛ حيث رفضت داعش عدم مبايعة القاعدة للبغدادي[102].

فمبايعة الخليفة من مرتكزات داعش الفكرية. اتّهم داعش القاعدة بحصر الجهاد ضمن تنظيم القاعدة، أمّا القاعدة فاتّهمت داعش باعتبار الجهاد وسيلة، كما اتّهمها بالمبالغة بالتكفير وسفك الدماء وقطع الرؤوس[103] فـ"المقدسي" كان قد ذكر في رسالته لتنظيم الدولة التي يتحدّث فيها عن الإرهاب

96 عبيزة أيوب المرجع سابق ص73
97 فؤاد إبراهيم داعش من النجد إلى البغدادي ص 230 ط1 بيروت 2015م
98 عبد الباري عطوان المرجع السابق ص10
99 فاروق طيفور هل خرجت داعش من رحم اخوان المسلمين ص4
100 موقع عربي 21 لندن عربي كفوا عن الظلم وأوقفوا العدوان 8 سبتمبر 2014م
https://arabi21.com/story/774258/
101 معتز الخطيب المرجع السابق ص208
102 مجلة الرصد داعش نشأتها قيادتها استرتيجيتها ملحق 4 ص 102المرجع الكتروني https://iicss.iq/?id=167
103 عمرو فاروق (الحياة في أحضان الدم) ص 49 ط1 القاهرة 2015 م

الذي يمارسه داعش والذي تحدّى حدود المعقول للإرهاب حتى بالنسبة للمقدسي، الذي كان قد افتى بمشروعية العمليات الإرهابية في 2001م.

قال في رسالته[104]: (تنظيم الدولة، باغ على المجاهدين، ينحو إلى الغلو، وقد تورّط في سفك دماء المعصومين، وقد تسبّب بتشويه الجهاد) وأعلن البراء من نهج داعش الذي يقوم على سفك الدماء، ودعا المجاهدين للانضمام لجبهة النصرة[105]، والجهاد كما ذكره "المقدسي" وسيلة وليس هدفًا، فقال: (الجهاد والقتال وسيلة، والتوحيد وإعلاء كلمة الله غاية، وتنبّهوا إلى شرف الغاية وتقديمها على الوسيلة)[106].

أمّا بالنسبة للروافض فهو من الأمور الخلافية الأيدلوجية الأساسية بين تنظيمَي داعش والقاعدة، فـ"الظواهري" انتقد استهداف "الزرقاوي" للشيعة، ففي رسالة للظواهري 2005 يذكر فيها (يتساءل كثير من المحبّين لكم من عوام المسلمين عن سبب مهاجمتكم الشيعة)[107] فقد عارض "أبو محمد المقدسي" في رسالة نصح لداعش، تكفير الشيعة والروافض، كما أنه تحفّظ (على مسألة قتل المدنيين وضرب الكنائس ومساجد الشيعة)، كان تنظيم القاعدة قبل الاحتلال الأمريكي للعراق يتبنّى الفكر "الإخواني" والذي ينصّ على وحدة الصف الإسلامي لتأسيس دولة إسلامية، ولم يكن هناك ما يدلّ على الخلاف مع الشيعة، ويتم خلال هذه الحقبة التأكيد على العدو البعيد والولايات المتحدة، وبعد الغزو الأمريكي للعراق اتّخذ التنظيم موقفًا أكثر تشدّدًا من الشيعة بضغط من "الزرقاوي" الذي اعتمد على أئمة السُّنّة وابن تيمية كمرجعية[108].

وفي الخلاف مع القاعدة بشأن الروافض قال العدناني في رسالة للظواهري: "عدم استجابتنا لطلبك المتكرّر بالكفّ عن استهداف عوام الروافض في العارق بحكم أنّهم مسلمون يعذرون بجهلهم، فلو كنّا مبايعين لك لامتثلنا لأمرك، حتى ولو كنّا نخالف الحكم عليهم ... بينما امتثلنا لطلبكم بعدم استهدافهم خارج الدولة وغيرها"[109]، كما اتّهمت القاعدة داعش بالإفراط بالتكفير وعدم أهليته لتنزيل الاحكام الشرعية وضعف المشرّعيين الذين يعتمد عليهم[110].

فابن لادن ينتقد ضمن (وثائق أبوت أباد)[111] ظهور شخصيات تدّعي الانتماء لمنهج السلفية وتنفي الآخر وتتبنّى أفكارًا متشدّدة جدّا في مسائل اجتهادية ظنّية، وبناء عليه يتم التمييز وتصنيف الناس، وهو يقول (لسنا حكرا على السلفيين وعلى مقلدة المذاهب بل ننتسب لكل الأمة ونستشهد بكل علمائها

104 منيب السائح هل فلسطيني بريئان أبو محمد المقدسي وأبو قتادة قناة العالم https://www.alalamtv.net/news/1635719/

105 المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية المرجع السابق ص 99 https://iicss.iq/?id=16

106 نص رسالة المقدسي https://arabi21.com/story/774258/

107 تشارلز ليستر التنافس الجهادي الأولة الإسلامية تتحدى القاعدة ص4 الدوحة 2016

108 فؤاد ايراهيم المرجع السابق ص227 ، 224

109 احمد عبد الرحمن مصطفى من الزنزانة إلى الخلافة ص61 ط1 2015م

110 عمرو فاروق المرجع السابق ص50

111 وثائق أبوت أباد وهي 17 عشرة وثائق وهي عبارة عن رسائل الكترونية أو مسودات رسائل عدد صفحاتها 175 وأقدمها يعود إلى 2006 م وأحدثها 2011 م وهي مكتوبة من عدد من قيادات داعش منهم بن لادن ونشرت الرسائل بعد عام من موت بن لادن

وفق إصابتهم للحق ..... ولسنا في منأى عن اتباع المذاهب المسلوكة وأن تسمنوا التقليد ولا السلفيين وإن امتطوا صهوة الاجتهاد.....)[112].

ينتقد "أبو محمد المقدسي" منظّري داعش وما يتبنّونه من قيم ومعتقدات ويتّهمهم بالكذب، فهو يقول في رسالة مناصحة لداعش بأن يرشدوا أنصارهم والمتعصبين من كتابهم (الذين نزلوا عليكم بالمظلّات، وما كانوا يومًا من العير ولا النفير، فما كانوا من أنصار هذا المنهج وانتسبوا إليه ولا تعبوا في الدعوة إليه أو ابتلوا في سبيل نصرته، ولم يدفعوا من أعمارهم شيئًا لنصرته) كما ذكر (لا يهمّهم حرق هذا التيّار وجهاده أو دحره أو إهدار ثمراته) لأنّهم لم يشاركوا في المشروع الجهادي منذ بدايته ولم يغنوا تجربته.

كما اختلف داعش والقاعدة في الموقف من الدول الإسلامية، هل هي دار الإسلام أم دار حرب؟ فتجنّب "بن لادن" الاشتباك مع الحكومات العربية بإعلان إمارات إسلامية ما لم تكتمل شروط النجاح، فالفرق بين جيلين من المجاهدين الجيل الثاني الشباب لم يتشبع بنهج القاعدة ولا يركز على العدو الخارجي[113]، القاعدة التي تمثّلت بجبهة النصرة في خضمّ السجال الفكري حرصت على الاندماج في المجتمع المحلّي وعدم التوسّع في التكفير والمخالفين خاصة من أتباع المنهج. واتّهمت القاعدة داعش بتكفير مَن يخالفها من التنظيمات الجهادية، وأنّهم يبالغون بالقتل والتساهل بدماء المسلمين[114]، وطالبت التوقّف عن الهجمات على المدن، والتي تتسبّب بضحايا مدنيين من المسلمين[115].

إنّ مفهوم الحاكمية وتقسيم المعمورة لدار إسلام ودار كفر من المرتكزات الفكرية في كلّ الحركات الجهادية، ولكنّ الخلاف يكمن في قيام داعش بحملة تكفير لكلّ الحكومات والشعوب العربية، بينما عارضهم "بن لادن" بخطاب له وكان سببا لتكفير داعش لارتكابه مخالفات شرعية واعتباره: (أنّ الثورات العربية في مصر وتونس هي ثورات إسلامية، واعتبار مَن مات فيها شهيداً، وأنّ كلّ الشعوب العربية هي على الإسلام، حتى دول آسيا من أندونيسيا وماليزيا وباكستان وغيرها، وأنّ كلّ حاكم لا يوالي أمريكا فهو مسلم وإن كان صوفيا كما وداره دار سلام مثل السودان، ودار الإسلام بشعوبها وليس بحكّامها، وأنّ الحركات مثل "فتح وحماس" كلها مسلمة، وأنّ قادتهم مسلمون أمثال "أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي" شهداء، وأنّ شعب العراق كلّه مسلم، وقادة القاعدة لا يكفّرون من لا يكفّر المشركين، وأنّ الشعوب العربية مظلومة ومسكينة ويحزن عليها)

واعتبر داعش هذه الكلمة دليل كفر "بن لادن" والقاعدة ومَن على عقيدتهم، فالخلاف الأيديولوجي تعمّق لدرجة وصوله لمستوى العقيدة، أي الإيمان والكفر[116]. وأيضا اتّهم داعش "الظواهري" بالكفر للوقوف إلى جانب "محمد مرسي" وموافقته على الثورات العربية للتغير[117]. وكان مفهوم القاعدة يركّز على قتال العدو البعيد وجعله أولوية، وهذا ما ذكره "أيمن الظواهري" في رسالة بعنوان (رسالة لأمّتنا

112 فؤاد إبراهيم المرجع السابق ص215
113 فؤاد إبراهيم المرجع السابق ص208،207
114 عمرو فاروق المرجع السابق ص50، 51
115 فؤاد ابراهيم المرجع السابق ص209
116 فؤاد إبراهيم المرجع نفسه ص 209، 210
117 عمرو فاروق المرجع السابق ص51

لغير الله لن نركع) وذكر فيها "دعوة للمجاهدين ليجعلوا جهاد العصر ضدّ أمريكا أولوياتهم المتقدّمة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا[118] " فالقاعدة خلال عقود من قتال العدو البعيد لم تنجح بشيء سوى نشر فكر الإرهاب وخلق التطرّف بكلّ مكان ليكون إرهاب داعش هو أشدها دموية .

كما اتّهمت داعش الظواهري بالخروج عن النهج الإسلامي بقبوله الديمقراطية واعترافه بالثورات العربية وسبلها السلمية بالتغيير وهو نهج الاخوان، وتذرّع بأنّ الظواهري قد خرج عن نهج القاعدة الذي يقول بكفر من يتحاكم للطاغوت أي الديمقراطية[119].

ومن الاتّهامات التي وجّهها داعش لقادة القاعدة خلاف حول المصطلحات الحديثة التي يستخدمها القاعدة، واعتبار قادة داعش أنّ الظواهري لا يلتزم بالمصطلحات الدينية، وذلك أنّ القاعدة أكّدت على التنوّع الثقافي، في حين أنّ القاعدة تؤكّد على الجانب السلفي الموحّد كمرجعية عقائدية وكانتماء مدرسي وتنظيمي، والمصطلحات التي اعتبرها منظّرو داعش دخيلة مثل "المقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والنضال وغيرها"، ولعدم استخدام الألفاظ الشرعية الواضحة[120].

وكان "العدناني" قد أكّد أنّ خلافه مع القاعدة منهجي وليس خلافًا تنظيميًا أو إداريًا، فقد قال: (إنّ خلاصة الأمر أنّ الخلاف بين (داعش) وبين قيادة تنظيم القاعدة خلاف منهجي كما قال أمير التنظيم في لقائه الأخير مع مؤسسة السحاب، هذه هي القضية وليست بيعة مَن لمَن ومرجعية مَن لمَن، والتي أجهد أمير تنظيم القاعدة نفسه لإثباتها ولم يثبتها ولن يثبتها)[121].

2- موقف داعش من الشيعة:

بعد سقوط الموصل بيد تنظيم داعش في 11 حزيران يونيو 2014 م قامت المرجعيات الشيعية بإطلاق فتاوى تحثّ الشباب العراقي للانضمام إلى القوات الأمنية والجيش العراقي من أجل التصدّي لإرهاب تنظيم داعش، فقد دعا المرجع الشيعي "السيد علي السيستاني" في كلمة له: "على المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدّساتهم، التطوّع والانخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدّس، وأنّ مَن يضحّي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضه فإنّه سيكون شهيداً"[122]، ومن جهة أخرى أصدر الزعيم الديني الشيعي "مقتدى الصدر" فتوى من أجل زجّ الشباب العراقي في حرب ضدّ داعش، فقال: "من منطلق الحفاظ على لحمة العراق، فلست أنوي زجّ أبناء العراق في حرب قد زجّنا فيها بعض ذوي السياسات المنحرفة، بيد أنّي لا استطيع الوقوف مكتوف الأيدي واللسان أمام الخطر المتوقّع على مقدّساتنا"[123].

118 موقع جريدة الحياة، الظواهري يتهم البغدادي بالكذب ويشبهه بالحجاج 6يناير 2017م
119 فاروق طيفور المرجع السابق ص4
120 فؤاد إبراهيم المرجع السابق ص 228 ،229
121 داعش من الزنزانة إلى الخلافة ص62
122 داعش نشأتها قياداتها استراتيجيتها في وسائل الإعلام و مراكز الدراسات ص 125
123 المرجع السابق نفسه ص 126

لقد برزت توجّهات "الزرقاوي" السياسية والهوياتية ضدّ الشيعة مبكّراً، ففي آب - أغسطس عام 2003 تم تنفيذ هجوم انتحاري على مسجد الإمام علي في النجف، وأدى لمقتل "السيد محمد باقر الحكيم" رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وأكثر من 83 شخصًا، فأعلن "الزرقاوي" في خطاب بعنوان " أمّتي الغالية" عن مسؤولية تنظيمه عن العملية، وفي نفس العام أيضاً استهدف "الزرقاوي" مقر الأمم المتحدة في بغداد أسفر عن مقتل 22 شخصاً بينهم ممثّل الأمم المتحدة فيها[124].

لقد أظهر تنظيم داعش منذ اللحظات الأولى في عهد "الزرقاوي" العداوة واستهداف الشيعة في مساجدهم وأسواقهم، وقد تطوّر ليستهدف الشيعة حتى خارج العراق في كلّ من السعودية والكويت واليمن، ويذكر "الزرقاوي" أنّ خطر الشيعة الروافض أكبر من الخطر الأمريكي على الأمة الإسلامية، وأنّ مقدرتهم على إلحاق الأذى بالأمّة أكبر من العدو البعيد[125].

وفي ختام رسالة من "الظواهري" إلى "البغدادي" عام 2011م طالب فيها بالتوقّف عن قتل المسلمين والتفرّغ لقتال أعداء الإسلام من البعثيين والنصيرين وحلفائهم من الروافض الشيعة[126]، وهنا يمكن الاعتقاد بأنّ السبب في تغير سياسة القاعدة والظواهري بضرب العدو القريب أي الروافض الشيعة وحلفائهم هو تغير في موازين القوى والعملية السياسية والعسكرية في العراق والمنطقة، وخاصة بعد اندلاع ما تسمّى بثورات الربيع العربي، وخاصة في سوريا التي كان فيها الدور الرئيسي لجبهة النصرة لمحاربة النظام وفصائل المعارضة الأخرى. ويعتبر الخلاف بين داعش و الشيعة خلافًا جذريًا، ويرى داعش أنّ خير الأمة بعد نبيّها هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أمّا عند "الروافض" فيعتبرونهم شرّاً[127]، فقد اعتبرت داعش الشيعة من الروافض الذين تجب محاربتهم والقضاء عليهم، فالمتحدّث الرسمي لتنظيم داعش "العدناني" يأمر جنود داعش بالزحف إلى مناطق الشيعة في العراق، ويطالبهم بتصفيتهم، فالروافض أمّة مخذولة وهم مشركون وعبدة البشر والحجر، كما يهاجم "نوري المالكي" رئيس الوزراء العراقي في تلك الأيام، وكذلك يهاجم فيها العدناني الأماكن و المزارات الشيعية في كربلاء ويصفها بالنجاسة[128].

والرافضة هم طائفة شرك وردّة، وهم ممتنعون عن تطبيق الكثير من الشعائر الإسلامية، ويقوم منهج الرافضة على الشعار الآتي: " نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه", فهذا الشعار قائم على هدم عقيدة "الولاء والبراء"[129]. لقد استقرّت السنن الشرعية بأنّ عقوبة المرتدّ أعظم من عقوبة الكافر الأصلي، ومنها أنّ المرتدّ يُقتل وإن كان عاجزاً عن القتل، أمّا الكافر الأصلي فلا يُقتل إذا لم يكن في موضع حرب، فهو بذلك عند الكثير من العلماء المسلمين مثل "أبي حنيفة ومالك وأحمد"، والمرتد لا يرث ولا يؤكل طعامه، المرتدّون عن أصل الدين أعظم من الكافر الأصلي بالدين، فالمرتدّ عن الشرائع أعظم من الخارج الأصلي (الكافر) عن الشرائع[130]. وفي رسالة من "العدناني"

124 حسن أبو هنية محمد أبو رمان تنظيم الدولة الإسلامية ص 59 عمان 2015م
125 أحمد عبدالرحمن مصطفى داعش من الزنزانة إلى الخلافة ص 18 ط 2015م
126داعش نشأتها قياداتها استراتيجيتها المرجع و مراكز السابق الدراسات ص 112
127 أبي سفيان عمرو أبي زياد محمد حقيقة تنظيم الدولة "داعش" ص 56
128 داعش نشأتها قياداتها استراتيجيتها في وسائل الإعلام و مركز الدراسات ص 111
129 أبي سفيان عمرو أبي زياد محمد المرجع السابق ص 55
130 سيهل الحبيب الجهاد ضد الوطن ص 11 مؤسسة مؤمنون بلا حدود 1015

إلى "نوري المالكي" يقول فيها: " رسالة إلى (أحيمق) الرافضة نوري المالكي وإلى القيادة السياسية والعسكرية: لقد أضعت على قومك فرصة تاريخية بالسيطرة على العراق، حقاً لدينا تصفية حساب، فالتصفية لن تكون في سامراء أو بعداد، وإنّما في كربلاء و النجف"[131]، وقد انطلق البغدادي في محاربة الشيعة وهدم مزاراتهم ومقدّساتهم وإزالة كلّ مظاهر الشرك وتحريم وسائلهم من قول مسلم الذي روى في صحيحه عن أبي المهياج الأسدي قال: " قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله(ص): ألّا تدع تمثالاً إلّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلّا سوّيته"[132].

4-موقف داعش من المكوّنات غير المسلمة:

موقف داعش من المكوّنات غير المسلمة جاء في جوهره وفق النصوص الدينية

وإن اختلف تفسير ذلك من تنظيم سلفي لآخر، كما أنّ هذا الموقف لم يكن معزولاً من أجندة سياسية دولية أو اقليمية، فالمكوّنات غير المسلمة كثيرة في سوريا والعراق من الآشوريين والسريان على اختلاف مذاهبهم الدينية التي تتراوح بين الكاثوليك والارثوذكس والبروتستانت وغيرهم، كما أنّ هناك الصابئة في العراق والدروز أو الموحّدون في سوريا، والكرد الإيزيديون في سوريا والعراق، الذين لن نتحدث عنهم هنا ونترك ذلك (في سياق وتوضيح موقف داعش من الكرد)

في تسجيل صوتي لـ"أبو عمر البغدادي" بيّن فيه عقيدة داعش التي تتألّف من تسعة عشر بنداً، وضّح موقف التنظيم من كافّة الفئات وما يجب عمله، ومنها هدم وإزالة كلّ مظاهر الشرك، وتحريم وسائله، الرافضة طائفة شرك وردّة وكفر ويتم، التحاكم إلى شرع الله وحده، العَلمانية على اختلاف راياتها وتنوّع مذاهبها كفر مناقض للإسلام، الديار التي شرائعها وقوانينها وضعية هي ديار كفر، وبالتالي وجوب قتل شرطتها وجيشها، وطوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة هم أهل حرب لا ذمّة لهم، تحريم ما يدعو إلى الفاحشة، وأن تكون لباس المرأة فيها لباسًا شرعيًا، والبعد عن الاختلاط[133].

وعمومًا كان الموقف من المسيحيين على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم كما تحدّده الكتب الدينية الإسلامية هي ثلاثة خيارات: فإمّا الإسلام أو الجزية أو مغادرة المدينة كما حصل في الموصل، فـ"البغدادي" لم يأمر صراحة بقتل المسيحين كما فعل مع الكرد[134]، ويرجع ذلك إلى السياسة البراغماتية في التعامل مع الغرب، خاصة في الموصل من خلال إرسال رسالة للغرب أنّهم بصدد حماية المسيحيين من المعارك، ومن جهة أخرى استعمالهم كورقة ضغط يتم تحريكها في الوقت المناسب ضد الغرب المسيحي[135].

وضمن استراتيجية تنظيم داعش استهداف مناطق من الجغرافية العراقية، ووضع خطة " هدم الأسوار" حيث أعلن البغدادي في عام 2012م

131 داعش نشأتها قياداتها المرجع السابق ص 126
132 أبي سفيان عمرو أبي زياد محمد المرجع السابق ص 54
133 هيثم مناع خلافة داعش ص 79 ط1 مكان لا يوجد 2014 م
134 د. شندب داعش ماهيته نشأته إرهابه أهدافه استراتيجيته ص 61 ط. لبنان 2014 م
135 المرجع السابق ص 64

في خطاب بعنوان " ويأبى الله إلّا أن يُتمّ نوره"[136] من أجل ضرب المكوّنات غير المسلمة، كما حصل لاحقاً مع المسيحين في الموصل والكرد والإيزيدين في شنكال، أو المسيحين في مدينة الرقة السورية، أو الآشوريين في الحسكة عندما هاجمهم التنظيم في قراهم ومدنهم وقتل العديد منهم وأحرق قراهم، وبعد سيطرة داعش على مدينة الموصل العراقية التي كانت موطناً للمسيحين، والتي أدّت إلى نزوح المئات منهم، فقد أصدر التنظيم ميثاقاً للمدينة خاصًا بالمسيحين، فقد تركّز الميثاق على الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو تعرّضهم للصلب أو قطع الرأس، كما قام التنظيم بالاعتداء على المواطنين المسيحين فيها، كما حصل مع عائلة مسيحية عندما قام ثلاثة مقاتلين من التنظيم باغتصاب أمّ وابنتها أمام الوالد[137]، وبالمقابل عندما سيطر داعش قام بنهب وسلب الأموال والممتلكات، وتدمير معابد وأماكن العبادة الخاصة بالمسيحين، بالإضافة إلى التدخّل في أمور الملبس والمشرب لديهم[138].

عند سيطرة تنظيم داعش على مدينة الرقة السورية قام بتخيير غير المسلمين بين ثلاثة أمور؛ وهي: الدخول في الإسلام أو الجزية أو مغادرتها و يصبحوا بحكم كفّار حرب، وقد أصدر "البغدادي" بياناً جاء فيه: "على المسيحين إخفاء مظاهر التديّن لديهم، ومنعهم من حمل السلاح، وأداء صلواتهم في أماكن خاصة بهم، دون استخدام مكبّرات الصوت، كما تم تحريم ترميم ما تهدّم، أو توسيع أو تحديد دور العبادة، وتلتزم النساء بزي يُخصّص لهنّ[139]، ولقد استند تنظيم داعش في ذلك إلى تطبيق الآية التاسعة والعشرين من سورة "التوبة" التي تحدّد طريقة التعامل مع أهل الكتاب: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[140].

وهنا من المرجّح أنّ التطبيق والتفسير الخاطئ للآية هي التي دفعت هذه الجماعات التكفيرية وخاصة داعش إلى قتل ونهب أموال وممتلكات أهل الكتاب من المسيحيين وحتى المسلمين الرافضين لهذا النهج.

136 حسن أبو هنية تنظيم الدولة الإسلامية الأزمة السنية ص 117 ط1 الأردن 2015م
137 جماعة حقوق الأقليات وضع الأقليات في العراق ص 9 لندن 2014 م
138 رئاسة الشؤون الدينية في تركيا حركة داعش ص 66 ط1 أنقرة 2017 م
139 د سيد رضا صدر الحسن داعش النشأة البنية الأهداف ص 137 دمشق 2018 م
140 نضال الربضي داعش فرض الجزية على المسيحين في الرقة السورية موقع الحوار المتمدن 2014/3/1 الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=403222

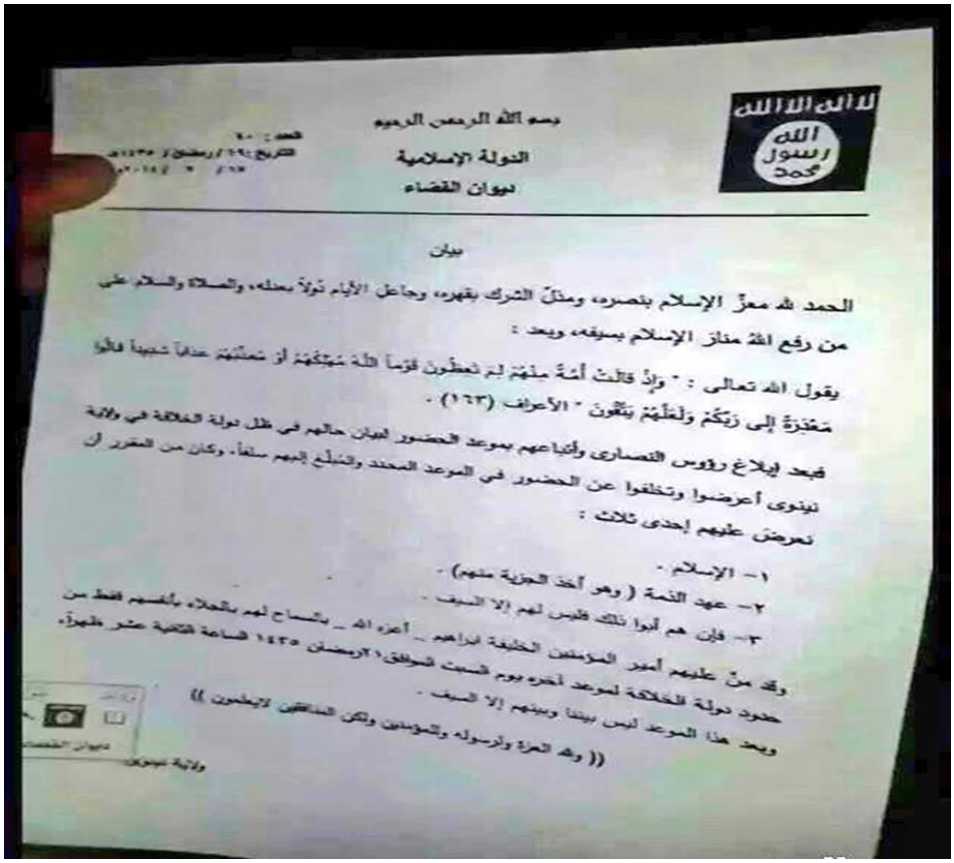

الصورة141

الصائبة المندائيين[142]: في عام 2013 م قام داعش بقصف ونهب منازل وممتلكات الصائبة المندائيين في محافظة الأنبار، واستمرّت الهجمات من قبل تنظيم داعش عليهم في مناطق تواجدهم في العراق، ففي عام 2014 م تلقّى الكثير منهم طرودًا تحوي رصاصات تهديد، وبالتالي إجبارهم على ترك مناطقهم، وفي نفس العام تعرّض الكثير منهم أيضاً إلى عمليات قتل وتمثيل بجثثهم، كما حدث مع الشاب "رامي جبار سوادي"، بالإضافة إلى عمليات الخطف والتهديد بالقتل من أجل إجبارهم على الرحيل من مناطقهم، كما تمّ هدم أماكن ودور العبادة لديهم[143].

141 الصورة من موقع ن بوست https://www.noonpost.com/content/3241

142 هم من أهل الكتاب في القرآن الكريم، إلّا أنّ بعض المسلمين والجماعات الجهادية التكفيرية وخاصة تنظيم داعش ينظرون إليهم على أنّهم غير مؤمنين، لذلك يتمّ استهدافهم بالقتل والخطف بسبب هويتهم الدينية.

143 جماعة حقوق الأقليات من الأزمة إلى الكارثة وضع الأقليات في العراق ص 14

الشبك[144]: لقد تعرّض الشبك إلى أسوأ عمليات القتل من قبل الجماعات المسلحة، ففي عام 2003 قُتِل أكثر من 1300 شخص، و في عام 2014 تعرّض الشبك إلى عمليات تهديد وقتل من قبل تنظيم داعش؛ حيث قام التنظيم بتوزيع منشورات عليهم تمهلهم 72 ساعة لمغادرة الموصل، وفي حال عدم المغادرة سيتعرّضون للقتل، لذا نزحت أكثر من 1500 عائلة من الموصل، وفي نفس العام لقي 8 عناصر من الشرطة حتفهم في هجوم مسلّح، كما تمّ استهداف مصلّيين أثناء ممارسة طقوسهم الدينية، وقد عانى الشبك من اقتحام داعش للموصل ونينوى عندما تعرّضوا لعمليات خطف وقتل على يد داعش، فقد تعرّضت 60 قرية للشبك لعمليات الذبح والخطف ومن ثم القتل[145].

التركمان: لقد تعرّض التركمان لهجمات من قبل الجماعات المسلّحة في العراق، وخاصة من تنظيم داعش، والتي أدّت إلى قتل وخطف العديد منهم ونهب وحرق ممتلكاتهم في المدن والقرى التي كانوا يسكنونها، ففي عام 2013م شنّ أكثر من 556 هجوماً على التركمان في "كركوك وصلاح الدين والموصل"، تم خلالها اغتيال وإصابة أكثر من 100 شخص، وكان من بين المستهدَفين نوّاب وأعضاء مجالس المدن ومرشّحو الانتخابات، وقضاة ومعلّمون ورجال شرطة، استمرّت الهجمات في عام 2014 م حيث أسفرت عن سلسلة من 14 تفجيراً في مدينتَي "كركوك وتوزخورماتو" أسفرت عن 20 قتيلاً وإصابة أكثر من 163 بجروح، مع تقدّم داعش شرع بهجمات على قرى التركمان فبعد الاستيلاء على ضاحية "تلعفر" قام تنظيم داعش بإحراق العديد من المنازل، الأمر الذي أدّى لنزوح أكثر من 200 الف شخص، ومن جهة اخرى قام التنظيم بحرق المنازل والمحاصيل وسرقة المواشي وتفجير الجوامع[146].

الموحّدون: في عام 2014م وبعد سيطرة تنظيم داعش على مدينة الرقة السورية قام بفرض قوانين صارمة على طائفة الموحّدين على اعتبارهم من غير المسلمين، فقد وضعوا تحت جناح الحماية في (داعش) مقابل دفع الجزية، وعدم بناء أماكن عبادة خاصة بهم، وعدم بيع لحم الخنزير والكحول، وتحت هذه القوانين الصارمة تحوّل الموحدون إلى مواطنين من الدرجة الثانية، وفي حال عدم التقيّد بتنفيذ القوانين فإنّ حدّ السيف هو الفاصل معهم إذا لم يغادروا المدينة خلال 48 ساعة[147].

5-موقف داعش من الكرد:

لا يمكن أن نفصل بين داعش اليوم وممارساته بحق الكرد، وبين ما حدث عبر التاريخ من مجازر بحقّ الكرد بحجّة أسلمته، فداعش الذي يعيش الماضي يحاول أن يكرّره بحذافيره بغزواته وسلبه، لقد ارتسم طابع الجيوش الإسلامية في مختلف العهود بالقسوة تجاه الكرد، التي مارست الوحشية والمجازر وعمدت إلى الصهر الثقافي والديني بحقّهم[148].

144 الشبك: جماعة قومية في العراق، يدينون بالدين الاسلامي، غالبيتهم من المذهب الشيعي الجعفري وفيهم من المذهب السنّي. لهم لغتهم الخاصة التي يُعتقد أنّها خليط من اللغات العربية والكردية والفارسية والتركمانية. انظر موقع الحوار المتمدن 2008/10/9 الرابط http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=149586

145 جماعة حقوق الأقليات، المرجع السابق، من الأزمة إلى الكارثة ص 15

146 المرجع نفسه - ص 16

147 تشارلز ليستر تحديد معالم الدولة الإسلامية - ص 21 مركز بروكنجز 2014م

148 دانا جلال - أسلمة الكرد بحد السيف - ص7 - ط. بيروت - 2017م

فداعش الذي يلجأ للتراث الإسلامي وينهل من الكتاب والسُّنّة يجد ما يبرّر فيه أعماله من وحشية، ومن النصوص التي تبرّر وحشية داعش بحقّ الكرد حديث عن أنس بن مالك كان الرسول يرغّب الغازي ويقول "من قتل كافرًا فله سلبه"[149]، هذا الحديث وأحاديث أخرى لا ندري مدى دقّتها إن كانت صحيحة أو موضوعة، لكنّها موجودة ويعمل بها في الواقع الميداني.

ومنها النظرة الدونية للكرد تتجلّى في الإسلام من خلال هكذا أحاديث بأنّهم أبناء الجنّ قول الرسول: (الاكراد جيل الجن كُشِف عنهم الغطاء. وسُمّوا بالأكراد لأنّ سليمان عليه السلام لمّا غزا الهند سبى منهم ثمانين جارية وأسكنهنّ جزيرة، فخرجت الجنّ من البحر فواقعوهن فحملت منهنّ أربعون جارية، فأخبر سليمان بذلك، فأمر بأن يخرجن من الجزيرة إلى أرض فارس، فولدن أربعين غلامًا، فلمّا كثروا وأخذوا في الفساد وقطع الطرق فشكوا ذلك إلى سليمان فقال أكردوهم إلى الجبال، فبذلك سمّوا بالكرد)[150]. وأيضا ربط محاربة الكرد بقيام الساعة؛ فعن ابن منظر في حديث أبي هريرة: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا ينتعلون الشعر وهم البازر: قيل بازر ناحية من كرمان قريبة من الجبال، في بعض الروايات هم الأكراد)[151]. وهنا نحن لسنا بصدد إثباته أو نفيه، فداعش يأخذ الأمور بظواهرها ويطبّق من الشرع ما يتناسب مع استراتيجيته ومصالحه، وفي السياق ذاته ورد حديث عن النبي في صحيح البخاري وغيره "نصرت بالرعب شهراً حتى أنّ العدو ليخاف منّي مسيرة شهر أو شهرين"[152].

إنّ الكرد الذين عاشوا صراعًا تاريخيًا ليحافظوا على هويتهم، تعرضوا لحملات إسلامية تارة قادها العرب أو الفرس أو الترك باسم الدين والإسلام، ولم يأمنوا شرّ الغزوات والنهب والسلب، والتي كانت تمارس بطقوس دينية تبرّر كلّ أنواع العنف وبأقسى أشكالها من سبي للنساء وقطع للرؤوس بأسلوب وحشي خاصة من قبل العثمانيين الأتراك[153].

ولا يمكن إلّا أن نشير للدولة التركية حين استشهد أردوغان بصورة "التين والزيتون" في احتلال عفرين 2018 م لتبرير قتل وتشريد الكرد في مدينة عفرين الكردية الصرفة، وأيضًا صدام حسين الرئيس العراقي الذي استشهد بسورة "الأنفال" في حرب الإبادة بحق الكرد في عام 1988 م في كردستان الجنوبية[154]، وما إشارتنا إلّا من أجل سَوق أدلّة على أنّ داعش كتنظيم إرهابي أو أي دولة إقليمية بالمفهوم الحديث تمارس الإرهاب، ستجد ما تحشد به القوى من خلال تسييس النصوص الدينية من عصور سالفة وتسقطها على الواقع لتبرر القتل.

منذ أن كان داعش في مرحلة التكوين كانت محاربة الكرد غاية وهدفًا يسعى لتحقيقه، هذه الغاية مبرّرة بأسباب دينية ودنيوية، واعتباره الكرد عَلمانيين، ودارهم دار حرب، ولعلّ من الأهمية بمكان الإشارة إلى الكرد الإيزيديين في جبل سنجار الذين تحصّنوا بالجبال هربًا من حرب إبادة عرقية ودينية

149 ظفران التهانوي - إعلاء السنن الجزء 12 - ص 314 ط.بيروت دون ذكر العام
150 الامام الراغب الاصفهاني محاضرات الأدباء ومحأورات الشعراء ج1 ص424
151 دانا جلال - المرجع السابق - ص7
152 الحافظ قطب اللفظ المكرم بخصائص النبي المعظم- ص 299 ط. بيروت دون ذكر العام
153 دانا جلال المرجع السابق ص14
154 للتوسع عن الانفال انظر : https// www.pudkmedia.com

مارستها بحقهم الإمبراطورية العثمانية، ولعلّ من الأسباب السياسية اعتبار الكرد حلفاء لأمريكا، كما لا يمكن الفصل بين موقف تركيا من الكرد وهدفها بإنهاء مشروع الإدارة الذاتية والديمقراطية، وتحشد له كل طاقاتها السياسية والعسكرية وموقف تنظيم داعش المرتبط بتركيا عضوياً من خلال هجوم داعش على كوباني، لتحقيق هدفين: الأول قطع الاتصال بين عفرين و سري كانيه و(المالكية) في الحسكة، وبالتالي يتشرّد. والهدف الثاني تحقيق مشروع تركيا بالتغيير الديمغرافي في الشمال، وتتحوّل داعش لقوى لا منازع لها، ويمكن أن تكون أداة لتركيا لإسقاط النظام، لذا لا يمكن الفصل بين وحشية داعش وموقفه تجاه الكرد وعلاقاته مع تركيا، وخاصة أنّه كان لتركيا دور في تجميع وتدريب عناصر داعش[155]، فـ"الزرقاوي" مؤسّس داعش اشترط على القاعدة محاربة أربع فئات؛ وهم: الأمريكون وقوات الأمن العراقية والشيعة والكرد، وقد وصف الكرد بقوله: (هؤلاء ورم في الحلق وشوكة حان وقت نزعها هم في اللائحة مع ذلك فنحن نسعى إلى إيذاء بعض رموزهم بإرادة الله)[156] وقد لقّب "البغدادي" زعامات كردية بأنّهم "رأس الكفر" وأنّهم نشروا الشيوعية وقلّدوا الغرب، وأنّهم قلّبوا التعاليم الإسلامية رأسا على عقب، وأنّهم حضّوا الناس على ترك الصلاة وعدم الاكتراث لها، وأنّهم روّجوا للفساد وخلع الحجاب وإهانة العلماء.

وتطرّق "البغدادي" إلى أنّ الكرد يجب أن يتخلّوا عن هويتهم الكردية وقبليتهم، وذلك تنفيذًا لقول الرسول: "اتركوا القومية والقبلية"، واعتبر أنّ القومية هي المرشد والهادي إلى الكفر، والقبلية نفسها إلى الجاهلية العربية والتركية والفارسية)[157]، وبحسب تصريح "البغدادي" فإنّ كلّ كردي يحافظ على قوميته كافر، ولكن التناقض يكمن في أنّ داعش يحصر الخلافة بالقومية العربية القبلية القرشية، ولا يمكن أن نفصل نظرة داعش للكرد في كردستان الجنوبية عن الكرد في سوريا، حيث يعتبرهم داعش كفّارًا ويجب قتالهم، وهنا تجلّى إلغاء الآخر بأبشع صوره.

قبل إعلان الخلافة، والخلاف بين داعش والنصرة تعرّض الكرد في مدينة "تل حاصل وتل عران" للإبادة العرقية، فقتلوا وشرّدوا[158] هاتان المدينتان تقعان ضمن مناطق الشهباء في ريف حلب الشمالي مع قرىً كردية على الشريط الحدودي مع تركيا وتشكّل جسراً يصل بين كوباني وعفرين، وهي منطقة يسكنها الكرد منذ القدم، وتعرّضت لتغيير ديمغرافي منذ العهد العثماني[159]، ومنذ سيطرة فصائل "درع الفرات" على المنطقة في الباب وإعزاز وجرابلس تشهد المنطقة تهجيرًا للكرد، فتركيا تمارس سياسة ممنهجة في تلك المناطق بالتعاون مع داعش حينها وحاضرًا بالأفعال، وهناك شهادات عن قصص وحشية وقعت؛ فتعرّضت النساء للخطف، ولم تكن حينها فتوى السبي قد ظهرت، وذبح رجال وقتلت النساء وسلبت المنازل وهجّر الكرد من أرضهم قسراً، لقد كانوا يصفون الكرد بأنّهم مجرمون[160]، لابدّ من التنويه إلى أنّ كل سكان منطقة "تل حاصل وتل عران" هم من المسلمين والذين يتميّزون عن

155 سيد رضا - المرجع السابق - ص 189
156 احمد حمي - السرداب الأسود - ص32 - ط .قامشلو - 2018م
157 سيد رضا - المرجع السابق - ص 139
ANFNEWS158 لا للمجازر التي ترتكب بحق الكرد تحت راية الإسلام 2013 م https//anfarabic.com
159 أمين عليكو الهوية الثقافية لمناطق الشهباء - مركز روج آفا للدرسات الاستراتيجية
160 للأطلاع اكثر على شهادة أهالي تل حاصل انظرمقطع فيديو نشر بتاريخ 2013/10/14
https://www.youtube.com/watch?v=QpYbR42CyKE/ي ا

مناطق كردية أخرى بالتزامهم بالشرائع الإسلامية، ولكن ما جعلهم مطمعًا للغزاة هي هويتهم الكردية ورغبة الفصائل الإسلامية حينها في تهجير الكرد خدمة لمصالح تركيا في المنطقة.

بعد سيطرة داعش على الموصل ساندتها "النصرة" في هذا الهجوم رغم خلافها مع داعش، وتجلّى ذلك في إبادة الكرد الإيزيديين، توجّه القتلة نحو جبل سنجار في أغسطس/آب 2014م وسيطروا على القرى في محيط جبل سنجار ضمن كردستان الجنوبية، وبذلك لم يسلم الإيزيديون من رعب داعش ووحشيته[161].

وعند سيطرة داعش على قرى الإيزيديين قام بقتل مئات الرجال بطقوس دينية بحدّ السيف[162] وعلى مدى أيام راقب العالم الآلاف من الإيزيديين يفرّون إلى الجبال هربًا من الغزو الداعشي أعادتهم إلى ذاكرة السنين الماضية لغزوات ومجازر مورست بحقّهم، وكان عددها (72) مجزرة معظمها كان في عهد السلطنة العثمانية، وعلى مدى أيام مات أطفال إيزيديون من الجوع والعطش وهم محاصرون فوق جبال سنجار، وذكر مَن نجا من المأساة أنّ داعش قد خيّرهم بين الدخول لدين الإسلام أو الموت، الأمر الأعظم والذي سبّب صدمة للبشرية في هذا العصر هو أسر داعش للنساء الإيزيديات واعتبارهنّ سبايا في زمن أسقطت به قوانين العبودية وقطعت البشرية أشواطًا في التحرّر الفكري، ولكن أن نعود للماضي هو من عقيدة داعش "وأقام داعش للعبودية مؤسّسة بيروقراطية مفصّلة لتسهيل الإتجار بهنّ" وبعد السيطرة على سنجار نقلت النساء لمناطق متعدّدة وتم الاتجار بهنّ لأغراض جنسية، وكانت تتم عملية البيع والشراء وفقًا لعقود أُعدّت لهذا الغرض، وكان يعامل المرأة الإيزيدية معاملة الشيء كأي ملكية شخصية باعتبارهنّ سبايا؛ لأنّهنّ (لا يعبدون الله بل يعبدون الشيطان في إشارة إلى طاووس الملائكة).

وبحسب ما ورد في مجلة "دابق" العدد الرابع من منشورات داعش على الانترنت في مقال بعنوان "إحياء الرقّ" اعتبرت الطائفة الإيزيدية دينًا منحرفًا وعبدة إبليس[163].

استرقاق داعش انحصر بالكرد الإيزيديين ولم يطبّق هذه الحالة على طوائف أخرى في المناطق التي استولى عليها، باعتبارهم ليسوا من أهل الذمّة كالمسيحين ولا يمكن أن يدفعوا الجزية، وهذا كان من العوامل التي دفعتهم للهجوم على تلك المناطق، لأنّها ستشرّع له إشباع رغبات رجاله الجنسية[164].

والوجهة الثانية لداعش كانت مدينة كوباني (عين العرب) في شهر تموز 2014م، وبدأ داعش بممارسة شعائر الذبح بحق الكرد في المدينة لينشر الرعب في النفوس، ومن ممارساته كانت الإعدامات التي مارسها في ريف المدينة؛ حيث أعدم 11 كرديا[165] وفي حزيران 2015 م

كانت المأساة في كوباني، عندما اقتحم داعش المدينة وارتكب مجزرة بحق المواطنين المدنيين الكرد من الأطفال والنساء وكبار السن، فاستخدم كلّ أساليب القتل من ذبح وحرق وقتل بأعيرة نارية

161 بنية الخطابة - المرجع السابق - ص210
162 عبد الباري عطوان - المرجع السابق - ص38
163 بنية الخطابة ص 210، 211
164 المرجع نفسه- ص 211
165 سي ان ان 20 سبتمبر2014 كلمات مفتاحية حرب داعش الاكراد

وكان الهدف هو القتل، وبلغ عدد مَن قتل 300 كردي وأكثر من 300 جريح[166] والأمر ذاته يُساق على الكرد في مدينة الحسكة، لقد استهدفت المدينة التي سميت ولاية البركة بشكل مباشر[167]، وخاصة نواحيها ومحيطها من "تل براك وتل حميس ومدينة الهول"، ومدينة "تل تمر" ذات الأغلبية الآشورية التي أشرنا إليها سابقاً.

لقد أراد تنظيم داعش تغيير كلّ ما يمت إلى الكرد بصلة، مع المكوّنات غير المسلمة الأخرى

من السريان والآشوريين والكرد الإيزيديين، والغالب أنّ كلّ ذلك كان يعود إلى أجندات

إقليمية وخاصة الدولة التركية، التي كانت تعمل ومنذ أمد بعيد على احتلال المنطقة وتغيير ديموغرافيتها.

خاتمة:

مجريات الأحداث في سوريا وفي شمالها وشرقها تقدّم الأدلة الكافية على أنّ هذا التنظيم المسمّى بداعش يشكّل خطراً كبيراً على سوريا والعراق وعلى باشور كردستان ومناطق الإدارة الذاتية الديمقراطية، من خلال محاولة عناصره الهروب والفرار من سجن الصناعة الواقع في جنوب الحسكة، وكلّفت عملية القمع والسيطرة على الوضع قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف الدولي جهداً كبيراً بعد التدخّل بالطائرات المروحية وبالأسلحة المختلفة.

كما أن مخيم "الهول" لايزال يمثّل خطراً قائمًا ومستمرّاً من التنظيم وداعميه؛ بسبب قيامه بعمليات القتل والاعتداء من حين إلى آخر، رغم قيام الإدارة الذاتية بحملات التمشيط فيه في كل حين، إلّا أنّه يتم العثور على خلايا وأسلحة متنوّعة ومخابئ وأنفاق جديدة، ويعدّ ذلك خطراً قائمًا يجب الوقوف عنده ومعالجته.

رغم الدعوات الصريحة من الإدارة الذاتية لكل الدول التي لها رعايا في مخيم "الهول" من البلاد العربية والإسلامية والأجنبية للتكفّل برعاياها وإعادتهم إلى بلادهم وجنسياتهم، إلّا أنّه لا يزال الكثير من هؤلاء يصمّ الآذان أمام هذه الدعوات، كما دعت الإدارة الذاتية إلى تشكيل محكمة دولية لتقديمهم لمحاكمة عادلة، لكن لايزال الصمت الدولي رفيقاً لهذه الدعوات.

بطبيعة الحال، الأمر لم يعد الأمر خافيا على أحد، فلكلّ الأطراف الدولية أجنداتها السياسية والعسكرية حيال هذا الصمت، وربما بل الغالب أنّ للدول الإقليمية مصالح وأجندات لبقاء هذا التنظيم وربّما لتفعيله حين اللزوم للقيام بعمليات لصالحها وخصوصاً الدولة التركية وحزب العدالة والتنمية، التي تتوافق سياستها وأجنداتها وأيديولوجيتها مع تنظيم داعش، بل يكادان أن يكونا وجهَين لعملة واحدة من الناحية السياسية والأيديولوجية.

وخلايا هذا التنظيم منشرة في وسط سوريا في مدينة دير الزور وريفها، وعملياتها وقتلها مستمرّ يكاد يكون الأمر يوميا. وفي البادية السورية وأطراف مناطق الإدارة الذاتية خلاياه موجودة وعملياته

166 رستم ديركى تقرير توثيقي عن مجزرة كوباني في 25 حزيران 2015م الرابط http//rojava.com
167 سيد رضا - المرجع السابق - ص 52

مستمرة عبر الهجمات الفردية على المواطنين والسكان الآمنين بالقتل والسطو والإرهاب وبث الرعب. رغم الاحتياطات العسكرية والأمنية الكبيرة التي تتّخذها الإدارة الذاتية في المعابر ومداخل المدن إلّا أنّه تحدث أحياناً خروقات أمنية لخلق الفوضى وبثّ الرعب بين السكان لصالح الدولة التركية التي لها يد في ذلك. لأنّها -أي الدولة التركية- لاتزال تشنّ عملياتها العسكرية عبر المسيّرات على مناطق شمال وشرق سوريا، ولاتزال تلوّح بالهجمات وشنّ عمليات عسكرية على مناطق باشور كردستان خاصة بعد فشل حكومة أردوغان في إصلاح الوضع الاقتصادي، ويريد تغطية فشله بعملية عسكرية في باشور كردستان، حيث المقاومة الوطنية والشعبية الكردية للاحتلال التركي بعد أن بات لديها سلاح مضاد للمسيّرات التركية. رغم تناغم الحكومة العراقية مؤخّراً مع السلطات التركية ضد المقاومة الوطنية الكردستانية المتمثلة بقوات (الكريلا).

وفي الختام نقول إنّ تنظيم داعش أينما كان ومهما كان لونه فهو تنظيم معادٍ للإدارة الذاتية الديمقراطية وأداة طيّعة بيد الدول الإقليمية ضد حرية وأخوة الشعوب، وضد الأمة الديمقراطية، ينبغي مواجهته بحزم من التحالف الدولي وقوات الإدارة الذاتية؛ ليعمّ السلام والاستقرار، وتتحقّق التنمية للشعوب والمكوّنات في سوريا.

أهم المراجع:

1- هيثم مناع خلافة داعش ص 79 ط1 مكان لا يوجد 2014 م

2– د. شندب داعش ماهيته نشأته إرهابه أهدافه استراتيجيته ص 61 ط. لبنان 2014 م

3- حسن أبو هنية تنظيم الدولة الإسلامية الأزمة السنية ص 117 ط1 الأردن 2015م

4- جماعة حقوق الأقليات وضع الأقليات في العراق ص9 ط.لندن 2014 م

5-رئاسة الشؤون الدينية في تركيا حركة داعش ص 66 ط1 أنقرة 2017 م

6-د سيد رضا صدر الحسن داعش النشأة البنية الأهداف ص 137 دمشق 2018 م

7- - نضال الربضي داعش فرض الجزية على المسيحين في الرقة السورية موقع الحوار المتمدن 2014/3/1
الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=403222

8- دانا جلال اسلمة الكرد بحد السيف ص7 ط. بيروت 2017م

9- ظفران التهانوي اعلاء السنن الجزء 12 ص 314 ط.بيروت دون ذكر العام

10- الامام الراغب الاصفهاني محاضرات الأدباء ومحأورات الشعراء ج1 ص424

11- حسن أبو هنية تنظيم الدولة الإسلامية الأزمة السنية ص 117 ط1 الأردن 2015م

12- أحمد حمي السرداب الأسود ط . قامشلو 2018م

13-حسن أبو هنية تنظيم الدولة الإسلامية ط.عمان 2018م

14-تشارلز ليستر تحديد معالم الدولة الإسلامية ط. الدوحة 2014م
15-فواز جرجس داعش إلى أين ط.بيروت 2016م
16-عبد الباري عطوان الدولة الإسلامية الجذور التوحش المستقبل ط.بيروت 2015
17- أحمد كامل رأوي الدولة الإسلامية راية سوداء ط.اسطنبول 2017م
18-احمد عبد المجيد الأساليب الإقناعية لتنظيم داعش مجلة الباحث الاسلامي
19-نجلاء مكاوي تنظيم الدولة بنية الخطاب مركز صناعة الفكر 2016م
20-هواردجية شاتز الدولة الاسلامية التي عرفناها مؤسسة راند 2016م
21- مجلة أماربك الدولية مجلد 1 ط. 2018م
22-صالح الرقيب الدولة الاسلامية ط. غزة 2015م
23-صلاح حيدوري تنظيم الدولة رؤية من الداخل ط.بيروت 2017م
24-د.معتز الخطيب العنف المستباح ط. القاهرة 2017م
25-هشام أحمد جعفر الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية ط.مصر 1995م
26-عبيزة أيوب مضامين الدولة الاسلامية رسالة ماستر جامعة بو مرداس
27-صالح حسين الرقيب الدولة الاسلامية نشأتها حقيقيتها ط.غزة 2015م
28-رول مبير السلفية العالمية ط.بيروت 2014م
29-فؤاد إبراهيم داعش من النجد إلى البغدادي ط.بيروت 2015م

المكاسب في ظل التهديدات الإيرانية والتركية والخلافات العائلية

كرديار دريعي

منذ توقيع معاهدة لوزان عام / 1923/ والتي وجد على إثرها الشعب الكردي نفسه منقسمًا بين أربع دول حديثة النشأة (تركيا - إيران – سوريا- العراق)، لم تهدأ ثورات الشعب الكردي، حيث انتقل الشعب الكردي باستمرار من ثورة إلى أخرى، لمواجهة الظلم الذي تعرّض له في لوزان، وقدّم مئات الآلاف من الشهداء لنيل حريته.

وبسبب السياسات الدولية بحقّ الشرق الأوسط وكردستان، فإنّ الثورات الكردية منذ عام /1923/ إلى عام /1991/ قد قوبلت بالمجازر والدمار والتهجير ونهب لكردستان في أجزائها الأربعة؛ ومن هنا جاءت عبارة "ليس للكرد أصدقاء سوى الجبال"، لكن في الوقت نفسه، فإنّ العبارة القائلة "لن تقوم للكرد قائمة" وعبارة "الحجل عدوّ قومه" لم تأتِ من فراغ.

إنّ مسألة عدم امتلاك الكرد للصداقات، بطبيعة الحال، ترتبط بدرجة كبيرة بالسياسات الدولية والاتفاقيات والمعاهدات التي تم إبرامها وتنفيذها بحقّ الشرق الأوسط والشعب الكردي منذ عام /1923/م. والتي تعدّ أيضاً إحدى أهمّ الأسباب الرئيسية التي لم تسمح للكرد بنيل حقوقهم، وهي التي جعلت الأطراف الدولية تغضّ الطرف عن ممارسات ووحشية الدول التي ينقسم فيها الشعب الكردي.

فرصة سانحة للكرد:

في /2/ أغسطس/ آب /1990/ احتلّ الجيش العراقي دولة الكويت، ومقابل هذا الغزو تأسّس التحالف الدولي لتحرير الكويت، والذي تشكّل من / 32/ دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ التحالف بقتال نظام بغداد، وكانت هذه الحرب بمثابة فرصة للكرد لإعلان الانتفاضة ضدّ نظام بغداد ونيل حقوقهم في تلك الظروف، خاصّة أنّ العراق وبسبب حرب الخليج الأولى (العراق وإيران) قد أصابه الوهن والضعف، وترك وراءه جيشًا مهزومًا أثناء الانسحاب من الكويت، وكانت كلّ التوقّعات تصبّ في أنّ التحالف الدولي سيقوم بإسقاط نظام بغداد، ففي مارس/ آذار /1991/ بدأت انتفاضة الشعب في مدينة رانيا التابعة لمحافظة السليمانية في جنوب كردستان (باشور)، لكن إسقاط نظام بغداد لم يكن ضمن برنامج الولايات المتحدة والتحالف الدولي، لذا فإنّ الشعب الكردي في جنوب كردستان (باشور) والشيعة في جنوب العراق أصبحوا ضحايا للتوقّعات والأماني، وقام الدكتاتور صدام حسين

بهاجمة كردستان بوحشية، ممّا تسبّب في الهجرة المليونية للشعب الكردي نحو حدود إيران وتركيا، حيث كان جنوب كردستان (باشور) يخضع للإبادة.

وبناء على طلب من فرنسا فقد أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم /688/ في / 5 / أبريل /1991/ لحماية الكرد، ثم فرضت كلّ من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة منطقة حظر جوّي على جنوب كردستان في / 17 و23 / أبريل/ نيسان من نفس العام؛ بطبيعة الحال كان الحظر الجوّي وكذلك انسحاب نظام بغداد من جنوب كردستان فرصة ذهبية للكرد.

الأحزاب الكردستانية والمنطقة الآمنة

لم تدم فرحة الكرد في جنوب كردستان بإنشاء منطقة محمية، فبالرغم من أنّ نظام بغداد لم يبقَ له أي وجود في كردستان، إلّا أنّ الأحزاب الكردستانية لم تتّفق حول تركة النظام العراقي، وبدلاً من بناء إقليم حرّ وديمقراطي وموحّد، فقد دخلت في صراعات وخلافات بينية.

في عام /1992/م. أُجريت الانتخابات برلمان إقليم كردستان، وانقسم النوّاب مناصفة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني و حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، لكن منذ عام /1994/ إلى عام /1997/ دخل الجانبان في حرب انتحارية، ونتيجة لذلك؛ فقد قام كلّ طرف منهما بطرد مؤيّدي الطرف الآخر من منطقته، وسقط أيضا أكثر من /5000/ من البيشمركة والمدنيين كضحايا، وقام كلّ طرف منهما بمدّ يده والاستعانة بدولة إقليمية لا تقبل أبدًا بحرية كردستان، حيث استعان الحزب الديمقراطي الكردستاني بتركيا ونظام صدام حسين، أمّا الاتحاد الوطني الكردستاني فاستعان بإيران.

والآن، بدلاً من أن تتحوّل المنطقة المحمية إلى كردستان حرة وقاعدة لحرية الأجزاء الأخرى من كردستان، فقد غدت منطقة الحماية منطقة صراعات عائلية وقاعدة للاستخبارات التركية والإيرانية، ما أدّى إلى تقسيم جنوب كردستان بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، وحتى اليوم ينقسم الإقليم إلى قسمين، ولكلّ قسم قواته ومؤسّساته الخاصة التابعة للطرفَين، والاتفاق ووقف الحرب بينهما لم يأتِ من عقيدة وطنية، وإنّما بسبب تدخّل الولايات المتحدة وبريطانيا.

مواقف تركيا وإيران حيال إقليم كردستان:

الدول التي تقاسمت كردستان فيما بينها، عدا عن السياسات الدولية التي تجاهلت الشعب الكردي وقضيته من أجل مصالحها الخاصة، فإنّ تلك الدول قد أبرمت عشرات الاتفاقيات والتحالفات والاتحادات لإبادة الكرد في تلك الدول وجعلهم بلا إرادة وبلا صوت، صحيح أنّه كان هناك صراع وعداوة بين تلك الدول حول كثير من القضايا والمصالح والصراعات التاريخية، إلّا أنّ تفعيل القضية الكردية في أي جزء منها لا يدخل ضمن مصالحها، لذا فإنّ إقامة منطقة كردية حرّة وقوية ومستقرّة وموحّدة يدخل في خدمة الكرد، أمّا بالنسبة لتلك الدول فإنّه أمر خطير، وحينها وإن كانت القوى الكردستانية هي وقود الحرب الأهلية من عام /1994/ إلى عام /1997/ إلّا أنّ تركيا وإيران هما من أشعلا هذه الحروب؛ ولا شكّ أنّ الأسباب التي سمحت لكلّ من تركيا وإيران بالتدخّل بسهولة في إقليم جنوب كردستان هي صراعات هذه الأحزاب، حيث اعتمدت تلك الأحزاب على هذه الدول من أجل حماية نفسها من الطرف الآخر.

تركيا:

الجمهورية التركية التي تأسّست على الإرث العثماني عام /1923/. لم تنسَ حلم إعادة الأراضي التي حكمها العثمانيون والتي فقدوها بسبب الاتفاقيات الدولية، وتربط تلك الجمهورية وجودها بالقضاء على الكرد والقضية الكردية، لذا فإنّها تتحرّك ضدّ أي مكاسب للكرد في أي منطقة، سواء في شمال كردستان (باكور) أو الأجزاء أخرى من كردستان وأيضاً في العالم، فضمن سياستها لإبادة الشعب الكردي اتّخذت تركيا خطوات كبيرة جداً؛ ففي شمال كردستان (باكور) ومنذ عام /1925/ حتى عام /1950/ قامت تركيا بافتعال فوضى في شمال كردستان، وارتكبت عددًا لا يحصى من المجازر والدمار بحق الثقافة واللغة والتاريخ، حتّى أنّها قد اعتقدت بأنّه لم يعد للقضية الكردية أي وجود، ولم يعد هناك أي وجود للكرد.

وبخصوص الموقف التركي حيال الكرد، يقول **جواهر لال نهرو (** رئيس وزراء الهند 1947**): " أولئك الأتراك الذين يناضلون في الفترة الأخيرة من أجل حرّيتهم، قد تواجهوا مع الكرد الذين يبحثون عن حريتهم أيضًا، وإنّ المرء ليستغرب من أنّ أمّة مدافعة عن نفسها تتحوّل إلى أمّة متطرّفة، وأنّ الحرب من أجل الحرية تتحوّل إلى حرب للتحكّم والسيطرة على الشعوب الأخرى."**

ولم تنظر تركيا قطّ إلى جنوب كردستان كمنطقة كردية، وعرّفتها – ضمن الميثاق الملّي- كجزء من أراضي تركيا، وأنّها ستعيدها متى ما كان - كما تدّعي - إلى تركيا، وبناءً على هذه السياسة فقد رفضت تركيا كلّ إنجازات الكرد، ففي عام/ 2003/ رفضت تركيا مشاركة الكرد في إسقاط نظام صدام حسين، كما رفضت دخول البيشمركة إلى كركوك، وكذلك في عام /2006/ لم تقبل تركيا بفدرالية العراق، وهدّدت بين الحين والآخر باحتلال جنوب كردستان، لكن مع بداية ربيع الشعوب وتطوّر الكرد في غرب كردستان (روجافا)، عزّزت تركيا علاقاتها مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، بهدف إلحاق الهزيمة الكرد، وليس بناءً على أساس حسن الجوار أو الصداقة.

وبالفعل أثناء استفتاء الاستقلال الذي أجراه الحزب الديمقراطي الكردستاني عام / 2017/ أظهرت تركيا وجهها الحقيقي للحزب الديمقراطي الكردستاني، كما أظهرت استخفافًا كبيرًا بشخصية الرئيس السابق للإقليم مسعود بارزاني، لذا فإنّ علاقات تركيا الاقتصادية والسياسية والأمنية مع الحزب الديمقراطي الكردستاني هي علاقات مؤقّتة. فيما يتعلّق بوضع الكرد في المنطقة، فبعد انتهاء الحرب في أوكرانيا، وإفشال الكرد في سوريا، وإضعاف حزب العمال الكردستاني -إن حدث- ستسعى تركيا جاهدة في انتهاج سياسة إفشال إقليم كردستان، وعلى العكس من ذلك فإذا ما نجح كرد روجافا فستحاول تركيا الاستعانة بإقليم كردستان لكي لا تحدث أي علاقات أواتّفاق كردي- كردي؛ لذا فإنّ تركيا تمارس سياسة انتهازية مع إقليم كردستان، وتسعى للقضاء عليه اليوم قبل الغد، ومن ناحية أخرى، فإنّ تركيا تستخدم إقليم كردستان كموقع دفاعي لها بوجه تقدّم إيران في العراق.

إيران:

في حكم الشرق الأوسط تُعتبَر إيران من الدول ذات التاريخ الطويل وصاحبة إمبراطورية، وأسوة بتركيا ترى إيران أنّه من حقّها أن تفرض سيادتها على المنطقة، حتى وإن لم تكن تلك السيادة عن طريق الاحتلال، فإنّها تحاول فرض سيادتها عن طريق أنصارها وبناء الجماعات والحركات الشيعية،

ففي العراق وبعد القضاء على نظام بغداد في / 2003 / والذي كان يُعرَف بأنّه نظام سنّي، وفرض إيران سيادتها على العراق مع الكرد، وتغلغلت في النظام الجديد ضمن محاربة داعش في / 2014 / فقامت بنشر وحداتها باسم "الحشد الشعبي" ضمن العراق، وبعد استفتاء إقليم كردستان في /2017/ قام الحشد الشعبي وبأمر من إيران بالسيطرة على كركوك (قلب كردستان) وإخراجها من يد الكرد.

وفي مقابل علاقات تركيا مع الحزب الديمقراطي الكردستاني قامت إيران من جانبها بتعزيز علاقاتها مع حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، بمعنى أنّ تركيا وإيران متّفقتان ومختلفتان في آن واحد حول القضاء على إقليم كردستان، وكلاهما يعيش حالة من الصراع عن طريق الحزبَين الكرديين.

ويشكّل وجود القواعد الأمريكية في جنوب كردستان خطرًا على إيران، وخاصة في سوريا، حيث تقوم أمريكا بالتضييق على إيران، ويوضّح العديد من المحلّلين السياسيين أنّ أمريكا ستقطع الطريق والعلاقة بين سوريا وإيران، لذا فمن المستحيل أن تبقى إيران مكتوفة الأيدي، ومن أجل افتعال المشاكل لأمريكا، ستقوم بتحرّكات في جنوب كردستان (باشور)، سواء كانت ضغوطًا اقتصادية أو سياسية أو دبلوماسية أو ضغوطًا عسكرية لخلق فوضى في المنطقة. ولذلك فإنّ الضغط الإيراني على بغداد والمنطقة لنزع سلاح الحركات الكردية في شرق كردستان (روجهلات) وإخراجها من العراق يرتكز جزئياً على نتائج اللقاء بين وزير الخارجية التركي (هاكان فيدان) ووزير الخارجية الإيراني (عبد اللهيان) حول الإجراءات ضدّ حزب العمال الكردستاني وحزب الحياة الحرة الكردستاني. ومن ناحية أخرى، اتفقوا على سعي إيران للضغط على القواعد الأمريكية والتهديدات الاستباقية، إذا ما وضعت الولايات المتحدة قطع الطريق والعلاقة بين إيران وسوريا حيّز التنفيذ، لذا فإنّ ضعف إقليم كردستان وتفتّته يدخل ضمن أهداف إيران التي تشترك مع تركيا في القضاء على إنجازات الكرد.

الخلافات العائلية للديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني خلافات هدّامة:

منذ العام /1991/ وحتى يومنا هذا، حيث مرّت/32/ عامًا على تأسيس إقليم كردستان كإقليم حرّ، لم ينعم المواطنون الكرد داخل الإقليم بفرحة النصر، سوى بعض لحظات التفاؤل التي تجسّدت في /2003/ حيث عاش الكرد في جنوب كردستان فرحة النصر من خلال تمثيل الحزبَين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، وكان يشارك رئيسَا كلّ من الحزبَين مام جلال طالباني (الاتحاد الوطني الكردستاني) ومسعود بارزاني (الديمقراطي الكردستاني) معًا وبصوت واحد في بناء العراق الجديد بعد سقوط نظام صدام حسين، وأصبح الحزبان من القوى الرئيسية في العراق، وكان بإمكانهما إدارة السياسة الداخلية والخارجية للعراق، كما أنّ مام جلال تولّى منصب رئاسة الجمهورية، ومسعود بارزاني تولّى منصب رئاسة إقليم كردستان، بعد ذلك ونتيجة للخلافات والأنانية وتفعيل العائلة من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني، فقد ذهبت آمال وسعادة الكرد في جنوب كردستان أدراج الرياح، وخاصّة بعد الاستفتاء في /٢٠١٧/ وإصرار الديمقراطي الكردستاني على إجرائه، دون حلّ الخلافات الداخلية ومسألة رئاسة الإقليم، ودون كسب الرأي الدولي وموافقة أمريكا وأوروبا؛ ونتيجة لذلك فقد خسر الكرد كركوك والمناطق المتنازَع عليها

خلال /24/ ساعة، كما أصبح إقليم كردستان تحت تهديدات تركيا وإيران والحكومة المركزية في بغداد، كما أنّ كلًّا من الحزبَين الكرديين قد بدأ ينعت الآخر بالخيانة.

مما لا شكّ فيه أنّ إقدام الإقليم على خطوة هامّة وتاريخية كهذه، كان بحاجة إلى العديد من التحضيرات، ومنها:

- توحيد قوات البيشمركة
- إجراء انتخابات رئاسة الإقليم.
- إجراء انتخابات برلمان الإقليم.
- عقد مؤتمر قومي، وإشراك القوى الكردستانية في القرار.

وكذلك على الصعيد الخارجي كانت هناك حاجة للعديد من التحضيرات الهامة، منها:

- الحصول على موافقة القوى الدولية.
- قراءة موضوعية للسياسة الإقليمية والدولية.
- تحديد الوقت المناسب لإجراء الاستفتاء.

إذا ما انتبهنا لهذه الظروف الداخلية والخارجية فسنجد أنّه لم تكن الظروف مناسبة لإجراء الاستفتاء عدا عن الجانب العاطفي.

لذا؛ فقد برزت الخلافات والتخوين بعد الاستفتاء، كما ظهرت حقيقة أنّ إقليم كردستان ضعيف وغير متماسك، ومرّة أخرى بحث الحزب الديمقراطي الكردستاني عن إرضاء تركيا والمصالحة مع المركز، ولكن ذلك كان على حساب تقديم كثير من التنازلات السياسية والاقتصادية، وعلى حساب سيادة الإقليم، الاتحاد الوطني الكردستاني أيضًا لم يقبل بالسياسة التي يمارسها الديمقراطي الكردستاني حياله، كما لم يقبل باستفادة الديمقراطي الكردستاني من حالة ضعف الاتحاد الوطني الكردستاني، وقيامه بترسيخ وجوده على سياسة واقتصاد ودبلوماسية الإقليم، وما بين حالة الاتفاق واللاتفاق وصل الإقليم إلى مستوىً فقد فيه دوره وقوّته تجاه المركز، كما اتّجه الإقليم نحو حالة من الانقسام الداخلي.

المكاسب في ظلّ المخاطر:

الحالة التي يمرّ بها إقليم كردستان لا ترتبط بالإقليم ومشروعه فحسب، بل إنّ الوضع في إقليم كردستان يؤثّر على الأجزاء الأخرى من كردستان أيضًا، فالخلافات العائلية والعلاقات أحادية الجانب وعدم التكاتف والمصالح العائلية، كلّها قد جعلت من إقليم كردستان يعاني من أزمات محلية وإقليمية ودولية، كما جعل من الإقليم ساحة لمخطّطات تركيا وإيران والحكومة المركزية في بغداد، كما جعلت من الدول الكبرى ترى في إقليم كردستان منطقة فاشلة.

في العام /٢٠١٧ / وأثناء إجراء استفتاء استقلال إقليم كردستان، قام الرئيس التركي أردوغان بتهديد الإقليم، وقام بنعت رئيس إقليم كردستان آنذاك مسعود بارزاني بممارسة الخيانة، كما نبّه إلى أنّ الكرد في جنوب كردستان سوف يموتون جوعاً إذا ما فرضت تركيا حظر عبور شاحناتها إلى الإقليم، وهدّد أردوغان أيضًا بقطع خط النفط الذي يمرّ من الأراضي التركية، وفي الوقت نفسه كان أردوغان قد تحرّك على المستوى العسكري.

إيران أيضًا أعلنت موقفها الرافض لإجراء الاستفتاء، إلّا أنّ موقفها لم يكن بمستوى قساوة الموقف التركي، وكانت إيران قد أوضحت بأنّ العراق بحاجة إلى الاستقرار والسلام.

الحكومة المركزية في بغداد من جانبها أدانت إجراء الاستفتاء ورفضته، ودخلت مع تركيا في تحرّكات واتصالات.

ممّا لا شكّ فيه أنّ إجراء الاستفتاء قد جعل إقليم كردستان يفقد قوّته ودوره في بغداد، وجعله في حالة دفاعية، كما أنّه أضاع فرصًا كبيرة، حيث أنّ كركوك والمناطق المتنازَع عليها والمعابر الحدودية والمطارات الدولية قد أصبحت تحت التهديدات، كما أنّ المركز قد طالب بفرض سيطرته على هذه المناطق؛ لذلك ومنذ /٢٠١٧/ اتّجه الإقليم نحو حالة من التشرذم والتفكّك.

- لم يتّفق (الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني) لا في داخل الإقليم ولا في بغداد.

- عودة الديمقراطي الكردستاني إلى كركوك لم تعد محلّ نزاع مع الحشد الشعبي والتركمان فحسب، بل مع الاتحاد الوطني الكردستاني أيضًا، حيث يرى الاتحاد الوطني الكردستاني أنّ تحرّكات الديمقراطي الكردستاني هي تحرّكات أحادية الجانب، ويرى في كركوك موطنًا له.

- مسألة نفط الإقليم وتمريره من الأراضي التركية دون موافقة المركز عادت إلى الواجهة، وتمّ رفع دعوى على تركيا، وفي النتيجة كسب المركز القضية وتمّ تغريم تركيا بدفع أكثر من مليار ونصف مليار دولار، إلّا أنّ تركيا تلقي بالعبء على الإقليم.

- قطع الطريق أمام تصدير النفط عن طريق الأراضي التركية، وحظر استخدام الإقليم للاتفاقيات مع الشركات العالمية قد جعل وضع الحالة الاقتصادية للإقليم أمام مصائب كبيرة، وفي النتيجة وبسبب الضغوطات بدأت بوادر حرب داخلية تلوح في الأفق.

الاتفاقيات السوداء ما بين المحتلّين:

في أيار /2023/ وبدعوة من رئيس الوزراء العراقي محمد شيّاع السوداني عُقد في بغداد مؤتمر بحضور مسؤولي كلّ من تركيا والعراق وإيران وسوريا والأردن ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، وخلال المؤتمر طرح العراق مشروع توصيل وربط (ميناء الفاو في جنوب العراق) مع تركيا، وذلك من خلال إعداد الخطوط الحديدية للقطارات والطرق الواقعة خارج أراضي كردستان، بهدف ربط قارة آسيا مع أوربا!!

تُرى لماذا يمرّ ذلك المشروع من جميع الأراضي العراقية لكنّه يستثني كردستان؟

1- القضاء على فرص انشغال إقليم كردستان بمسألة الاستقلال، من خلال التضييق على إقليم كردستان اقتصاديًا، وإبقائه خارج العلاقات الدولية ليبقى كإقليم محلّي إداري فقط، خاصة مع فقدان الإقليم لفرص تجارة النفط وخسارته لكركوك.

2- يعدّ هذا مخطّطًا مشتركًا بين كلّ من تركيا والعراق وسوريا وإيران، وهذا ليس ببعيد عن سياسة هذه الدول تجاه القضية الكردية في الأجزاء الأربعة لكردستان.

3- يُعدّ ردًّا مشتركًا من قبل هؤلاء المحتلّين على استفتاء الاستقلال في /2017م/، كما يُعدّ واحدًا من جملة الخطط للقضاء على جميع مكاسب الكرد.

إذا ما تأمّل المرء في هذه المشاريع، فمن الضروري أن يعود بخياله إلى طبيعة مسار التنمية المتعدّدة والأحداث التي مرّ بها الإقليم خلال /10/ سنوات مضت.

لقد بيّننا لمرّات عديدة أنّ الحزب الديمقراطي الكردستاني وبسبب خلافاته مع غالبية الأطراف الكردستانية وبسبب خلافاته مع بغداد، ولضمان استمرارية وحماية المنطقة الواقعة تحت سيادته، قد انخرط في العديد من الاتفاقيات والعلاقات التي تُعتبَر أكبر من حجمه، وخاصة مع تركيا التي دخلت ضمن مشاريعها، حيث استفاد الحزب الديمقراطي الكردستاني بشكل مؤقّت على الصعيد المحلّي، لكنه قد خسر خسارة استراتيجية وسوف تكون لها تأثيراتها على جميع مكاسب الكرد.

لذا؛ فإنّ انسحاب البيشمركة من شنگال في /2014 / بسبب تقدّم داعش لم يكن يندرج في إطار استعدادات تركيا لهذه المشاريع الاقتصادية، حيث كان من الضروري أن تقوم تركيا بإنهاء خطر وجود الگريلا في محيط مناطق عبور هذه الطرق التجارية.

إنّ تضييق الديمقراطي الكردستاني على حركة التحرّر في قنديل وشنگال، والتزامه الصمت حيال التمدّد التركي في جنوب كردستان وزيادة قواعدها العسكرية، وإعادة الذرائع للهجمات التركية في جنوب كردستان بحجّة وجود حزب العمال الكردستاني هناك، والتضييق على الاتحاد الوطني الكردستاني، فإذا ما كان الديمقراطي الكردستاني يرى ولا يزال يرى بأنّ هذه الخطوات تصبّ في خدمة أمن ومصالح الإقليم، إلّا أنّها كانت بمثابة استعدادات خطيرة من طرف تركيا في مواجهة جميع مكاسب الكرد وفي مقدّمتها إقليم كردستان، حيث أنّ مشروع ربط ميناء الفاو مع تركيا هو أحد المؤشّرات، وهناك مؤشّرات أخرى: مثل زيارة وزير الخارجية التركي (هاكان فيدان) إلى العراق وطلبه مباشرة القتال ضدّ العمال الكردستاني، وكذلك زيارته بعد ذلك لطهران وتصاعد التهديدات الإيرانية ضدّ إقليم كردستان لإبعاد أحزاب شرق كردستان (روجهلات) عن الحدود الإيرانية، وكذلك الهجوم المشترك التركي- الإيراني على حزب الحياة الحرّة الكردستاني (PJAK) في أوقات مختلفة، وكذلك المخطّط المسمّى بـ "مقاتلي العشائر" في ديرالزور ومنبج ضد قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، وبروز أزمة كركوك، والتهديدات من قبل النظام السوري وإيران وتركيا ضدّ الإدارة الذاتية، وتصريحات وزير الخارجية الروسي (سيرغي لافروف) حول محاولات أمريكا بناء دولة كردية في

سوريا؛ كلّ ما سبق يصبّ في خانة واحدة ويبرز اتّفاقًا روسيًا- إيرانيًا- تركيًا – سوريًا؛ فالهدف المشترك لجميع تلك الدول والقوى هو حرمان الكرد من المكاسب.

في النتيجة

- الخلافات العائلية، وتقاسم إقليم كردستان بين العائلات، والانشغال باستمرار سلطة العائلات على الإقليم، قد أهمل قضية شعب كردستان، وفي المحصّلة أصبح الإقليم ضعيفًا ومفكّكًا في مواجهة المحتلّين.

- صحيح أنّ نظام صدام حسين قد سقط عام /2003/ وتحطّمت حلقة من السلسلة التي كانت تطوّق كردستان، لكن بعد استفتاء /2017/ التأمت تلك الحلقة المحطّمة وأخذت مكانها مرة أخرى في سلسلة الغزاة؛ فالقضاء على إقليم كردستان، وقطع الطريق أمام حرية غرب كردستان (روجآفا)، وقمع انتفاضة شرق كردستان (باكور)، والقضاء على حركة الحرية؛ هي من الأهداف الرئيسية لهؤلاء الغزاة.

- حالة الضعف واليأس في جنوب كردستان عقب استفتاء عام /2017/ قد منح القوة لمحتلّي كردستان للضغط على أجزاء كردستان الأربعة وبالدرجة الأولى على روج آفا وحركة الحرية، وكذلك فقدَ إقليم كردستان فرصته والتمس الاعتذار من تركيا وطلب إرضاء أردوغان، وليس مسعود برزاني، ولكن نيجيرفان برزاني ومسرور برزاني زارا تركيا، وستحشدهم تركيا ضد بعضهم البعض وضد حركة الحرية قدر الإمكان.

- بحسب تقارير غربية ومواقع عراقية، فإنّ رئيس وزراء إقليم كردستان (مسرور بارزاني) قد بعث برسالة إلى الرئيس الأمريكي (جو بايدين)، وبحسب هؤلاء المراقبين فإنّ تلك الرسالة تتحدّث عن انهيار إقليم كردستان ويطلب خلالها بارزاني المساعدة والدعم من الولايات المتحدة.

ممّا لاشكّ فيه أنّه منذ عام /1991/ إلى عام / 2023/ لو كان لدى إقليم كردستان قوات بيشمركة موحّدة وبرلمان ديمقراطي وإدارة واحدة للإقليم، لما كان إقليم كردستان في هذا الوضع السيّىء، ولتمكّن من إدارة العراق بأكمله.

لذا؛ فإنّ الحلّ الأنسب لا يكمن في الارتماء في أحضان أمريكا أو تركيا، بل يكمن في عقد مؤتمر قومي لحلّ لجميع المشاكل في المنطقة وفي أجزاء كردستان الأربعة (موقف موحّد للأحزاب الكردستانية) ليكون إقليم كردستان قويًا، وتصبح روج آفا قويّة، ويستلهما القوة من بعضها، ويعبّرا عن موقفهما تجاه التطوّرات والخطط، فقوة ووحدة جنوب وغرب كردستان (باشور وروجافا)، وفي الوقت ذاته ستعطي آمالاً كبيرة لشرق وشمال كردستان (باكور وروجهلات)؛ فعصرنا هذا الذي نعيش فيه لا يقيم أيّ وزن للضعفاء والمهزومين، بل يعترف بالأقوياء فقط.

المحتوى

تركيا تفقد موقعها الجيوستراتيجي يوما بعد يوم 5

منذر شيار

الأزمات المستجدّة في شرق المتوسط ومساراتها 20

الطاقة (البترول والغاز) كعامل مؤثّر في الأزمة السورية 51

شرفان سيف الدين

الأمن الإنساني في إقليم شمال وشرق سوريا 64

تنظيم داعش والايديولوجية 97

د: أحمد سينو

المكاسب في ظل التهديدات الإيرانية والتركية والخلافات العائلية 132

كرديار دريعي